# القلم

من الذي يسبق صاحبه رتبةً أو منزلةً في منطق الحياة ؟ القلم أم السيف ؟ وماذا يعني القلم وعلامَ يدلّ ؟ كذلك ماذا يعنيه السيف وعلامَ يدلّ؟ ومن هو صاحب الكلمة العليا ؟ وهل القلم على حقّ أبدًا فيما يكتب ويقول ؟ أم أن السيف هو الذي على حقّ فيما يفعل ؟ ومن هو الذي على باطل فيما يقرر ويفعل ؟ أم أن السيف على حقّ والقلم على باطل ؟ نقول : لا هذا ولا ذاك ، فالقلم قد يكون على حقّ حينًا وعلى باطل أحيانًا ، كذلك السيف ، قد يكون على باطل أحيانًا وعلى حق أحيانًا أخرى ، وهكذا يتأرجح الباطل بينهما ، تارة يعلو الحقّ فيدمغ الباطل ، وتارات أخرى ترى الباطل وقد طغى على الحق وحاول مسخه ، في القلم وفي السيف على حدّ سواء .

إن القلم يعبّر عن روح صاحبه ، كما يعبّر السيف عن روح صاحبه أيضًا ، إنهما أداتا تعبير وتنفيذ .

القلم في معناه الرفيع تعبير عن تخطيط وتسجيل ، ورسم صور ، وتشريع . والسيف في معناه الرفيع دفاع عن حق ، وذود عن حياض ، وردّ لشرفٍ مهانٍ وحقّ مضاع .

# والسيف

بقلم: عبدالله زكريا الانصاري

فالقلم يخطّ ، ويسجّل ، ويرسم ، ويشرع ، والسيف يطبق ، وينفذ ، ويضع الأمور في نصابها الصحيح . إنهما قوتان معنويتان متلازمتان في معناهما السّامي الرفيع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن القلم الذي ينحرف به صاحبه عن معناه الرفيع ، كالسيف الذي ينحرف به صاحبه عن معناه السامي الرفيع ، مثلهما مثل الحقائق والوقائع التي تحرف وتخرج عن معانيها السامية الرفيعة .

قد يسأل سائل ، وهل الوقائع والحقائق تخرج عن معانيها السامية الرفيعة ؟ أي هل الحقائق إلاّ حقائق ، وكذلك الوقائع ؟ لا شك أن الزيف قد يطغى على الحقائق السامية فيحولها إلى حقائق زائفة ، وكذلك الوقائع ، والذين يمعنون في التفكير ، ويغوصون في أعماق الواقع ، ويحللون الوقائع والحقائق التي يرونها أمامهم ومن حولهم ، يجدون الكثير الكثير منها وقائع وحقائق خارجة عن معانيها السامية الرفيعة ، إذن فهي حقائق زائفة ، ووقائع زائفة .

القلم حقيقة وكذلك السيف ، وإن كانت دلالة السيف أكثر ترويعًا في النفس من دلالة القلم ، إلّا أنهما أداتان وجدتا لخدمة الحياة في مسارها الذي يدلّ على البناء والسمو ، صحيح أن السيف يضرب ويقطع ، ويهدم ، لكنه يضرب ويقطع ويهدم لصالح الحياة ، وإذا انحرف عن هذا المعنى الرفيع أصبح أداة هدم وتخريب ، وأصبح زيفا ، وهذه ضدّ صالح الحياة ، ومثله القلم الذي تنشرح عند سماعه النفس ، وتتراءى صوره الجميلة في ذهن الانسان ، ومع هذه الصور الجميلة ، ومع انشراح النفس فطالما حُرِّف عن حقيقته السامية ، ومعناه الرفيع لدى بعض الناس ، وربما الكثير من الناس .

الوقائع والحقائق المحرفة ما هي إلّا الزيف في حقيقته ، وللزيف حقيقة أيضًا ، ذلك أن ظاهرها خادع وباطنها كله زيف ، وأنت عندما تزيح عن ظاهرها الخداع الذي يغطيها ويطغى عليها ، تظهر لك وتنجلي عن زيف وباطـــل .

بعض الناس انطلق يرفع السيف ، ويهزّه هزًا ويهيّىء له المرتبة الأولى ، والبعض الآخر انطلق يرفع القلم عاليا وينادي بأنه صاحب المرتبة الأولى ، وأفضل من السيف .

الناس في الحياة جُبلوا على المفاضلة ، والمفاضلة تدلّ على هوى النفس ، وتدلّ على حبّها وكرهها ، النفس التي تكره تعبّر عن كرهها ، والنفس التي تحب تعبّر عن حبها ، ولهذا جاءت المفاضلة ، وصاحب الكره يدلل على كرهه بأدلة وحجج ، وصاحب الحب يدلل على حبه بأدلة وحجج أيضًا ، لا سيما في الأشياء التي تتردد بين الناس ، أو التي تشغل بالهم ، وهم في اندفاعهم في الكره والحب لا يتأنّون ولا يتمهلون ، بل لعلهم يتغاضون عن أشياء كثيرة في مفاضلتهم قد تكون حسنة يقلبونها إلى سيئة ، وقد تكون سيئة يقلبونها إلى حسنة وهكذا . والضدان اللذان تجري المفاضلة بينهما يمتلئان بالمتناقضات ، أي يمتلئان بالمساوىء والمحاسن ، لكن النفس البشرية إذا طغى عليها الكره لا تبصر ولا ترى إلّا كرهًا ، وإذا طغى عليها الحب لا ترى ولا تبصر إلّا حبًا .

هناك قليل من الناس يتأنون ويتمهلون في أحكامهم على الأشياء ، ويتمهّلون ويتأنّون في مفاضلتهم ، ويبنون منطقهم على الخدمات والمنافع في الشيء الذي لا بدّ لهم من المفاضلة فيه ، والحكم له أو عليه ، فيأتـــون ويضعون أمامهم السيف والقلم يعدّدون صفاتهما الحسنة ويعدّدون عيوبهما، ويقارنون بين هذه العيوب والصفات الحسنة ، فإذا شالت هذه على تلك

نالت الأفضلية وهكذا يمضون ويحكمون ويفضلون بعض الأشياء على بعضها الآخر .

**السّيفُ أَصْدقُ أنْباءً مِنَ الكُتُبِ  في حدّهِ الحدُّ بَيْنَ الجِدِّ واللّعِبِ**

هذا بيت أطلقه أبو تمام على السيف ، وجاء المفاضلون الذين يفضلون السيف على القلم يردّدونه كحجة بأفضليته على القلم ، ويقولون إن السيف يقطع الرقاب ، ويضع حدًّا للقيل والقال ، ويحسم الامر ، وينهي الجدال مهما امتدّ وطال .

والمفاضلون الآخرون راحوا يردّدون قول الشاعر الاخر :

**إنْ يخدمُ القَلَمَ السّيْفُ الذي خَضَعَتْ**
**لهُ الرّقابُ وَدانَتْ خَوْفَهُ الأُمَمُ**
**فالموْتُ والموْتُ شَيءٌ لا يُغَالبُهُ**
**ما زالَ يتبعُ ما يَجْري بهِ القلمُ**
**كَذا قَضَى اللّهُ للأَقْلامِ مُذْ بُرِيَتْ**
**أنَّ السّيوفَ لهَا مُذْ أُرْهِفَتْ خَدمُ**

إنّ هؤلاء مفاضلون أذكياء ، إنهم رفعوا السيف عالياً ، وأخضعوا له الرقاب ، وأدانوا له الأمم خوفًا ورهبة ، إنه الموت المحتم ، لكن القلم هو الحياة ، ولهذا فالسيف يخدم القلم ، القلم يقول والسيف ينفذ ما يقوله ، هذا ما قضى به خالق الحياة « إن السيوف مذ أرهفت خدم للأقلام » . فالقلم هو المشرع ، وهو المخطط ، وهو مسجل الأحداث ، ومفند الأقوال .

اجل تلك حجج وأدلة منطقية ، ويقولون ، إن السيف إذا ابتعد عن القلم في مضائه سار في طريق مظلم يخبط خبط العشواء ، وقد يمضي في طريقه لكن إلى مدى ، إلاّ أن نتيجته الحتمية معروفة وهي الفشل الذريع مهما طال الزمن .

ويعودون إلى القلم ويقولون عنه : ــ إن القلم أيضًا إن لم يتّشح بالسيف أصبح قوله لغوًا ، وكلامه هذاءً ، وصريره صدًى يضيع في الفضاء، وأصبح ما يسجله ويخطه حبرًا على ورق يضيع مع الأيام ، ويفنيه كر الليل والنهار .

إن الذين شحذوا أقلامهم ، وراحوا يكتبون بها ويخطون ، ويسجلون

ويشرعون ، ويبنون الحجج فوق الحجج ، ويفندون ويحللون ، متناسين السيوف ومضاءها ، لم يُكتب لهم النجاح ، ولم يتحقّق لهم الفوز ، ولم يصلوا إلى غاية من غاياتهم .

إن هؤلاء مثل أولئك الذين سلّوا سيوفهم ، وراحوا يهدّدون بالقوة التي يملكونها دون أن يسندوها بالحجة والمنطق والإقناع ، ومن مفارقات الحياة أن الإقناع والمنطق والحجة في بعض الحالات وإن كانت زائفة تمضي في طريقها حتى يكشفها الزمن فتنكشف ، وإن انكشفت لا يقوضها إلاّ القوة المدعّمة بالحجة والمنطق والإقناع القائم على العدل والصدق .

إن الذين يتكلمون ويكتبون ولا يملكون الحماية لما يكتبونه ويقولونه لا يحقّقون شيئا ، حتى ولو انطلقوا في كتاباتهم وأقوالهم من منطق الصدق والحق والعدل لا سيما في هذا العصر الذي يدين للقوة ويكاد أن يعبدها .

ليس هذا العصر وحده الذي يدين للقوة ويكاد أن يعبدها ، فطبيعة الإنسان منذ أن وُجد على هذه الكرة الأرضية إنما هي الخضوع للقوة ، والخوف منها ، وهي التي حاربته بمختلف ظواهرها من زلازل ، وعواصف ، وأنواء وحر حارق ، وبرد قارس ، إلى غير ذلك من ظواهر الحياة .

إذا كان الأمر كذلك ، فكيف تريد للأقلام الشريفة أن تحقّق أغراضها السامية بدون دعم السيوف لها ، والذود عنها ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن السيوف كما يقول الشاعر ما وُجدت إلاّ للذود عن القلم ، والدفاع عن حججه ومبرراته وأدلته ، حتى أولئك الذين زيّفوا الحقائق ، وحرّفوا الوقائع ، حققوا أغراضهم بالسيف . إنهم يزيفون الحقائق ، ويحرفون الوقائع ، ثم يدعمون هذا التحريف ، وذاك الزيف بالقوة الغاشمة .

إن الذين لا يملكون من القوة ما يكفي لدعم أقلامهم وإسنادها وتعزيزها ، لا يمكنهم أن يحقّقوا أغراضهم ، مهما كانت سامية نبيلة .

**كَذا قَضَى اللّهُ للأقلامِ مُذْ بُرِيَتْ**
**أنّ السّيوفَ لها مُذْ أُرْهِفَتْ خَدَمُ**

لا بدّ أن تدعم القوة المنطق ، ولا بدّ للقوة من منطق يدعمها ، وأنك مهما أوتيت من حجة قوية ، ودليل واضح ، ومنطق صائب لا يمكنك من نيل حقوقك كاملة إذا كانت هذه الحقوق مغتصبة من ظالم لك او باغٍ او معتدٍ قويّ ، يقول الشاعر : ــ

أمّـــا الحقـــوقُ فـــلا تُنـــالُ بحجّـــــةٍ
إلاّ بحجّـــةِ مدفـــعٍ وقَواضـــــــــبِ
ومتـــى غـــــدا طَلّابهُـــا مُسْتَضْعَفـًا
فـــي حَقّـــهِ فالحَـــقُّ حَـــقُّ الغَاصِـــبِ

فإن كانت لديك قوّةٌ تدعم منطقك وحجتك نلت حقوقك ، وإلا ظللت عاجزًا عن نيلها مهما أوتيت من بلاغة القول ، وبديع البيان ، وروعة الكلام.

والقلم ما هو دوره في الحياة ؟ إنه القلم ، صاحب الدّور الاول ، ومنير الطريق ، وممهد السبيل ، والدالّ إلى الهدى ، وهو الذي عزّ شأنه في القرآن الكريـــم .

إن يخْـــدمُ القَلَمَ السّيـــفُ الـــذي خَضَعَـــتْ
لـــــهُ الرّقـــــابُ ودَانَـــتْ خَوْفَـــهُ الأُمَـــــمُ
فالمـــــوتُ والمـــوْتُ شَيءٌ لا يُغالبُـــــــهُ
مـــا زالَ يَتْبَـــعُ مَـــا يَجْري بـــهِ القَلَـــمُ

إذا كان السيف الذي خضعت له الرقاب ، ودانت خوفه الأمم يخدم القلم ، وينفذ أوامره ، فإن الموت الذي لا يغالبه شيء ما زال منذ الخليقة يتبع ما يجري به القلم ، ذلك أن القلم يخط ويسطر ويقول ، والموت ينفذ ما يقوله القلم وما يسطره ويخطه . فماذا يعني هذا الكلام ؟ إنه يعني أن القلم والسيف متلازمان ، مثل الحق والقوة ، والذين يمعنون النظر جيدًا يدركون تلازم الحق والقوة ، فلا بدّ للحق من قوة تدعمه ، ولا بدّ للقوة من حق يدعمها ، فقوة لا تقوم على أساس من الحقّ لا تدوم مهما امتدّ بها الزمن وطال ، وحق من غير قوة لا ينال مهما كان حقاً لا شبهة فيه ولا لبس .

القلم لا بدّ أن يدعمه السيف بقوته ومضائه ، والسيف لا بدّ أن يدعمه القلم بقوته ومضائه أيضًا ، وهكذا تسير الأمور كما قرّرتها طبيعة الحياة . والذين حقّقوا أغراضهم من طريق القوة المدعمة بالكذب والتضليل لا بدّ أن تكشفهم الأيام ، والتاريخ حافل بمثل هذه العبر .

كم من قوة قامت على الباطل والزيف ، وعلى الكذب والخداع انهارت بعد سطوع شمس الحقيقة ؟

وكم من حق ضاع فترة طويلة من الزمن عاد بعد أن ذادت عن حياضه القـــوة .

إن الذين لا يدينون إلاّ للقوة وحدها يأخذون طريقها وسيلـــة لحفر أسمائهم في التاريخ،إنهم يبنون القوة ، ويعززونها بالحجـــج الخادعة ، ويحققون أغراضهم ، وهم يدركون جيدًا أن هذا النجاح الذي حققوه لا يقوم على أرض صلبة ، إلاّ انهم في سبيل مجدهم العابر يهون كل شيء أمامهم ، ويقولون في أنفسهم ، ليفعل التاريخ ما شاء ، ما دمنا حققنا مآربنا ، وكتبنا أسماءنا في سجل التاريخ ، وإن كانت قد كتبت بالزيف والكذب والخداع ، بل وبدماء الشعوب . ويقولون في انفسهم لتنقلب الدنيا على رؤوس الأجيال القادمة ، فما يضيرنا نحن ؟ دعهم وشأنهم يقررون ما يقررون ما دمنا قد وصلنا إلى ما نبتغيه .

أما الذين يكتبون ويكتبون ، ويقولون ويبدعون في القول ، ويتكلمون ببلاغة ، ويوضحون بأسلوب قوي ، وبيان ساحر ، بدون قوة تدعمهم ، لا يصلون إلى نتيجة حتمية لأن كتابتهم تصبح باردة ، وقولهم جامدًا ، وكلامهم غير مسموع ، وأسلوبهم ضعيفًا ، وبيانهم مرفوضًا . وفي هذا المعنى يقول المتنبي وهو صاحب القلم الرفيع ، والقول البديع ، والأسلوب القويّ ، والبلاغة الرائعة ، والبيان الساحر ، يقول وقد رأى ما رأى من استخفاف بهذا القلم الذي فاض بمختلف المعاني العظيمة : ـــ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أُسيرهـــا بيـــنَ أَصْنـــامٍ أُشاهِدُهـــــا
ولا أُشَاهِـــدُ فيهـــا عفَّـــةَ الصَّنَـــــمِ

حتّـــى رجعْـــتُ وأقلامـــي قَوَائِـلُ لِـي
المجْـــدُ للسّيْـــفِ ليسَ المجْدُ للْقَلَـــــمِ

أكْتُـــبْ بنـــا أبـــدًا بَعْـــدَ الكتابِ بـــهِ
فانّمـــا نحْـــنُ للأسْيـــافِ كالخَـــدَمِ

أَسْمَعْتَنِـــي وَدَوَائِـــي مَـــا أَشَرْتِ بـــهِ
فـــإنْ غَفلـــتُ فَدَائِـــي قلّـــةُ الفَهَـــــمِ

هنا أطرق المتنبي لقلمه ، ولم يجد ما يقوله له غير السمع والطاعة ، فالسيف هو الجواب لمثل هؤلاء الناس الجامدين كالأصنام ، بل إن الأصنام

أشرف وأعف من الناس الذين تنعدم فيهم العفة ، وينعدم الشرف ، إذاً فلا بدّ من سماع نصيحة القلم في هذه الأحوال ، ولتكن الكتابة بالسيف أولاً ، ثم بالقلم يسجّل ما خطه السيف وكتبه .

الخلاصة أن القلمَ لا بدّ أن تدعمه القوةُ ، كما يدعم القوةَ القلمُ ، ولا بد للحجة والمنطق والحق من قوة تفرضها فرضًا ، وهذا هو منطق الحياة .

لكن كم من الناس الذين يعتبرون بمنطق الحياة ، ويبتعدون عن الزيف الذي يحيط بهم ، ويرمون بأبصارهم بعيدًا ، ويستكشفون المستقبل وما يخبئه لهم من أهوال ؟ وكم منهم من يلغي عن عينيه غشاوة القشور المبهرجة المتطايرة حوله ؟ وكم منهم من يضحي بالنعيم الزائل في سبيل شرف العيش لجيله وللأجيال الطالعة ؟ وكم منهم من يصل بإدراكه إلى أن الحساب سيكون عسيرًا للذين لا يقدرون الأمور حق قدرها ، ولا يبحثون الحقائق النظيفة بحث العاقل الذي يؤمن بالحياة ويؤمن بالإنسان ويؤمن بخالق الإنسان والحياة ؟

تلك هي حقيقة القلم وحقيقة السيف المتعانِقَيْنِ أبداً ، والمتلازمين ما دامت الحياة ، وما دام نظامها الرائع العجيب يسير في خطه الذي رسمه خالقُ الحياة .

**عبدالله زكريا الانصاري**
**ـ الكويت ـ**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# العروبة

شعر: عبداسنان محمد

ما للعروبة قطعت أوصالها
وتبعثرت ويلمها آمالها
وسطت عليها النائبات فلا ترى
فيها مكانا لم تنله نبالها
وتقاعست عن حقها فعدت على
اتلافه نئبانها وثعالها
تتصارع الايدي عليه فلم تجد
غير الدسائس حيلة تحتالها
فاثارت النعرات والفتن التي
شقيت بها وديانها وتلالها
فاتت على خضرائها هوجاؤها
وطغت على انهارها أوحالها
اعداؤها قد فتحت ابصارهم
وعلى قلوب رجالها اقفالها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سـهرت أعاديهـا على تفتيتهـا

وعلى الاسـرة نـوم ابطالهـا

ماتت احـاسـيس الرجـال فلم نجـد

رجـلا تهـز شـعوره احوالهـا

فكـأنهم بقـر تسـاق لذبحهـا

فسـعت اليهـا للفنـا آجالهـا

فالشـرق اصـبح للدمـاء بحـيرة

ملأى تضـج جنوبهـا وشـمالها

دار الصراع بارضـه فبكورهـا

تسـطو عليهـا غـيرة آصالهـا

هبت شـعوب الارض ترسـم دربها

الا العروبـة حالهـا هي حالهـا

لعبت بهـا اهواؤهـا فقـدت بـلا

راع يطمئنهـا فيهـدا بالهـا

لـم يطـرأ التغيير في تخطيطهـا

لحياتهـا او اتقنـت اعمالهـا

يا عـرب اصبحـت العروبـة سبـة

بين الـورى اذ ليـس يصـدق فالهـا

كـم قالـة ليسـت لهـا مـن قيمـة

ما لـم ترادف نطقهـا افعالهـا

يـا رب لـم شـتاتها وابعـث بهـا

كجمالهـا كي لا ترث حبـالهـا

عبد الله سنان محمد
ـ الكويت ـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دراسة
عن
مسرحية

# زيارة السيدة العجوز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لفريدريش دورنيمات

بقلم : سليمان الخليفي

الرسام : الديزل !
الاول : وقف !
الثاني : في حيلان !
الثالث : أشد البلاد بؤسا !
ناظر المحطة : بهذا ألغيت قوانين الطبيعة !!

وقف القطار للحظة ــ أمام أنظار ، مترقبة ، مأخوذة بالدهشة ، منتظرة ، يثقلها الحرمان ــ ليعيد الى الاذهان من جديد ، حادثة السؤال الذي كانت تلقيه « الهولة » على أبواب مدينة « طيبة » ، ولكن بأسلوب مختلف في الظاهر . وكما كانت الهولة تستلب حياة من يعدم الاجابة .. نهائيا ! كان السؤال الذي القي ، بالقوة والفعل ، وحشر في اهاب جيللن ، يستلب كيان من يجيب عليه أو يعدم الاجابة .

من هو الكائن ، الذي ينقسم في نفسه ، وينفصل عن البؤس ! ويكسب الحياة من جديد ؟

فلا تملك جيللن الا ان تصبح بكاملها ، أنا . والواقع أن اجابة جيللن ، تكون .. أنا ، بالتدريج . وفي ممارسة ، يتحطم فيها شباك الضمير على موقد الفاقة ، برفض يجري في تيار القبول ! ودونما لجوء الى اجابة صوتية .

يقف القطار . ويشق بوقفته ، مفترقا للطرق ، كما يعبر لوكاش . البؤس ! أو مليار ، نصفه للمدينة والنصف الثاني يوزع على ابناء جيللن بالتساوي .

فمن يملأ بالبرودة جسد آل الدافيء بالحياة !؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

• • •

مشكلة ، أم لا ..؟

كيلر زاخانسيان التي أجبرت على حياة لا تريدها ، واصبحت على هذا المستوى من الثراء ، تريد للماضي أن يعود من جديد . فرئيس القضاة ، يقبل العمل لديها بوظيفة ساقي لان المرتب الذي عرض عليه كان خياليا ! والشاهدان اللذان شهدا أمام المحكمة ــ في سبيل لتر من الخمر ، رشاهما به آل ــ على أنهما ضاجعا كلارا ، يصبحان الآن شاهدي نفي لصالحها ، بعد ان افتدا الرجولة والبصر .

والان في جيللن ، جدول سفر القطارات . يشوبه التمزق ، وصندوق الاشارات يعلوه الصدأ . شارع المحطة خرب . الجدران لا نوافذ لها . المصانع أفلست . و « سوق كوخ الشمس » انتهى . والقرية تتضور جوعا ، بالرغم من ماضيها المجيد .

والآن ، تسكن كلير زاخانسيان فندق الرسول الذهبي ! ويجوب قطها المتوحش شوارع القرية !!

الا ان جيللن ممثلة بعمدتها ترفض العرض بالطبع ، فهي مدينة اوروبية ، تفضل الفقر على سفك الدماء ! والرفض ، قوة نبيلة ازاء العرض المقدم لشراء العدالة . والانتظار ، قدرة واقعية في تقديرها لقيمة العرض .

**المواطن الاول :** لا أريد السجائر المعتادة ، أريد السجائر الخضراء . وقيدها على الحساب .

**السيدة الاولى والسيدة الثانية :** لبن كامل الدسم ، وزبد وكيلوان من الخبز الابيض .

**آل :** لا شك ان السيدتين ورثتا ميراثا طيبا .

**السيدتان :** قيد على الحساب .

**المواطن الثاني :** على المرء أن يرفه عن نفسه . ( وهو ينتعل حذاء جديدا )

وهكذا يحدث الشيء الغريب . ويتقدم آل بطلب القبض على كلير زخانسيان . فاذا كانت المدينة تستدين ، ويرتفع مستوى الرفاهية ، فان ضرورة القتل باتت مؤكدة . ذلك ما يدركه آل . وذلك ما يدفع كلير الى الارتياح بانتظارها ، بل ان آل يدرك حقيقة الجميع الذين ينتظرون هم بدورهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العمدة يطلب الرجال الذين بحوزتهم سلاح . ويرتاب آل : مصاريف اكثر .

لكن العمدة يصبح اكثر وضوحا : ( فأنت يا آل ) ، لا تملك الحق الاخلاقي في ان تطالب بالقاء القبض على السيدة زخانسيان . أما عن تنصيبك عمدة فلا محل لبحثها الآن ، باتفاق جميع الاحزاب .

ويحدس آل ، سرور الناس ، بالرغم من عدم اعتراف القسيس ، فالبنات يزين . والشبان يرتدون قمصانا ملونة . وهو يذوي من الرعب وعندما يسمع دقات جديدة : جرس اخر .. حتى انت ايضا أيها القس ! حتى أنت !

**القس :** اهرب ! ولا تدخلنا في التجربة .

بذلك يكون هيام الفهد حول الكنيسة ، هياما ناجحا . ويسقط الفهد ميتا برصاص أهل جيللن المتجمهرين والمسلحين ، لكنه كناية عن سقوط

مستقبلي لفهد قديم . فعندما يقرر آل الرحيل ، تتجمهر المدينة لوداعه .. ويحس بغريزته ، أنهم يمنعونه من الرحيل ، ليشعر بالضياع .

● ● ●

بقدر ما أتوفر عليه ، من امكانية متواضعة ، لفهم الاشغال الفنية ، فانني لا أستطيع ان افهم هذا النوع من المسرح ، المتمثل في هذه المسرحية على أنه « لا معقول » ( كما يشير اليه اصدار « دار الفكر » الناشرة لهذه المسرحية ــ زيارة السيدة العجوز ــ ) فهي بالنسبة لي تبدو واقعية ، الا من بعض التفاصيل التي تدخل في عداد التقنيات الفنية . يقول كاتبها في ملاحظة له (١) : عندما يقوم أبناء جيللن بدور الاشجار فليس ذلك من أجل تقديم مشهد سريالي بك من أجل جعل قصة الحب التي لا تخلو من الم والتي تقع احداثها في هذه الغابة .. مشهدا مسرحيا أكثر شاعرية » . كما أن هذه التقنيات الفنية ، التي تتجاوز بعض اساسيات المنحى الواقعي ــ الصرف ــ والخاصة بمنطق الاحداث تهدف في تصوري الى واقعية اكثر اقتصادا وأعمق أثرا ، من الناحية الجمالية بمقارنتها مع الالتزام الحرفي ، بالتسلسل الطبيعي للزمان ، وبالاشياء كما تحدث بالضرورة من الناحية الشكلية ، وبالرغم من ذلك ، فان دورنيمان يطرح قضية انسانية ، مشربة بصنوف من المضامين الحادة والحارقة من تفصيلات الاستلاب ، التاريخي للانسان ، مرة أو ساخرة وعلى المستويين الاجتماعي والنفسي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فقضيته عادية ، تتكون من ردود أفعال تتأتى بحسب تحرك الميزان الفطري للشخصين ، ما بين النزعة والحافز والغاية والرادع . ليس الفطري فقط ، بل حتى الطموحات التي صقلت بالتربية تجد ما يساندها من تدريب على المنطق ، لتبرير قيامها . كل ذلك يحدث في سياق يمكن استقراؤه ، قبل اللحظة التي يتم فيها . ومن الخطوة التي تسبقه وتؤدي اليه ــ بفعل الضرورة والاحتمال . بعد ذلك تأتي الخاتمة ، المطرودة بقوة الحس الانساني والمتوخاة عقلانيا . الخاتمة ( خاتمة أية خطوة أو فعل ) اللاعقلانية من حيث المدلول الانساني والعقلانية من حيث المكونات المتراكمة على نحو يفضي الى هذا التحول وهذه النتيجة .

ان شيئا غامضا ، ينمو ويتضخم في الكائن من مواطني جيللن ــ كالافتجاء البيولوجي ــ ويسيل ، بوعي أو دون وعي ، في عالمه ، مشكلا

لارادته المقررة ، وتذكرني هذه الصورة الكلية لتحول الحادث في ــ السيدة العجوز ــ بالنهاية التي صنعها بوشكين لمسرحية « الضيف الحجـري » ( دون جوان ) وذلك عندما حضر التمثال بناء على دعـــوة دون جـوان الساخرة ، فأعطاه يده الحجرية ، وكانت ثقيلـة ، ليستلـب منـه حياته في المقابل .

ان حضور التمثال ، أو زيارة السيدة ، رمزان لشيء واحد . انهمـا يتدفقان سواء في اليد أو في المدينة المشحونة بالرغبة والنزوع للحيـاة ، ليستلبا شيئا في المقابل .

● ● ●

« **كلير زاخانسيان** : اثار مشاعري سروركم الزائد ... لكنني كنت اختلف قليلا عما وصفني به العمدة .. فقد نالني الكثير من الضرب في المدرسة . اما البطاطس التي جدت بها على الارملة ، فقد سرقتها بالاشتراك مع آك . لا لكي اطعم القوادة ، بل لكي اضاجع آل مرة في سريرها ، حيث الهـدوء اوفى مما هو في غابة كونراد فايلر وشونة بطرس » .

بكلمات مقتضبة تنسق كلارا الهالة المفتعلة التي رسمت من حولها . وتعطي جيللن بنفس الكلمات صورتها الفوتوغرافية ، التي تستعيض فيها عن الضوء والظل ، بالوضوح والاغراء . تلك الصورة ، لسيدة تحمل على محفة ، بواسطة رجال حكم عليهم بالاعدام ، ذات أعضاء مركبة . وذات ازواج سبعة ، سيصل عددهم الى تسعة ، مختلفي المهـن ، ممـا يوحي بانضواء كلارا على قوى التحكم والارادة أو قـوى الطاغيـة . لذا كان بامكانها القاء الاسئلة على جدران جيللن التي بلا نوافذ ، مثلما فعلت الهولة على أسوار طيبة .

الا ان هولة الواقع ، اذ تقول : المليار لكم والعدالة لي ! أو بالاحرى المليار لكم وارواحكم الطيبة لي ــ على الطريقة الفاوستية ، تكون قادرة على التفصيل المباشر والصرف : فأمل جيللن ، لم يكن الا جنونا ، ولم تكن مثابرتها الا بلاهة ، ولم تكن تضحيتها الا عبثا ، فكل شيء ملكها . ملك لكـلارا . فجيللن هنا مسوقة الى مصيرها ، دون أن تتمكن من اللجوء الى ارادتها ، وليس من ارادة اذ يسحب البساط المتضمن برسوماته لكل ثراء الحياة ،

من تحت أرجل الناس ، فالطريقة هنا أدنى من النمط الفاوستي ! فهي متخمة بالبؤس .

وكما أن جيللن جعلت من كلارا عاهرة ، تريد هذه الاخيرة أن تجعل من الاولى ماخورا .

● ● ●

من خلال السياق العام لا تلبث حالات من الوعي ، تنتاب المدينة ، تند عن احساس مر بالاضطلاع في مشروع جريمة . في المرة الاولى ، تصدر على شكل اعتراف من رجل الدين : « اهرب ( يا آل ) ، ولا تدخلنا في التجربة » . وتأتي في المرة الثانية عن طريق المدرس ، موجهة للجميع على شكل اتهام : « ستقتل ( يا آل ) ، انني أعرف هذا من البداية ، وسأساهم فيه أيضا بنصيب . انني أشعر كيف أتحول تدريجيا الى قاتل . ايماني بالانسانية لا حول له . ولانني أعرف هذا ، استحلت سكيرا . »

واذا كان آل قد القي في زاوية ضيقة واقفل عليه بوتر خانق فان تطوره الدراماتيكي بات واضحا وعلى درجة شديدة من الخصوصية .. لما اتصفت به ردود أفعاله من سلبية ، فيما بعد ، والذي يجعل من توافقه هارمونيا مع حركة المدينة ، بالدرجات التي انتظمت خطواتها نحو القرار المرفوض مبدئيا . ففي يقيني أن دورنيمات يصور « دراما مدنية » في شخص جيللن الذي يتحول ، بحسب المقولة الارسطية ، بفعل تام من النقيض الى النقيض .

يقول المدرس لآل : « فأنا أعرف أيضا انه سيأتي الينا ذات يوم سيدة عجوز وسيحدث معنا حينذاك ما هو حادث معك الآن » .

ان نواة الحركة ، كما يشعر بها المدرس ، هي « أن الايمان بالانسانية لم يعد بذي حول » . فالمدينة كائنة ، الآن في منتصف السفح من جبل شديد الانحدار . وان كانت عاملة على مقاومة الجاذبية فبقدر ما تتيح لها قواها ، وهي مسألة وقت . حتى اذا ما بدأت الانحدار المقرر ، فانها ستنحدر مع محاولة لاظهاره على انه وليد الارادة الحرة . وربما تمثل ذلك بتبن شرس لشعور طارىء . يقول الاول ، في حال شكاية آل ضد كلارا ، على انها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تلتمس موته ! « اذا حدث منه ذلك فانه يجب علينا أن نتدخل . ليس بسبب المليارة ، بل بسبب غضب الشعب ، فالسيدة زاخانسيان الطيبة قد تحملت بسببه ما فيه الكفاية » . هذه صورة .

● ● ●

والصورة الثانية ، تكون على شكل اختباء من وجه المشكلة ، الذي ربما اثار الرعب أو الاشمئزاز ، أو الحنق على الذات ، وذلك بواسطة الانغماس في الاستهلاك . وهي ظاهرة يمكن ملاحظتها في مجتمعنا ، حيث الواقع المحسوس يستعصي على التفسير أو المواجهة . ويدخل في اطار هذه الصورة ، حتى اقرب الناس الى آل ، وهي زوجته : « فعزيزتنا كلير ... ذات قلب رقيق » . و : « الجميع يستدينون يا عزيزي ... خوفك ببساطة يثير الضحك » .

● ● ●

سيعلن المجلس قبوله لاقتراح السيدة ، بطريقة يبتلعها فضول الصحافة ببلادة ، كما سيبرر المنحة بأواصر الصداقة التي ربطت بين كلارا وآل فيما مضى . وأبعد من ذلك تطلب المدينة ، ممثلة بالعمدة ، من آل أن يعمل على تصفية وجوده بنفسه . الا أن آل الذي يعلن بأنه لن يحتج ولن يدافع عن نفسه ضد رغبة المدينة ، لا يتراجع عن أهمية الاحتفاظ بآخر قيمة في حياته ، وهي الا يجنب المدينة ضرورة أن تكون قاضية جلادة .

لقد كان اجتماع كلارا بآل على غرابته ، يتلخص باللقاء أو التوافق بين تقدير كلير .. وادراك آل ، لطبيعة الاشياء منذ البدء .

**آل :** أوتيللي تأخذ دروسا في الادب . في الانجليزية والفرنسية .

**كلير :** أرايت عاد اليهم الاحساس بهدف في الحياة .

يقول المدرس : « انت امراة محبة مجروحة الفؤاد ، انت تطلبين العدالة المطلقة . انك تترائين لي كبطلة من بطلات الاقدمين حتى لأخالك اشبه بميديا . »

ويقول العمدة : ادخل في الحارة .

يذهب آل ببطء في الطريق الضيقة المكونة من الرجال الصامتين وفي آخرها يقف لاعب الجمباز موازيا له . ويبقى آل واقفا ... يسقط على

ركبته وتتحول الحارة الى كومة من الرجال ، صامتين ، ... وببطء يتكومون عليه ... يتحرك الرجال ...

**الطبيب :** سكتة قلبية .

**العمدة :** وفاة بسبب الفرح !

● ● ●

ويقول دورنيمات : « أود أن أوضح اني في هذه المسرحية اقدم عالما حيا لا مغزى ادبيا كما ينسب لي أحيانا . » (٢)

**سليمان الخليفي**
**ـ الكويت ـ**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ الرؤيا الابداعية ـ مجموعة مقالات ، أشرف على جمعها هانسكارل بلوك، هيرمان سالنجر ترجمة : أسعد حليم ـ ١٠٠٠ كتاب ـ وزارة التعليم العالي ـ والملاحظة لدورنيمات حول مسرحيته .

(٢) نفس المرجع السابق .

# الى القدس

شعر: سعيد كامل محمد علي

— ١ —

يلوك الحزن اشواقي .. يئن اليأس والضجر
يطوحني كما الآمال في جنبي .. تنتحر
فيدميها اللهيب المر .. يدميها .. فتنتشر
بعيد عنك يا قدسي .. فلا ناي ولا وتر
ولا أمل يرعم فيك .. يزهو .. يحلم الزهر
ولا ذكرى تعاودني .. وهل يحلو لي السمر ؟

— ٢ —

بعيد عنك .. راحلتي تجوب الليل والسفرا
تأكل خطوها في الغربة السوداء .. واندثرا
تماوج كرمه في القلب ، في الاعماق ، وازدهرا
يفجر صمت أبعادي .. فيحيا .. تنتشي سحرا
وينساب الضحى النشوان في وطني مدى عطرا

— ٣ —

بعيد عنك يا قدسي .. فلا نجوى ولا أمل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا ضـــوء أذوب فيـــــه انسامـــــي وأغتســـــل
تـــدور .. تـــدور أشواقـــي .. الـــى لقيـــاك تبتهـــل
تلملـــم خصلـــة الاحـــلام مـــن عينيـــك .. تكتحـــل
ففـــي عينيـــك يا قدســـي .. ربيـــع مطلـــق ازل

— ٤ —

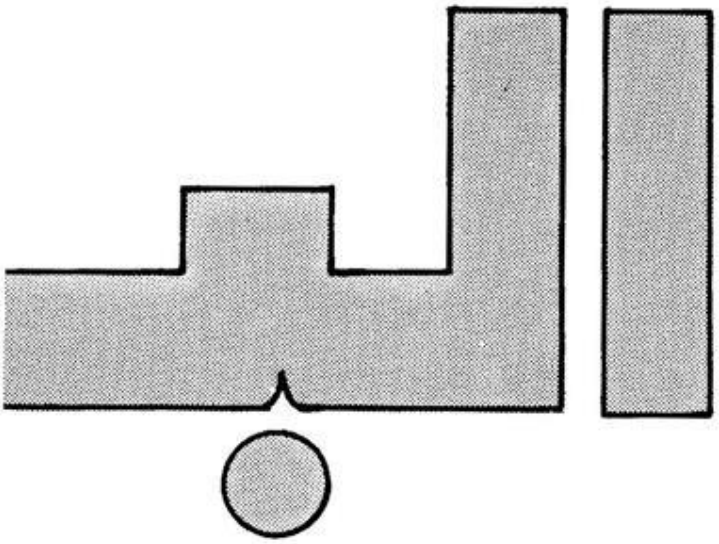
أنهـــب انـــت يا قدســـي لمـــن مـــروا لمـــن عبـــروا
لمـــن نـــزت عيونهـــم دجـــى كالقـــار .. يستعـــر
يبثـــون الضيـــاع المـــر فينـــا .. فالـــرؤى ضجـــر
يقـــال .. يقـــال يا قـــدس سراب فـــي المـــدى نخـــر
بقايـــا رحلـــة خرســـاء .. مـــا غنـــى لهـــا وتـــر
وبيـــت مـــن قصيـــد الشعـــر .. لا فكـــر ولا صور

— ٥ —

غـــدا يا فضتـــي السمـــراء .. أجنـــي منـــك اسعادي
فيخضـــر الـــدم الظمـــآن فـــي اعمـــاق امجـــادي
يضـــم اللـــه فاصلـــة .. تعطـــر دربنـــا الصـــادي
ومـــلء يـــدي جدائلـــك الوضـــاء تلـــم ابعـــادي

— ٦ —

وتختصـــر المـــدى فـــي الرحلـــة الخضـــراء .. نجـــوانـــا
علـــى اوتارنـــا سالـــت معانـــي الشـــوق .. الحانـــا
تغنينـــا .. فتسكـــر بالوصـــال الحلـــو .. لقيـــانـــا
نـــزف الشـــوق رمـــزا مبحـــرا فـــي عمـــق ذكرانـــا
دروبـــا غضـــة الانـــوار .. تاريخـــا وقـــرآنـــا

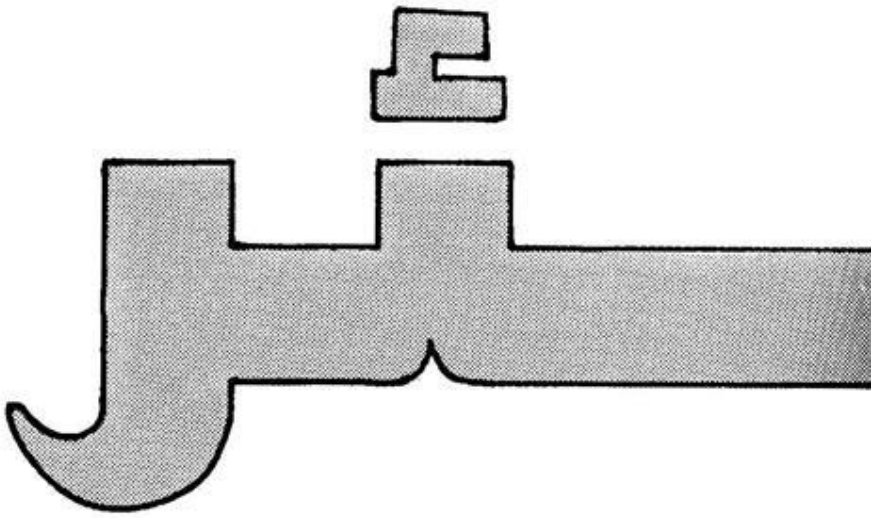


**الزمان :** ما قبل الاسلام

**المكان :** قبيلة من القبائل في الصحراء

**الشخصيات :** مكرمة الراعي ،
ابو صخر التاجر ،
ام صخر ،
الطبيب ،
صخر،
رجل ١ ،
رجل ٢ ،
رجل ٣ ،
الراعي ،
رجال .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



## مسرحية من ٣ فصول

اقبال أحمد عبد الوهاب الزرقي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

### الفصل الاول

يفتح الستار على منظر واحة من الواحات المنتشرة في الصحراء ، ويمتد على الافق بعض الخيام المتناثرة ويتراءى في الواحة خيمة من الخيام تبدو مرقعة بالية ، كما يتداعى الى السمع اصوات خراف ودواب ، يدخل رجل عريض المنكبين ( ابو صخر ) ، تبدو عليه آثار الثراء والنعمة والوجاهة ، يتمنطق سيفا ، ويلبس ثياب التجار من اهل اليسار ، يبدو كأنه يبحث عن احد .

**ابو صخر** : هيه .. الا يوجد احد هنا ؟

.....

**ابو صخر** : اين انت يامكرمة ، هيا اخرج ياصديقي .

.....

يخرج من الخيمة المرقعة رجل قصير القامة ، اسمر البشرة ، طفولي التقاطيع ، سمح الوجه

**مكرمة** : هه .. صديقي ورفيقي ابو صخر الحبيب اهلا بك ، تفضل ( يحييه في شوق ) .

**ابو صخر** : كيف حالك يامكرمة المسكين، انك تبدو تعبا للغاية .

**مكرمة** : انني لا اشعر بالتعب ولي صديق مثلك .

**ابو صخر** : تذكر انني لست صديقك الوحيد ... هناك اصدقاء كثيرون لك يا مكرمة .

**مكرمة** : ولكنك اكثرهم وفاء يا أبا صخر العزيز .

**ابو صخر** : صدقت يا مكرمة ، فانني الوحيد الذي أمر عليك كل يوم ، .. هه ..، لم تقل لي كيف حال خروفيك الهزيلين .

**مكرمة** : لم يعودا هزيلين ، لقد حل الشتاء ، ونبت العشب الاخضر الجميل .... ، الا تراه حولك ايها الصديق العزيز ؟.

**ابو صخر** : ( يتلفت حوله ) : ـ صدقت يامكرمة ، ولكن قل لي ...، اين لبنك الدسم الذي عودتني عليه ؟ ام انك قد نسيت ؟

**مكرمة** : وهل يغيب عني ذلك ؟ لقد اعددت لك اناء كبيرا يفيض باللبن حتى تفرح اهلك .

**ابو صخر** : والله انني لسعيد جدا يا مكرمة ( في فرح ) .

**مكرمة** : حسنا ، الا تقول لي ماهو السر في سعادتك ؟

**ابو صخر** : اشعر فعلا بأننا اصدقاء حقيقيون ، يجب ان يكون كل شيء بين الاصدقاء بالمجان ودون مقابل . ( يضحك مكرمة سعيدا ) .

**مكرمة** : الحق ما تقول ... ماأسعدني بصديق عظيم يمتلك هذه المبادىء النبيلة مثلك .

**ابو صخر** : انني اعرف حق الصداقة يامكرمة .

**مكرمة** : ليت كل اصدقائي مثلك يا أبا صخر .

**ابو صخر** : سأدعو الله لك يامكرمة ( يهم بالوقوف )

**مكرمة** : اتريد الانصراف الآن ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**ابو صخر** : نعم يا مكرمة ، فأنت تعرف انني لست مثلك ، انت لا تملك من الرزق الا هذه الواحة الصغيرة وهذين الخروفين الهزيلين ، وهكذا فانه لا مشاغل لك .

**مكرمة** : أجل .. اعرف ذلك ( يتنهد ) .

**ابو صخر** : اما انا فعندي الكثير من المشاغل .

**مكرمة** : أعانك الله يا صديقي العزيز ، ولكن لاتنس ان تمر علي .

**أبو صخر** : بالطبع ، كيف انسى ! ، استودعك الله ( يحمل اناء اللبن معه)

**مكرمة** : صحبتك السلامة .

يحدث مكرمة نفسه سعيدا .

**مكرمة** : آه ، ما أسعدني بأبي صخر ... بودي لو اكتب كل ما يقوله من كلمات رائعة . ( يصفر لحنا من الحان الرعاة الحلوة ، ويدخل الخباء ، ثم يدخل رجلان اثنان الى المسرح ) .

**رجل ١** : انظر الى الخضرة التي كست الواحات يا عمرو !!

**رجل ٢** : ما أعظم قدرة الآلهة .

**رجل ١** : حقا ، ان آلهتنا لعظيمة ، انظر الى واحة مكرمة ، وكيف كستها الخضرة البديعة بعد ان كانت جرداء عارية طوال الصيف الفائت !

**رجل ٢** : مسكين مكرمة ، في الشتاء حياته وفي الصيف هلاكه .

**رجل ١** : انه ليس بمسكين ، فله كثير من الاصدقاء ، ولا شك انهم يساعدونه .

**رجل ٢** : اي اصدقاء يا ابله ؟

**رجل ١** : الا تعرف صديقه التاجر العظيم ابا صخر ؟

**رجل ٢** : نعم ، أعرفه بلا شك . من لا يعرف ذلك التاجر الذي يمتلك مئات الاكياس من البرسيم والحبوب المختلفة ، والذي يمتلك قطيع الخرفان ذات الصوف الكثير ، والذي يمتلك من المال الكثير الكثير ... ، ولكن اتعتقد انه لا يساعد مكرمة حقا ؟

**رجل ١** : بالطبع يا رجل ...، هذه حقوق الصداقة .

**رجل ٢** : هذا ما تقوله انت ، ولكن احدا من رجال القبيلة لم ير ابا صخر قط قد أهدى مكرمة شيئا صغيرا !.

**رجل ١** : الا يهتم مكرمة لذلك ؟.

**رجل ٢** : انه رجل فقير طيب ، يرى الصداقة دون مقابل او مصلحة .

**رجل ١** : ان ما يحتاجه الانسان صديق حقيقي فعلا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**رجـــل ٢ :** نعم ، ان مكرمة صديق حقيقي ، ولكنه لا يخلو من السذاجة والغفلة .

**رجـــل ١ :** وكيف ذلك بالله عليك ...، هه .. قل لي .

**رجـــل ٢ :** يا رجل ..، الا تفهم !، مادام ابو صخر صديقا لمكرمة ، فيجب ان ينتفع مكرمة منه ...، والا كيف يكون صديقا له ؟!

**رجـــل ١ :** الم تقل لي ان مكرمة لا يهتم لذلك الامر ؟

**رجـــل ٢ :** ولان مكرمة لا يهتم لذلك ، فهو مغفل ساذج .

**رجـــل ١ :** الفقراء دائما مغفلون وساذجون يا صديقي .

**رجـــل ٢ :** صدقت يا صاحبي ، فكلما ازداد هؤلاء القوم فقرا ، ازدادوا غبـــــاء .

**رجـــل ١ :** هيا ياصديقي ...، لننس الفقر والفقراء .

**رجـــل ٢ :** ( يضحك ) : ــ والا اصبحنا في الحال اغبيا . ( يضحكان ) يقفل الستار .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## الفصل الثاني

### المشهد الاول :

يفتح الستار على مشهد لخيمة مفتوحة كبيرة ، يبدو عليها من الداخل الرفاهية والدعة والترف ، يبـــدو ابو صخر وزوجـــه وولده صخر .

**الزوجـــة :** آه ، ماهذا الحر البغيض ... ، لكم ان شتاءنا قصير ، وصيفنا طويل .

**ابو صخر :** ان الجو في البادية لا يرحم يا ام صخر ، ... ، هيه ، اني اتذكر الشتاء وكأنه بالامس .

**الزوجـــة :** لكم اتضايق من هذا الحر اللاهب ، ان الحرارة شديدة ، ولا استطيع ان اعود رفيقاتي .

**أبو صخر** : لقد ذكرتني بمكرمة المسكين ، ولكن ليس ثمة نفع من ذهابي لرؤيته مادام الحر لاهبا ، والصيف مستمرا ، وليس من المناسب ابدا ان نعوده وهو على هذه الحال .

**الزوجة** : ذلك افضل ، فلا شك ان مكرمة في ضيق شديد الآن .

**أبو صخر** : صدقت يا ام صخر ، فحين يقع الناس بضيق ، يجب من يتركوا وحدهم ولا يزعجوا بالزوار .

**الزوجة** : الحق ما تقول يا ابا صخر .

( تتحدث بذلك وهي تجرب بعض الاردية والملابس ) .

**أبو صخر** : هذه على الاقل ، ارائي عن الصداقة ، وانا متأكد انني على صواب ، لذا فسأنتظر حتى قدوم الشتاء ، وحينذاك سأزور مكرمة ، وسيكون قادرا على اعطائي اناء لبن كبيرا ، وسيجعله هذا سعيدا جدا .

**الزوجة** : انت بالتأكيد كثير الاهتمام بالآخرين يا ابا صخر .

( قالت الزوجة ذلك بينما كانت تجلس القرفصاء في راحة ، تتناول بعض الطعام ( الشهي البارد ) وتابعت قائلة :

**الزوجة** : كثير الاهتمام بلا شك ، انه لشعور جميل حقا ان اسمعك تتكلم عن الصداقة ، اني متأكدة ان كاهن الالهة نفسه لا يمكن ان يقول اشياء جميلة كتلك التي تقولها مع انه اغنى منك ويمتلك حلى ذهبية جميلة . ( قالت ذلك واخذت تتأمل يديها اللتين التفتا بأساور ذهبية ) .

**الابن** : ولكن الا نستطيع ان ندعو مكرمة الى هنا ؟ اذا كان مكرمة المسكين في ضيق ، فسأعطيه نصف طعامي ، وسأريه خروفي الصغير الابيض .

**أبو صخر** : ( صائحا ) يا لك من صبي ابله ...، انا والله لست ادري ، ماذا يعلمك معلمك ابو دلامة من اشياء مفيدة ؟.

**الابن** : انه يعلمني كل شيء يا ابي .

**أبو صخر** : يبدو انك لم تتعلم شيئا .، اذا جاء مكرمة هنا ، وراى ما نحن عليه من ثراء ونعمة ، وراى طعامنا وشرابنا الجديد ، فربما سيصبح حسودا ، والحسد اكثر الاشياء ازعاجا ويفسد طبيعة كل شخص ، الم يعلمك معلمك ان الحسد هو اسوأ الصفات يا ابله .. ( مخاطبا ولده ) ويتابع :

**أبو صخر :** انا بالتأكيد ، لا اسمح لطبيعة مكرمة ان تكون فاسدة ، انا افضل اصدقائه ، وسأعنى به دائما ، وسوف اراقبه بحيث لا تؤثر فيه المغريات .

**الزوجة :** نعم الصداقة هي .

**أبو صخر :** بالاضافة الى ذلك فان مكرمة لو جاء هنا ، فربما سيسألني ان أعطيه شيئا من البرسيم والحبوب بالدين ، وانت تعرفين ان قاموسي يقول بأن الدين ممنوع ، البرسيم شيء والصداقة شيء اخر ، ويجب الا يخلطا .

**الزوجة :** كم هو رائع كلامك . ( تصب لنفسها قدحا من الشراب وتتابع )

**الزوجة :** آه .. انني أشعر بالنعاس ( تتثاءب ) .

**أبو صخر :** كثيرون من الناس يعملون بصورة جيدة ، ولكن قليلين جدا هم الذين يتكلمون بصورة جيدة ، افهمت ايها الولد الابله .
( ينظر الى ابنه الذي أخذ يبكي نادما ) .

**الزوجة :** عليك ان تعذره يا أبا صخر ، فهو لايزال صغيرا جدا ، هيا لننام ، فاني اشعر بالتعب .

**أبو صخر :** هيه .. الدنيا كلها تعب .

يقفل الستار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## المشهد الثاني :

يفتح الستار على واحة مكرمة مليئة بالخضرة من جديد ، يعمل مكرمة في الواحة بنشاط ، ويدخل التاجر ابو صخر ومعه اناء كبير .

**أبو صخر :** السلام عليك يا مكرمة

**مكرمة :** وعليك السلام يا صديقي العزيز ( يبتسم سعيدا )

**أبو صخر :** كيف حالك طيلة الصيف الفائت ؟

**مكرمة :** لا بأس يا صديقي . ( تابع قائلا بفرح ) :

**مكرمة :** انه لجميل منك ان تسأل ، جميل جدا ، لقد قضيت وقتا صعبا فيه ، اما الان فقد حل الشتاء ومن بعده سيأتي الربيع ، وانا فرح جدا .

**أبو صخر** : لقد تكلمنا عنك خلال الصيف كثيرا يا مكرمة ، وكنا نتساءل في اي حال انت ؟

**مكرمة** : كان ذلك عطفا منك ، في الحقيقة كنت خائفا قليلا ان تكون قد نسيتني .

**أبو صخر** : عجبا لك يا مكرمة ، الصداقة لا تنسى ابدا ، وهذا هو اجمل ما فيها ..،

( يتابع وهو ينظر الى العشب ) :

**أبو صخر** : آه .. كم يبدو العشب جميلا .

**مكرمة** : انه جميل فعلا ، وسوف يطعم الدابة ، فتدر اللبن الغزير ، وسأجلبه الى السوق فأبيعه ، واسترد بذلك خروفي الذي بعته لابي عمرو .

**أبو صخر** : ( صائحا ) تسترد خروفك ؟ لاشك انك تمزح .

( ينظر الى مكرمة الذي هز راسه نافيا المزاح )

**أبو صخر** : يا لك من أحمق يا مكرمة .

**مكرمة** : كنت مضطرا لذلك ، لم يكن عندي أي نقود لاشتري خبزا يسد جوعي فبعت اولا ردائي الذي ارتديه في الاعياد ، ثم بعت وسائدي الصغيرة المزخرفة ، واخيرا بعت خروفي الصغير ، ولكني سأسترجعها جميعا الان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**أبو صخر** : ( ينظر الى مكرمة ثم يقول مفتخرا ) : مكرمة ... قررت ان اعطيك بئر المياه الصغيرة التي أمتلكها ، انها ليست بحالة جيدة في الحقيقة انها تحتاج الى بعض الاصلاحات كي تحصل على الماء منها ، انا اعرف ان ذلك كرم عظيم مني ، وسيعتقد اناس كثيرون انني مجنون لانني اتخلى عنها ، ولكنني لست مثل غيري ، انا اعتقد ان الكرم هو جوهر الصداقة ، هذا بالاضافة الى ان عندي بئرا جديدة كبيرة ، نعم ... لا تخف يا مكرمة ، سأعطيك بئر الماء الصغيرة .

**مكرمة** : انه لكرم منك حقا ( بسعادة كبيرة ومضطربة ) ، استطيع بسهولة ان استفيد منها ، ان لدي لوحا خشبيا سميكا .

**أبو صخر** : لوح خشب ، هذا بالضبط ما احتاجه ، ان قطيع الخراف الذي امتلكه لاشك لن يهرب مني ، سيسد هذا اللوح الخشبي الثغرة في السور الصغير ، انه لشيء رائع فعلا . ( يتابع ) :

**أبو صخر :** انظر يا مكرمة كيف ان عملا حسنا واحدا يولد اخر دائما ، لقد اعطيتك البئر وانت ستعطيني لوحك الخشبي ، البئر بالطبع احسن بكثير من اللوح الخشبي ؛ ولكن الصداقة الحقيقية لا تكترث لمثل هذه الامور ... ( يخاطب مكرمة ) ، ارجوك ، اجلب اللوح حالا .

**مكرمة :** بكل تأكيد ، ( واحضر اللوح الخشبي ) .

**أبو صخر :** انه ليس كبيرا جدا ، ( يتأمل اللوح ) ؛ وانني خائف انه لن يترك لك اي شيء لاصلاح البئر ؛ ولكن ليس هذا خطأي ، ( يتابع )، والان بما انني اعطيتك البئر ؛ انا متأكد انك راغب ان تعطيني بعض اللبن بالمقابل ؛ اليك الاناء ؛ لاتنس ان تملأه تماما .

**مكرمة :** ( صائحا ) سأملأه تماما .

**أبو صخر :** بما انني اعطيتك البئر ؛ فانه ليس كثيرا ان اسألك لبنا قليلا ، ربما اكون مخطئا ، ولكن كان علي ان افكر ان الصداقة الحقيقية ، كانت متحررة من كل انانية .

**مكرمة :** لله درك يا صديقي العزيز .. ، على الرحب والسعة ، كل اللبن ، .. انا افضل صداقتك على استرداد وسائدي وردائي وخروفي ( ملأ له الاناء باللبن ) .

**أبو صخر :** استودعك الله يا مكرمة ( منصرفا ) .

**مكرمة :** صحبتك السلامة

( يدندن مكرمة في الحقل ويعمل ) .

تخفت الانوار

تضاء الانوار مرة اخرى على نفس المشهد ، ومكرمة يعمل ، يدخل ابو صخر .

**أبو صخر :** صديقي العزيز مكرمة ، هل يضيرك ان تحمل معي كيس الحبوب هذا الى السوق .

**مكرمة :** اه ... اني في غاية الاسف ، فأنا مشغول جدا الان .

**أبو صخر :** اعتقد يا مكرمة خاصة اني سأعطيك بئر المياه الصغيرة ، ان عدم مساعدتك لي ليست من صفات الصديق .

**مكرمة :** بالله عليك لاتقل ذلك ، لن اكون الا صديقك الوفي ، ولن اتخلى عنك ( وحمل الكيس ) .

تخفت الانوار

تضاء الانوار مرة اخرى على مكرمة وهو نائم في الواحة ، حيث يسمع صوت شخيره ، يدخل ابو صخر ، ويحاول ان يوقظ مكرمة .

**ابو صخر :** والله انك لكسول جدا ، وبما انني سأعطيك بئر المياه ، فاني اعتقد انه يجب ان تضاعف كدك ، البطالة ذنب عظيم ، انا بالتأكيد لا احب لاي صديق من اصدقائي ان يكون كسولا .

**مكرمة :** يستيقظ .. ويقول : انني في غاية الاسف ، ولكنني كنت مجهدا بعد ليلة امس .

**ابو صخر :** حسنا ياصديقي ، ولكن يجب ان تنشط الان ، اريدك ان تأتي معي كي تصلح السور .

**مكرمة :** هل تعتقد انني لن اكون وفيا سأذهب معك حتما .

**ابو صخر :** انا لا اسألك شيئا مع انني سأعطيك البئر الصغيرة ، ولكن اذا رفضت سأذهب واعمل بنفسي .

**مكرمة :** والله لن اردك ابدا .

**ابو صخر :** هكذا تكون الصداقة ..، ينقصك الكثير كي تتعلم يا مكرمة

( يتحدثان بينما يسيران )

**مكرمة :** اني احاول ان اتعلم منك دائما .

**ابو صخر :** تأكد يا مكرمة انه ليس هناك من عمل بهيج جدا كالعمل للاخرين

**مكرمة :** لكم اتمنى ان تكون لي أفكار جميلة كأفكارك .

**ابو صخر :** لا تقلق ، انها ستأتي اليك ، هناك اشياء كثيرة يجب ان تتعلمها في هذه الحياة ...، وبالمناسبة ...، بما انني سأعطيك البئر فانني اود ان ترعى خرافي غدا كما اريد ان تبتاع لي بعض الاغراض بعد غد ، واريد ان تقوم بترتيب اكياس الحبوب وتوزيعها .. ، اخذا باعتبارك انني سأعطيك البئر ، وكما قلت لك ، هناك اشياء كثيرة يجب ان تتعلمها !

يقفل الستار

## الفصل الثالث

### المشهد الاول :

يفتح الستار على اصوات عواصف برقية وهطول امطار ،وتبرز لنا واحة مكرمة ، كما يتبين لنا من الخباء ان مكرمة نائم ، صوت صهيل فرس قادم . . . يدخل ابو صخر ويوقظ مكرمة .

**أبو صخر :** ايها العزيز مكرمة ، انا بضيق كبير ، لقد سقط ابني الصغير من على السور واذى نفسه ، وانا ذاهب الى طبيب القبيلة ،ولكنه بعيد جدا ، . . ( يتابع ) ، هذه ليلة سيئة جدا ، وقد خطر ببالي توا انك لو ذهبت بدلا عني لكان ذلك افضل بكثير ، انت تعلم انني سأعطيك البئر الصغيرة ، لذا فانه من الانصاف ان تصنع لي معروفا بالمقابل .

**مكرمة :** بكل تأكيد يا صديقي العزيز ، ولكن عليك ان تعيرني فرسك لان الطريق وعرة واخاف ان اقع في حفرة .

**أبو صخر :** اسف جدا ، انها فرس جيدة .

**مكرمة :** ولكـــن . . . .

**أبو صخر :** اخاف ان افقد الفرس يا صديقي .

**مكرمة :** وانا الا تخاف ان تفقدني ؟

**أبو صخر :** انا لا اخاف على سبع مثلك يا مكرمة

**مكرمة :** حتى السبع في هذه الليلة المرعبة يرتعش خوفا .

**أبو صخر :** الا انت . . ارجوك يا مكرمة ان تلبي طلبي ، اخذا في اعتبارك اني سأعطيك البئر الصغيرة .

**مكرمة :** ( مترددا ) : ـــ حسنا ، لا تهتم ، سأذهب ماشيا .

( ارتدى ملابس ثقيلة )

يقفل الستار على دوي العاصفة

### المشهد الثاني :

يفتح الستار على خباء يختلف عن خباء مكرمة ، يدخل مكرمة لاهثا مبللا .

**مكرمة :** ايها الطبيب ، اخرج ارجوك .

**الطبيب :** من القادم في هذا الجو المخيف ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**مكرمة** : مكرمة الراعي ، ايها الطبيب .
**الطبيب** : ( يخرج قائلا ) : ماذا تريد يا مكرمة ؟ تفضل .
**مكرمة** : لقد سقط ابن ابي صخر التاجر من على السور واذى نفسه ويريدك ابو صخر ان تعوده حالا .
**الطبيب** : حسنا ، انتظر ، ريثما احضر الفرس ، ولكن ...
**مكرمة** : ماذا ايها الطبيب ؟
**الطبيب** : الفرس لا تحتملنا نحن الاثنين فماذا ستفعل ؟
**مكرمة** : لا تقلق بشأني ، ايها الطبيب ، سأعود ماشيا .
**الطبيب** : اخاف ان تضل الطريق .
**مكرمة** : لا تخف ، سأتبعك
**الطبيب** : ولكـــن
**مكرمة** : مثلما اتيت سالما .. سأرجع سالما .
( تخفت الانوار وتشتد العاصفة )
يسمع صوت الطبيب :
**الطبيب** : هل انت هنا يا مكرمة ؟
**مكرمة** : اني هنا ( بصوت ضعيف )
**الطبيب** : اجتهد يا مكرمة ، سوف نصل
**مكرمة** : انا ..... ( بصوت متقطع )
( تشتد العاصفة اكثر ويضيع صوت مكرمة )
يقفـــل الستار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**المشهد الثالث :**

يفتح الستار على ساحة كبيرة ، وفيها تجمعات من الرجال ، من بينهم ابو صخر التاجر ،
**رجـــل ١** : من يصدق ان العاصفة الملعونة قد انتهت على خير ؟
**رجـــل ٢** : اي خير يا رجل ومكرمة لا اثر له ! الم تعثروا عليه بعد يا ابا صخر .
**أبو صخر** : لم نعثر عليه ابدا المسكين
**رجـــل ٣** : فلنصل للالهة في المعبد ، علنا نجده سليما معافى
( يدخل احد الرعاة باندفاع صائحا ) :
**الراعي** : يا قوم ، يا قوم ...
**أبو صخر** : ما بك ايها الراعـــي ؟

**الراعي** : لقد عثرنا على جثة مكرمة المسكين

**أبو صخر** : تقول جثـــة ؟! ( بهلع )

( همهمات رجال : يا للهول ، ياللمأساة !! ) .

**رجـــل ١** : واين هي الان ؟

**الراعي** : انهم يحملونها في الطريق

**أبو صخر** : وكيف وجدتمـــوه ؟

**الراعي** : يبدو ان المسكين قد سقط في حفرة عميقة ، مليئة بالمياه ، لقد غرق المسكين خاصة ان السيول اشتدت اكثر .

**رجـــل ١** : كان مكرمة محبوبا

**رجـــل ٢** : وكان ودودا .

**رجـــل ٣** : وكان وفيا ، اليس كذلك يا ابا صخر ؟

**أبو صخر** : نعم ...، نعم ، ولقد كنت من افضل اصدقائه .

( يدخل قوم يحملون تابوتا )

**رجـــل ١** : يجب ان نكون في جنازته جميعا

**رجـــل ٢** : ان مكرمة يستحق كل التكريم في مماته ، هيا لنصطف جميعا .

**أبو صخر** : بما انني كنت افضل اصدقائه ، فانه من الانصاف ان يكون لي المكان الافضل ...، اليس كذلك ياقوم ؟

**الرجـــال** : نعم .. نعم ، ان ذلك من حقك .

**أبو صخر** : آه ، ماأشد حزني على مكرمة ( بحزن ) .

يسير القوم جميعا وراء التابوت ، بينما يسير ابو صخر في المقدمة ، يسمع صوت موسيقى حزينة وسط ترديدات الرجال

**رجـــل ١** : كان وفيـــا

**رجـــل ٢** : كان محبـــا للخـــير

**رجـــل ٣** : كان طيبـــا

**رجـــل ٤** : كان ودودا .

**مكرمة** : وكان فقـــيرا !!

تخفت الانـــوار

تضاء الانوار من جديد ، ويدخل القوم مرة اخرى ويجلسون .

**رجـــل ١** : هيه ، لقد تعبنـــا

**أبو صخر** : اه ... لقد تعبت للغاية ، مارايكم بقليل من الشراب يبـــل ظمأنا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**رجـــل ٢ :** هيا يا غلام ، ائتنا بالشراب في الحال

( يوزع الشراب )

**رجـــل ١ :** ماذا كان يضر الالهة لو ابقت على مكرمة الطيب .

**رجـــل ٢ :** اصمت والا سمعتك الالهة .

**رجـــل ١ :** ولكن مكرمـــة طيب

**رجـــل ٣ :** الا تعرف ان الطيب حبيب الالهة

**رجـــل ١ :** ولذا فان الالهة اختارته من بيننا

**رجـــل ٢ :** اذن ، فان مكرمة محظوظ جدا .

**رجـــل ٣ :** بالطبع ، ولكن هل تعتقد حقا انه سعيد بذلك ؟

**رجـــل ٢ :** ولم لا ، والالهة قد اختارته الى جوارها ؟

**ابو صخر :** اذن ، فمكرمة لم يفقد شيئا ابدا .

**رجـــل ١ :** سواء فقد او لم يفقد ، فانه فقدان عظيم لكل واحد .

**ابو صخر :** انه لفقدان عظيم لي على اية حال ، فان مكرمة لم يفقد شيئا كما ترون

**رجـــل ٣ :** اجـــل ... اجـــل .

**ابو صخر :** انا عمليا اعطيته بئر المياه .

**رجـــل ١ :** تقول عمليـــا ؟!

**ابو صخر :** نعم ، عمليا ، والان لا ادري حقا ما انا فاعل بها ، انا لا اطيقها وهي في حالة سيئة جدا ، بحيث لا استطيع ان احصل على اي شيء اذا بعتها . ( يتابع ) انا بالتأكيد سأحرص على ان لا اعطي شيئا ثانية ، المرء يعاني من كونه كريما . (يقف) .

**رجـــل ٣ :** ( يقف ايضا متحدثا ) : اتعنى ان الكرم متعب ؟ ( باهتمام )

**ابو صخر :** بالطبع مثله مثل الصداقة .

**رجـــل ٣ :** انك تقول اشياء جميلة وعظيمة جدا يا ابا صخر .

**ابو صخر :** كل الاشياء تبدو عظيمة يا رجل .

**رجـــل ٣ :** لله درك ، بودي لو اتعلم شيئا جديدا منك .

**ابو صخر :** هناك الكثير من الاشياء التي يجب ان تتعلمها في هذه الحياة، هذا ما اقوله ، دائما .

**رجـــل ٣ :** فكيف اتعلمها بالله عليك ؟

**ابو صخر :** يجب ان اكون صديقا لك اولا .

**رجـــل ٣ :** وهل تقبل ان تكون صديقا لي يا ابا صخر .

**ابو صخر :** حسنا ، سأتلطف ، واكون صديقا لك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**رجـــل ٣ :** وافرحتاه ..، انني حقا لسعيد ، هيا علمني مما تعـــــــرف ( يمشيان ) .

( يتحدث ابو صخر بينما كانا يسيران الى الخارج )

**أبو صخر :** يجب ان تعلم يا عزيزي ان من اول حقوق الصداقة ان يكون كل شيء بين الاصدقاء بالمجان ودون مقابل ، ولذا فسأفكـــر قليلا ، فربما سأعطيك البئر .

**رجـــل ٣ :** حقـــا ( بفرح ) .

**أبو صخر :** وبالمناسبة ، بما انني سأعطيك البئر ، هلا اتيت اليوم الـــي وساعدتني في نقل اكياس الحبوب ، ورعاية قطعان الخراف المزعجة ، واصلاح السور ، وابتياع بعض حاجياتي ، انهـــا اشياء بسيطة كما ترى خاصة اذا اخذت باعتبارك انـــي سأعطيك البئر ...

يتابع ابو صخر قائلا :

ـــ انها حقوق الصداقة كما تعرف ..، اه لقد تذكرت .. وأيضا أريدك ان تأتي الي ببعض الصوف الفاخر الذي تجـــزه ...، بالطبع ، انت لا تمانع ..، الم نتفق قبل قليل ان كل شيء بين الاصدقاء بالمجان ياعزيزي !!.

يقفـــل الستـــار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



قصة قصيرة

# أوراق سرية عن جريمة قتل « الجابر آدم »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم : محمد محمد يوسف

* مفتتح (١)

* عثرت بعثة اثرية على هذه الاوراق السرية في لفافة من ورق « البردى » كانت مخبوءة ( كالسر المكنون ) في صدر النيل ..

كانت مختومة بالشمع الاحمر ، لانها كانت « قرينة » من قرائن التهم الموجهة ضد النيل في عصر « الفرعون الرمادي » المشهور باسم « الفرعون ذي الوجوه الثلاثة » .

والاصل في الحكاية أن النيل قد أخفى في صدره بعض الاشياء الممنوعة في عصر « الفرعون ذي الوجوه الثلاثة » ؛ مثل أغاني المقاومة والحرية ، وبنادق الشهداء الذيـــن استشهدوا في « سيناء » دون حرب ، والاوراق السرية التي كتبها الراقصون ؛ وأخفوها في جوف الارض ، ثم أخذهـــا النيل وأخفاها في صدره .

فلما جاء عصر الهتك ، والقمع ، وسحق حذاء « الفرعون الرمادي » الاحياء والشهداء ؛ لم يبق في المدينة أحد الا بطانة « الفرعون » ، وحاملو المباخر ، وماسحو الجوخ ، ومدلكو جسم الفرعون بماء الورد والياسمين .

. . . . . .

. . . . . .

وماتت المدينـــة ..
وانتهى زمان ، وجـــاء زمان ،
وقامت المدينة من موتها ،
و .. فتح الاثريـــون صدر النيل . *

## شهادة مكتوبـــة بالـــدم

**مفتتح (٢)**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نشهد ـــ نحن الموقعين ـــ أدناه ، ان عصر « الفرعون الرمادي » كان عصرا رديئـــا ، بشعـــا .
كان باطل الاباطيل ، وقبض الريح ..
سجن الفرعون ذو الوجوه الثلاثة :
ـــ النيـــل ،
ـــ والشهـــداء ،
ـــ وخلقا كثيرين مثـــل النمل
ـــ ومبدعـــي الافكـــار ،
ـــ وعاشقي الارض ،
ـــ ومحبي الحريـــة ،
ـــ ومغني الشمس ،
ـــ وزارعي الارض ،
ـــ وحارسي سنابـــل الامل ..

.. ثم أصدر أمرا بتحويل الدم الى مـــاء فتسابق الخصيان لنبش قبور الشهداء ، وتمزيق أواصر النيل ، وبهاء المقاومة ، وأخرج الخصيان سيوفهم الخشبية ، ليقنعوا النمل المقهور أن الفرعون الرمادي قد انتصر .

. . . . . .

كان عصرا رديئا ، بشعـــا
اليس كذلـــك ؟؟

**المقرون بما فيه :**

**ـ النمل المقهور في المدينة**

**ـ الشـــهداء في سيناء ، والقـــدس ، والضفة ، والجـــولان .**

**ـ الذين قالوا « لا » للفرعون الرمادي ( ذي الوجوه الثلاثة ) .**

( ١ )

* نهض « الجابر آدم » من مرقده ، وفتح عينيه ، ومد يده ليضع بندقيته على كتفه فاكتشف أنها قد تحولت الى صبارة جبلية تكسوها طبقة سميكة من رمل سيناء ..

لكنه تصرف بطريقة الجندي الملتزم ، حين سمع صوت قائـــده يهتف داخلـــه :

ـ ان ارادة القتال ان تخترع بندقية اذا لم تكن معك بندقية ، لان بندقيتك هي امراتك ، هي شرفك ، هي كرامتك ..

كان يدهش « الجابر آدم » أن قائده فذ متميز في كل شيء ، في ايمانه بتحرير الارض ، ودفع مهرها بالـــدم ، ولغته ، وفصاحته ، وصرامته ، وبساطته معا ، وفضلا عن ذلك ، فانه لم يكن مثل بقية الجنرالات الكبار أقنعـــة ملونة من الشمع اذا مستها اشعـــة الشمس ذابت وتفتتت فاذا الوجوه وجوه حيوانات غبية ، كان قائد « الجابر آدم » جنديا مسلحـــا بمهارات عسكرية عالية ، وعقيدة قتالية راقية ، وكان يحب الجنود .

وكان « الجابر آدم » أميا ، لا يقرأ ولا يكتب ، لكنه كان يحفظ كلمات قائده عن ظهر قلب ، فيبدو فصيحا ، بليغـــا على درجة كبيرة من الوعي .

وكان « الجابر آدم » مفتونا بعبارة قائده البليغة :
ـ الوطن هو بيت أمك .. فمـاذا انت صانع اذا اقتحم الاعداء بيت أمك ؟؟

( قال لي صاحبي « محمد سعيد » ، المهندس الزراعي ، خريـج جامعة الاسكندرية ، الذي اسقط ست طائرات فانتوم امريكية بصواريخه التي كان يحملها على كتفه ، سام ٦ ، بعد عودته مظفرا من حرب اكتوبر « تشرين » :

ـ كان ينام معي في الخندق ، رجل ولا كل الرجال ، جندي يساوي مائة جندي ، صعيدي ، أسواني منحوت من طمي النيل ، متزوج حديثـا ، وامراته حامل ، أمي ، لا يقرأ ولا يكتب ، لكن جذوة العشق تتوهج فـي صدره كالجمرة المتقدة ، فيبدو أفصح مني ، انا خريج الجامعة ، التقدمي ، اليساري الذي يقرأ اشعار « ايلوار » ، و « بابلو نيرودا » ، ومسرحيات « بريخت » ، و « بيتر فايس » .

تصور يا صاحبي انه كان يقول لي ، وهو يحتضن بندقيته :
ـ أريد أن أذوب في هذه الارض .. انها كالمغناطيس تجذب جسدي اليهـا ..

ونتضاحـك ، واحـاوره :
ـ اين قرأت هذه الكلمـات يا جابر ؟؟
كان اسمه « جابر آدم » .
قلت لصاحبي « محمد سعيد » :
ـ « جابر » ، و « آدم » ، هو اذن ابو البشرية .. آسف .. ابو الجنود .. اسم غريب ياصاحبي ؟...
وقاطعني « محمد سعيد » محتدا :
ـ انتظر يا صاحبي ، هل تدري ماذا كان جوابه ؟؟
مـاذا ؟؟ .
ـ قرأت هذه الكلمـات في كتاب الارض ..

ـ أينا الامي اذن يا « جابر » ، انا ام انت ؟؟ من اين تأتي بهـذه الكلمـات وانت لا تقرأ ولا تكتب ؟
فكان يضحك ، فيشرق وجهه ، ويقول :
ـ من هنا ..
ويشير الى صدره .

ـ النار في قلبي .. فمتى يأتي اليوم الذي أخرج فيه جمرة النار من صدري واستريح ..

وشهق « محمد سعيد » ، حتى رجت شهقته الغرفة ، وتماوجت الشهقة ، وتكثفت فاتخذت هيئة الصهيل ، وقال :

ـ وجاء اليوم وحاربنا .. واستشهد « جابر آدم » وقرات على روحه الفاتحة وآيات قصيرة من القرآن ، ودفنته بيدي في رمل سيناء .

ـ لا تحزن يا صاحبي .. يحارب الجنود ويموتون ، وينالون الشهادة ، ولا يموت الجنرالات لكي ينالوا الاوسمة والنياشين في احتفالات فخمة تبثها الاذاعة و « التلفزيون » .. أليس كذلك ؟؟ .

وتضاحكنا ، ثم عدنا الى وقارنا وجديتنا ، فقلت لصاحبي « محمد سعيد » : ـ

ـ ما رأيك يا « قاتل الفانتوم » في أن اضيف اداة التعريف الـ الى « جابر آدم » فيصير اسمه « الجابر آدم » تكريما لذكراه رغم انف كل الجنرالات .. ورغم انف الجنرال الاكبر الذي يلبس وشاح العدل على سترته العسكرية .. موافق ؟؟

ـ موافق يا صاحبي .. )

. . . . . .

. . . . . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انتصب « الجابر آدم » كالصفصافة المشدودة ، وكان وجهه يلمع كالباذنجانة السمراء اليانعة ، وتحسس الجمرة المتقدة في صدره فلم يجدها ، ومد يده ونفض الغبار عن الصبارة الصحراوية وشهق من الدهشة حين تحولت الى بندقية .

وهجس هاجس « للجابر آدم » أن يخرج الى « مدينة المعز » بعد أن يعبر « قناة السويس » ، فحمل بندقيته على كتفه ، وخرج .

## ( ٢ )

* حدق « الجابر آدم » في شوارع المدينة ، ووجوه النمل البشري وحاور نفسه :

ـ هل تغيرت الاشياء ؟؟

ـ اين النيل ؟؟

ـ اين النصب التذكاري في ميدان التحرير ؟؟ ..

وخرجت الاسئلة الحارقة من جوفه ، وتناثرت في الهواء ، فسمعها « جندي » الامن المركزي الذي يسمع دبة النملـــة ، فهرول الى « الجابر آدم » الذي استلقى على عشب الحديقة اليابس في ميدان التحرير ، واخذ يتحسسه ويتشممه كعاشق يتشمم الاريج الذي يسيل من شعر الحبيبة كنبع رائق ، ويتحسس الطيور البيضاء التي تخرج من صدرها وترتشف من مـــاء العشق .

قال « قناع » الامن المركزي ، وهو يهدد « الجابر آدم » بهراوتـــه الغليظـــة :

ـــ من انت ؟؟.. غريب عن هذه المدينة ؟؟ جاسوس ؟؟ عميل ؟؟.. تكلم يا كلب ، يا نكرة ، بسرعة ، والا .. قتلتك .. ايها الكلب الضال .. من انت ؟؟.. انطق يا ابن الـــ ..

( في اقل من جزء من الثانية قال « الجابر آدم » لنفسه :

ـــ هل امك كانت كذلك .. يا « جابر » ؟؟ .. انها امراة ولا كـــل النساء ، شربت من مـــاء النيل ، شربت الماء بطينه يا « جابر » ، واكلت خبزا يابسا وملحا غليظـــا لكي تربيني انا واخوتي ؟؟ . وكانت تنهض في الفجر لتعجن « الخبز الشمسي » ، وتغسل ملابسنا وتجففها في الشمس الاسوانية .. آه يا « جابر » ، يهين هذا الوغد امك ، ولا تقتله ؟ )

وتصور « قناع » الامن المركزي ان « الجابر آدم » لم يســـمعه ، فصرخ فيه :

ـــ انطق ، قلت لك انطق والا انهيت حياتك يا وغد ، يا نكـــرة ، الا تعرف ان الحكومة قد منحتني ترخيصا بقتل كل من تسول له نفسه ان يلجأ الى الصمت ..

وشده من عنقه ،وحدق في وجهه ، وصرخ فيه :

ـــ صعيدي .. اليس كذلك ؟؟.. اعرفكم واحدا واحدا ، يا سفلـــة .. انت تنحـــدر من سلالة الزعيم الراحل .. اليس كذلك ؟؟ ضيعنا ، وضيع البلد .. الله يجحمه ..

تعال معي .. يا عزيز عيني ..

وتطاير الشرر المتفحم من عيني قناع الامن المركزي ، وجذب « الجابر آدم » من كتفه ، فارتطمت كفه بالبندقية ، فصرخ من الصدمة :

ـــ نهارك اسود ؟؟ .. جاسوس ؟؟. لا .. متآمـــر على معاهـــدة السلام ؟؟.. هل انت من اهل الكهف يا كلب ، يا نكرة ؟؟ .. محظور حمل السلاح في وقت السلم ؟؟.. اين كنت يا جبان ؟؟.. الا تقرا الصحف ؟؟..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الا تسمع الاذاعة ؟؟.. الا تشاهد التليفزيون ؟؟..
الاعدام شنقا لمن يحمل السلاح في وقت السلم ؟؟.. انتهت الحرب ، وتغيرت الدنيـــا ؟؟..
( ... ولم يفهم « الجابر ادم » شيئا من كلمات قناع الامن المركزي ، فحدق في الافق فوجده مسودا ، فقبض بكفه على زناد بندقيته ، فانفتح الافق ، وانفسح ، فانشرح صدر « الجابر آدم » .
قال محاورا نفسه :
ـــ هل انا في حلم ؟؟ .. هل حقا تغيرت الدنيا ؟؟ . )
قال قناع الامن المركزي « للجابر آدم » :
●● معي الى مقر هيئة الامن المركزي ؟؟..
اخلع بندقيتك من كتفك ، وسلمها لي ..
نفد صبر « الجابر آدم » فصرخ ـــ للمرة الاولى ـــ في وجه قنـــاع الامن المركزي :
●● قل لي : من انت ؟؟ من اعطاك هذه الهراوة الغليظـــة ؟؟ ومـــن اعطاك هذه الخوذة الحديدية ؟؟.. وهذا الـــدرع الحديدي ؟؟.. كبـــير الاقنعة .. اليس كذلك ؟؟..
تميز قناع الامن المركزي غيظا ، فصرخ في « الجابر آدم » :
ـــ يا كلب ، يا نكـــرة ؟؟.. اتجادلني ؟؟..
( تجمع ناس كثيرون كالنمل ، وتحلقوا حول « القناع » ، و « الجابر آدم » ، وتصاعد اللغط ، واللغو .
. . . . . .
قال رجل متقوس الظهر لقناع الامن المركزي :
ـــ شالوم .. هذا رجل كافر بالنعمة ، ويستحق الموت شنقا .. خذوه الى الجحيم ..
وقال رجل آخر ، يلبس قناعا « مشمشيا » :
ـــ هذا رجل يخون القضية ؟؟.. كيف يحمل بندقية في زمن السلام ؟؟
وتحسس « القناع » شاربه الكث ، وصرخ في النمل البشري :
ـــ انفضوا من حولي ، يا كلاب ، يا حثالة .. ممنوع التجمع لاقـــل من ثلاثة افراد يا جهلة .. الا تعرفون القانون ؟؟
هذه مظاهرة .. هذا ضد القانون .. )
وتفرق النمل البشري ، وذاب في شوارع المدينة . وادرك الجابر آدم .. ان الدنيا تغيرت .
( كانت الاعلانات المضيئة تغطي وجه المدينة ، فينتفض الجابر آدم ، كالمـــدوغ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ مطربة السلام تغني لبطل السلام .
ـ « أم البطل » في ملهى الليـــل .
تغني لصانع السلام :
« شالوم يا أهل البلـــد .. »
ـ مسرح السلام يقـــدم المسرحية الذهبية :
« شالوم في شالوم » .
ـ « رابسو » ( مسحوق الغسيل ) يحيي بطل السلام ..
ـ مسحوق الغسيل « شالوم » ( تايد سابقا ) يتمنى لربات البيوت وقتا ممتعا في ظل مسحوق « السلام » .

حاصر « العقرب » الخفي « الجابر آدم » ولدغه في صدره ، فوجـــد نفسه يهرول كالمجنون في شوارع المدينة ، والنمل البشري يهرول خلفه ، والحبل يلتف على عنقـــه ( حبل ممدود مـــن اسوان الى ضفة النيل ) ، والافق يضيق ، ويسود .

( ٣ )

* خلعوا بندقية « الجابر آدم » من كتفه ، وعصبوا عينيه ، وساقوه الى غيابة الجب في سجن القلعـــة .

( حفر « الجابر آدم » بأظافر اصابعه بندقية على حائط الزنزانة في اليوم الاول ، وفي اليوم الثاني أخذ ينشد لنفسه اغنية « الشيخ امام » :ـ

ـ انا رحت « القلعـــة » وشفت ياسين
ـ حواليه العسكر في الزنازين ،

ودخل الحارس ولطم « الجابر آدم » على وجهه لانـــه يغني اغنية ممنوعة ، وهدده باطلاق كلب « القلعة » الشرس لينهش جسده وحنجرته اذا عاود الغناء ..

وفي اليوم الثالث اخذوه الى المحكمة .. )

. . . . . .

● والله العظيم تقول الحق ..
ـ نعم .
● ولا شيء غـــير الحق
ـ نعم .
● اسمك ؟
ـ « الجابر آدم » .
● مهنتـــك ؟؟

ـ عاشق تـــراب مصر .
● هل العشق مهنة ؟
ـ . . . . . .
( همس القاضي لنفسه :
آه .. الاوغـــاد الحمر لقنوك اياها ..
ثم مغاضبا :
ـ سأوقعـــك في شر اعمالك .. يا نكرة .. )
● من علمك العشق ؟
ـ الارض ( امراتي وصاحبتي ) .
● هل تعرف أحدا يمارس مهنة العشق هـــذه ؟؟
ـ كل الناس .
● مـــــن ؟؟
ـ الذين يكرهـــون الظلم ، والانجناء .
● ومـــــاذا ؟؟
ـ الانحنـــاء .
( همس القاضي مرة اخرى لنفسه :
الاوغاد الحمر غسلوا دماغك .. حتى هـــذه الكلمة لم يعتقوك منهـــا ..
الصبر طيب .. يا نكـــــرة )
تململ عضو اليمين ، وعضو اليسار ، وانحنيا لتهدئة خاطر القاضي الغاضب ، وذكـــراه ان الصحافة والاذاعـــة و « التليفزيون » يتابعون الجلسة ، فرسم القاضي ابتسامة رماديـــة على وجهه النحاسي ، وواصل استجواب « الجابر آدم » :
● هل تذكـــر ايام الحرب ؟؟..
ـ نعم ..
● ماذا تتذكـــر عنها ؟؟..
ـ اشتعلت جمرة العشق في قلوب الجنود ، فخرجت « المحروسة » من محنتها .
● الفضل يرجع لحكمـــة القائد ، وحنكته .
ـ القائد لا يحـــارب ..
● اخرس .. لا تقاطعني حتى انتهي من كلماتي .
ثم مواصلا في حدة :
والفضل يرجع في ذلك لحكمة « الجنرالات » ، وحنكتهم ...
ـ الجنرالات لا يموتون في الحرب ، بل في الغرف المكيفـــة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأرغى القاضي وأزبد ، وشتم « الجابر آدم » وسبه ، وانهى الجلسة باستمرار حبس المتهم الذي شوهد يمشي في المدينة وهو يحمل بندقية على كتفه في زمن السلم ..

ثم أدلى بحديث لرجال الصحافة والاذاعة والتليفزيون قال فيه ان أصابع خفية تحرك « الجابر آدم » ، وان الاوغاد الحمر أساس البلاء ، وانه يجري تمويلهم من الخارج ، وانهم عملاء وخونة ؟؟!

( كان النيل يبكي ويضحك ، ويضحك ويبكي ، وهو يمضغ حصى الحزن ، وعشب الشجن اليابس .. ثم يشهق ، ويشق صدره ويخرج جمرة متقدة ويقذف بها على الضفة اليابسة حتى تشتعل الضفة والعشب اليابس ، ويخرج خلق كثيرون كالنمل يسيرون في المدينة وقد انحنوا على هيئة قوس رماديه بفعل الحزن ، والقهر ، والشجن .. )

( ٤ )

* خرجت الصحف في ذكرى حرب اكتوبر ( تشرين ) بعناوين حمراء وسوداء بارزة ..

ـ تكريم شهداء حرب اكتوبر ، وزير خارجية اسرائيل يحضر الاحتفال الذي يقام في استاد مدينة نصر ( استاد ناصر سابقا .. )

ـ سيدة مدينة المعز الاولى تكرم الشهداء ، وجرحى ومشوهي الحرب ..

ـ حفل ساهر تنقله الاذاعة والتليفزيون ، تشترك فيه الراقصة اللولبية « أشجان » ، والراقصة الحلزونية « أجفان » ، والراقصة التعبانية « افنان » .

( آه ..

الاعور الدجال يغتصب « مدينة المعز » ، وكبير الاقنعة يشرب معه نخب الاغتصاب ..

تعير الزمن .. يا « جابر » .

ايها « الجابر آدم » ، قلب وجهك في الارض والسماء ..

عطشان يا صبايا دلوني على السبيل ..

صار الدم ماء يا « جابر » ..

ـ هل تشرب الماء أم تشرب الدم ؟؟ .

. . . . . .

قال الاعور الدجال لكبير الاقنعة ، وهو يحدق في الجسد الطري للراقصة اللولبية :

ـ انتظرتك عشر سنوات .. أيها القائد الشجاع .. اقسم بحياتك .. انتظرتك على الهاتف طوال هذه المدة .. لكن صاحبك الذي رحل كان عنيدا ، واورده عناده مورد التهلكة ..

وتضاحك القناعان ، وواصلا شرب الانخاب والتحديق في جسد الراقصة اللولبية ، ثم أومأ كبير الاقنعة وهو ينفض رماد « الغليون » الصدفي ـ برأسه ، واشعل « الغليون » ، وغمغم :

ـ هذا يوم عظيم .. يا صديقي .. سنتفرغ لمهام اخرى .. وسندير ظهورنا للاعراب ..

ـ عظيم .. عظيم .. أيها القائد الشجاع .. والا فاننا سنفعلها مرة اخرى ..

تضاحك كبير الاقنعة قائلا :

ـ ستفعلون ماذا ؟؟..

ـ نعبر قناة السويس ، وندخل القاهرة تحت مظلة جيش الدفاع الاسرائيلي .

ـ ألا يكفيك أنك بيننا الان .. بدون مظلة جيش الدفاع ..

وانخرط القناعان في ضحك عصبي ، وهما يدقان الارض بأقدامهما على ايقاعات الراقصة اللولبية .. )

. . . . . .

* تكور « الجابر آدم » في زنزانته على حزن كظيم .. ثم طوى جناحيه على الحزن ، ونام ..

وفي المنام راى أنه يذهب الى مصنع الحديد والصلب بحلوان ، للسؤال عن ابنه الذي يعمل في المصنع ، وانه يسلمه بندقية ، ثم يذهب الى ابنه الطالب في الجامعة ويسلمه بندقية .. ( هل أنجبت لي زوجتي ولدين بعد استشهادي ؟؟.. ) هكذا سأل نفسه في المنام .

وصحا « الجابر آدم » من نومه يتحسس بندقيته ، فلم يجدها ، وحدق في قضبان الزنزانة ، واخذ يدق الباب بكفه الصعيدية الخشنة حتى جاءه الحارس الذي اخذ يسبه ، ويشتمه ، ويلعنه قائلا :

ـ يا وغد .. يا نكرة .. ما هذا الضجيج ؟ ما هذه الفوضى ؟؟.. هل تريد أن تشوه احتفالات حرب اكتوبر ؟؟

وسقط « الجابر آدم » على الارض ، ومات للمرة الثانية .

**( صورة طبق الاصل من الاوراق السرية ) .**

## خاتمـــــة

### ( ٥ )

* خرج النمل المقهور الى المدينة ، وهو يلتفت يمنة ، ويسرة ، وكان يسبح بحمد « الفرعون الرمادي » في العلن ، ويلعنه في السر ، وجـــاءت السنوات العجـــاف ، التي اكلت الزرع والضرع ، والاخضر واليابس ، وفاقت المجاعة كل تصور ، وكانت ربات البيوت يطبخن الحجـــارة بالماء العكر ، والحجارة لا تريد أن تنضج ، فينام الاطفال على المجاعة والموت ..

( قالت سنبلة لجارتها :

ـــ ما الـــذي فرغني مـــن الحب ؟؟..

ـــ الحزن يا جارتي ؟؟..

غاض النيل .. فكيف لا نحزن ؟؟

وقال عود قطن لجاره :

ـــ اكلتنا الـــدودة .. اليس كذلك ؟؟

ـــ لا .. بل أكلنا « القهـــر » ؟؟..

وقالت شجرة « جميز » لجارتها :

ـــ شيبنا الـــــدهر ؟؟.

فقاطعتها جارتها في حـــدة :

ـــ لا .. يا صاحبتي .. بل عصا « الفرعون » الغليظة ؟؟.

وقالت نملـــة لصاحبتها :

ـــ راسي ثقيل .. لا أستطيع ان ارفعه ؟؟

فقالت لها صاحبتها في غفلة من زبانية « الفرعـــون ذي الوجـــوه الثلاثـــة » :

ـــ هل فقدت حاسة البصر كذلك .. الا تبصرين حذاء « الفرعون » على راسك ..؟؟

فصمتت صاحبتها برهة ، ثم أومأت براسها ، وهي تندس في المركبة المكدسة برؤوس النمل المقهورة الثقيلة .. )

وجاء « الاعور الدجال » الى المدينة بدعوة من « الفرعون الرمادي »، وتعانقا ، وشربا نخب الصلح ، بينما النمل المقهور يهتف لهما في العلن ، ويلعنهما في السر ..

وتغيرت أبجدية المدينة ، وقالت نملة لجارتها مخافة أن يبطش بها زبانية الفرعون ذي الوجوه الثلاثة :

ـــ شالوم . .
ـــ شالوم . .
( آه .. أيها « الجابر آدم »
هذا زمن « الشالوم » ،
فقلب بصرك في الارض والسماء ،
ومت للمرة الثالثة .. )
( مكتوب عليك .. أن تموت
ثلاث مـــرات
أليس كذلـــك ؟؟ )
. . . . . .
. . . . . .
والنمل المقهـــور يسعى في المدينة ، ويأكـــل خبزا اسود مغمسا بالملح ، وينتظر يوم القيامـــة . *



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# يوم كامل لسمك الوزة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم الكاتب الامريكي : ج . د . سالينجر

ترجمة : محمد السيد عيد

كان ثمة سبعة وتسعون رجلا من رجال الاعلام بنيويورك في الفندق ، وكانوا بالطبع يسيطرون طوال الوقت على الخطوط ، فكان على الفتاة المقيمة في « ٥٠٧ » أن تنتظر من

الظهيرة حتى الثانية والنصف لتأتيها المكالمة . ومع ذلك فقد استغلت الوقت . قرأت مقالا في مجلة جيب نسائية تسمى « الجنس متعة — أو جحيم » . غسلت شعرها وصففته . محت بقعة من ذيل ردائها الاسود . حركت زرارا على البلوزة. وضعت خصلتين من شعرها المبلل على بقعة في جلد وجهها . وحينما دق العامل تليفون حجرتها كانت تجلس على كرسي النافذة ، وقد كادت أن تنتهي غالبا من وضع الطلاء على أظافر يدها اليمنى .

أوقف دق التليفون الفتاة مشلولة تماما . أحست ان التليفون يدق بشكل مستمر منذ أن كانت في سن البلوغ .

بينما كان التليفون يدق ، مرت بفرشاة الطلاء على ظفر اصبعها الصغير مؤكدة على الخط المستدير كالقمر. ثم اعادت الغطاء الى زجاجة الطلاء ، نهضت ، راحت تحرك يدها اليسرى التي لم تجف بعد للخلف وللامام في الهواء . اخذت بيدها الجافة الصينية الخشبية المليئة من على المقعد المجاور للنافذة الى مائدة العشاء ، حيث كان التليفون موضوعا. جلست على سرير من الاسرة ذات الجناحين . ورفعت السماعة في الوقت الذي كان الجرس الخامس أو السادس يدق .

قالت وهي لا تزال تحتفظ بأصابع يدها اليسرى للخلف وبعيدا عن جونلتها الحريرية البيضاء ، والتي كانت هي كل ما ترتديه ، اللهم خف. اما خواتمها فكانت في الحمام .

— آلو

قال العامل لقد طلبت لك مكالمة نيويورك يا سيدة جلاس .

قالت الفتاة وقد افسحت مكانا للصينية الخشبية : — شكرا

ومن خلال سماعة التليفون جاء صوت امرأة تقول : موريل ؟ اهو انت ؟

ادارت الفتاة السماعة ببطء بعيدا عن اذنها ، اجابت : نعم يا امي . كيف حالك ؟

— لقد كدت أموت قلقا عليك . لماذا لم تتصلي بالتليفون ؟ هل انت بخير ؟

— لقد حاولت أن أتصل بك الليلة الماضية ، والليلة قبل الماضية ، لكن التليفون هنا كان ...

— هل انت بخير يا موريل ؟

وسعت الفتاة المسافة بين السماعة وبين اذنها : انا بخير ، لكني حرانة . انه اكثر الايام التي راوها في فلوريدا حرارة .

— لماذا لم تتصلي بي ؟ لقد كنت قلقة لـ ...

قالت الفتاة : امي ، عزيزتي ، لا تصرخي لي . لا استطيع أن اصغي اليك بشكل جيد . لقد اتصلت بك مرتين الليلة الماضية . مرة بعد ...

— لقد قلت لوالدك انه من المحتمل انك اتصلت الليلة الماضية . ولكنه ، لم ... هل انت على ما يرام يا موريل ؟ اخبريني بالحقيقة .

— انا بخير . كفي عن سؤالي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بهذه الطريقة من فضلك .

ـ متى وصلت عندك ؟

ـ لا أعرف . الاربعاء صباحا . في وقت مبكر .

ـ من قاد ؟

قالت الفتاة ـ هو الذي قاد .. لا تقلقي فقد قاد بشكل رائع للغاية ، لقد كنت مندهشة .

ـ هو الذي قاد ؟ موريل .. انت تقولين لي كلمتك بخصوص ...

قاطعت الفتاة : اماه ، لقد قلت لك لتوي . لقد قاد بشكل رائع للغاية، بسرعة اقل من خمسين طوال الطريق ، هذا ما حدث .

ـ هل حاول اي محاولة من هذه المحاولات المتطرفة مع الاشجار ؟

ـ لقد قلت انه قاد بشكل رائع للغاية يا امي . والان ارجوك . لقد طلبت منه ان يلتزم بالخط الابيض دائما ، وقد فهم ماذا كنت اعني ، والتزم . يمكنك ان تقولي انه لم يحاول حتى ان ينظر الى الاشجار . هل اخذ ابي مسألة العربة بلا اهتمام ؟

ـ ليس تماما . لقد طلبوا اربعمائة دولار فقط لـ ...

ـ امي ، سيمور قال لوالدي انه سيدفعها . ليس هناك من دافع لـ ...

ـ حسنا ،سنرى . كيف تصرف .. في العربة وبوجه عام ؟

قالت الفتاة : بشكل طيب .

ـ هل ظل يناديك بهذا اللقب المخيف ؟

ـ لا . ان لديه شيئا جديدا الان ؟

ـ ماذا ؟

ـ اوه ، ما هو الخلاف يا امي ؟

ـ موريل .. اريد ان اعرف . والدك ...

قالت الفتاة وهي تكتم ضحكتها : حسنا ، حسنا ، انه يدعوني « الروحانية الضائعة لعام ١٩٤٨ ».

ـ ليس هذا بشيء حسن يا موريل . ليس حسنا على الاطلاق . انه مخيف . انه محزن فعلا ، عندما افكر في كيفية ...

قاطعت الفتاة : اصغي لي يا امي. هل تذكرين هذا الكتاب الذي ارسله من المانيا ؟ انت تعرفين ـ هذه الاشعار الالمانية . ماذا فعلت بها ؟ لقد استخدمتها ...

ـ لقد اخذتها انت .

قالت الفتاة : هل انت واثقة ؟

ـ بالتأكيد . هذا ما اذكره . انها في حجرة فريدي . لقد تركتها هنا . ولم استخدم الغرفة ، لماذا ؟ هل يريدها ؟

ـ لا . لقد سألني عنها فقط ، حينما كنا في الطريق . اراد ان يعرف اذا كنت قد قراتها .

ـ لقد كانت بالالمانية !

قالت الفتاة وهي تربع ساقيها :

ـ نعم يا عزيزتي . هذا لا يجعل الامر مختلفا . لقد قال ان الاشعار قد كتبت بقلم الشاعر العظيم الوحيد في هذا القرن . وقال انني يجب ان اشتري لها ترجمة او شيئا من هذا القبيل . او اتعلم اللغة ، اذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سمحت .

ـ مخيف ، مخيف . هذا محزن حقيقة . هذا هو الواقع . لقد قال والدك بالامس ...

قالت الفتاة : ـ لحظة واحدة يا أمي .. ثم ذهبت للمقعد المجاور للنافذة حيث سجائرها ، اخرجت واحدة ، عادت لجلستها على السرير وهي تنفث الدخان .

ـ والان يا موريل ، انصتي الي.

ـ هاانذا منصتة .

ـ لقد ذهب والدك للدكتور سيفتسيكي .

قالت الفتاة ـ اوه .

ـ وقد قال له كل شيء . ثم قال في النهاية انه جعل ... أنت تعرفين والدك . الاشجار . هذا الاهتمام بالنافذة . هذه الاشياء المخيفة التي قالها لجراني عن خططها للابتعاد . ماذا فعل بكل هذه الصور الجميلة المصنوعة في برمودا ـ كل شيء ؟

قالت الفتاة : حسنا .

ـ حسنا ، لقد قال اول ما قال انها جريمة كاملة أن الجيش اخرجه من المستشفى ـ انني اكلمك كلامشرف. لقد قال لوالدك بشكل محدد تماما . انها فرصة ، فرصة عظيمة جدا . لقد قال ان سيمور ربما يفقد سيطرته على نفسه بشكل تام . انني اكلمك كلام شرف .

قالت الفتاة : ثمة طبيب نفس جسمي هنا في الفندق .

ـ من ، ما اسمه ؟

ـ لا اعرف . ريزّر او شيء كهذا

لقد توقع على اية حال ان يكون في حالة طيبة تماما .

ـ موريل ، ارجوك لا تكوني ساذجة . نحن في غاية القلق عليك. لقد كان والدك يريد أن يحذرك الليلة الماضية لتعودي الى البيت ، كنوع من ...

ـ انني لن اجيء الى البيت الان. هدئي نفسك جدا يا امي .

ـ موريل ، انني اكلمك كلام شرف . لقد قال الدكتور سيفتسيكي أن سيمور ربما يفقد السيط ...

قالت الفتاة : ـ يا امي ، لقد وصلت لتوي . هذه هي الاجازة الاولى التي اخذتها من اعوام . ولن اقدم على حزم متاعي والعودة للبيت . لا استطيع ان ارحل الان بأي شكل . لقد انتهيت لتوي من حمام شمس ، ولا استطيع ان اتحرك الا بصعوبة .

ـ هل أخذت حمام الشمس بشكل سيىء ؟ الم تستخدمي علبة البرونز التي في حقيبتك ؟ لقد وضعته على يمين ....

ـ لقد استخدمتها ، وعلى اية حال فقد اخذت حمام الشمس .

ـ هذا مزعج . اين اخذت حمام الشمس ؟

ـ لقد أخذت حماما كليا ، يا عزيزتي ، حماما كليا .

ـ هذا مزعج .

ـ سأعيش .

ـ قولي لي ، هل حدثت هذا الطبيب النفس جسمي ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قالت الفتاة : ـ حسنا . شيء كـهذا .

ـ وماذا قال ؟ وأين كان سيمـور حين تحدثت اليـه ؟

ـ في الغرفة المطلة على المحيط ، يعزف على البيانو . لقد كان يعـزف على البيانو الليلتين اللتين قضيناهما هنـا .

ـ حسنا ، ماذا قال ؟

ـ أوه ، لا شيء أكثر . لقد بداني بالحديث . كنت جالسة بجواره عند لعبة البنجو الليلة الماضية ، فسألني اذا لم يكن هذا الذي يلعب البيانـو في الغرفة المجـاورة هو زوجي . فقلت له : نعـم ، انه كان هو . وسألني اذا كان سيمور مريضـا او شيئا من هذا القبيل ، فقلت له ...

ـ ولماذا سأل هذا السؤال ؟

ـ لا أعرف يا أمي . أعتقد لانـه كان شاحبا للغاية . على أية حـال بعد انتهائه من لعب البنجو سألنـي هو وزوجته اذا كنت أحب أن انضـم اليهما للشراب . ومن ثم فقد قبلت . كانت زوجته فظيعة . هل تذكريـن فستان الظهـيرة الذي رأيناه في « فاترينة » عرض بونويت ؟ هـذا الفستان الذي قلت انك كنت تودين أن تحصلي على قطعة ، قطعة ...

ـ الاخضر ؟

ـ كانت ترتديه . وكان كلـه قصات . وظلت تسألني عما اذا كان سيمور ينتمي الى سوزان جلاس ، التي تمتلك هذا المحل في شـارع ماديسون ـ لبيع القبعات .

ـ ومع ذلك ، مـاذا قـال ـ الدكتـور ؟

ـ أوه ، لا شيء أكثر من هـذا ، حقيقة ، أعني اننا كنا نجلس عـلى البار وهذا كل ما في الامر . لقد كانت ثمة ضوضاء رهيبة .

ـ نعم ولكن هل .. هل قلت له ماذا حاول ان يفعل مع كرسي جراني؟

قالت الفتاة : لا يا أمي . لم أذهب في التفاصيـل الى حـد بعيـد . ولكن من المحتمل ان تواتيني الفرصة لاتحدث اليه ثانية . انه على البـار طول اليـوم .

ـ هل قال انه كان يعتقد ان مـن المحتمل أن يجد فرصة ليمرح ، أو أي شيء ، هل تفهمين ؟ هل يفعـل لك شيئـا !

قالت الفتاة : ليس تماما . لقـد اراد يا أمي ان يحصل على مزيد من الحقائق . لقد اراد أن يعرف كل شيء عن طفولتـه ، كل شيء عن هـذا الموضوع . لقد قلت لك ، اننـا لا نستطيع أن نتحدث الا بصعوبة . لقد كان المكان صاخبا تماما .

ـ حسنا ، كيف حال جاكتتـك الزرقـاء ؟

ـ بخير . لقد نزعـت بعض حشوها .

ـ كيف حال الملابس هذا العام ؟

قالت الفتاة : ـ فظيع ، ولكنـه بعيد عن هذا العالم . أنت تعرفيـن تغير كل شيء .

ـ وغرفتك .. كيف هي ؟

قالت الفتاة : ـ حسنة ، انهـا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حسنة ايضا . لم نستطع الحصول على الغرفة التي اخذناها قبل الحرب. الناس مخيفون هذا العام . يجب ان ترى من يجلسون بجوارنا في غرفة الطعام. على المنضدة المجاورة. انهم يبدون كما لو كانوا يتسابقون بعربات متينة .

ـ حسنا ، انها نفس الطريقة في كل مكان . وكيف حال عروستك التي ترقص الباليه ؟

ـ انها طويلة جدا . لقد قلت لك انها كانت طويلة للغاية .

ـ موريل سأسألك مرة اخرى فقط . هل انت حقا بخير ؟

قالت الفتاة : ـ أقول لك للمرة التاسعة عشرة نعم يا أمي .

ـ ولست في حاجة للعودة الى البيت ؟

ـ لا يا أمي .

ـ لقد قال والدك الليلة الماضية انه اكثر من راغب في أن يدفع المصروفات اذا كنت تودين أن تذهبي الى أي مكان بعيد بمفردك وتفكري في الامر كله . يمكنك أن تقومي برحلة سياحية بحرية جيدة . لقد فكرنا سويا ...

قالت الفتاة وهي تفك تربيعة قدميها : لا ، شكرا ، ان هذه الدعوة تكلف يا أمي ...

ـ حينما أفكر في كيف انك انتظرت هذا الولد طوال مدة الحرب ـ اعني عندما كنت تفكرين ، انت وكل هؤلاء الزوجات المجنونات اللائي ...

قالت الفتاة : ـ امي . من الافضل ان نصمت . فربما عاد سيمور في اي وقت .

ـ أين هو ؟

ـ على الشاطىء .

ـ على الشاطىء ؟ وحده ؟ هل يمكنه أن يتصرف وحده على الشاطىء ؟

قالت الفتاة : ـ اماه ، انت تتحدثين عنه كما لو كان مجنونا يهذي .

ـ انا لم اقل شيئا كهذا يا موريل.

ـ حسنا ، انت تكلمت بهذه الطريقة ، أعني أن كل ما يفعله هو ان يرقد هناك . وانه لن يخلع « البرنس » .

ـ لن يخلع « البرنس » ؟ ولم لا يخلعه ؟

ـ لا أعرف ، ولكني أعتقد لانه شاحب للغاية .

ـ يا الهي ، انه يحتاج الى الشمس . ألا تستطيعين أن تجعليه يخلعه ؟

ـ قالت الفتاة وهي تربع رجليها مرة ثانية : انت تعرفين سيمور ، لقد قال انه في غنى عن النظرات الحمقى للتشوهات التي على جسمه.

ـ لكنه ليست به أية تشوهات على جسمه ! هل جد له تشوه في الجيش ؟

وقفت الفتاة وقالت : ـ لا يا أمي، لا يا عزيزتي ، اسمعي لي ، سأطلبك غدا ، ربما .

ـ موريل ، والان انصتي لي .

قالت الفتاة وهي تضع كل ثقلها على رجلها اليمني : ـ نعم يا أمي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ اطلبيني في اللحظة التي يفعل ويقول فيها اي فكاهة ، هل تعرفين ما اعنيه . هل تسمعينني ؟

ـ يا امي ، انا لست خائفة من سيمور .

ـ موريل ، اريدك ان تعديني .

قالت الفتاة : ـ حسنا ، اعدك . مع السلامة يا امي ، وابلغي حبي لوالدي .

وانهت المكالمة .

* * *

ـ سي مور جلاس (١)

قالت سايبل كاربنتر ، التي كانت تجلس مع والدتها في الفندق : ـ هل رأيت سي مور جلاس ؟

ـ بوسي كات . كفي عن هذا القول . انه يجعل مومي مجنونا جتونا مطبقا . كفي عن هذا ارجوك .

كانت السيدة كابنتر تضع زيت البشرة المضاد للشمس على كتفي سايبل ، موزعة اياه برقة حتى حواف ظهرها ، وكانت سايبل تجلس غير مستقرة على كرة شاطىء ضخمة منفوخة في مواجهة المحيط ، وهي ترتدي « مايوه » اصفر كناري من قطعتين ، احداهما لن تكون ضرورية للاعوام التسعة او العشرة القادمة .

قالت المرأة التي تجلس في كرسي الشاطىء بجانب السيدة كاربنتر : لقد كان حقا مجرد منديل حريري عادي ـ يمكنك ان تتحققي عندما تقتربين اكثر . أود لو اعرف كيف ربطته . لقد كانت حبوبة بمعنى الكلمة .

وافقت السيدة كاربنتر : ـ انها تتحدث بشكل محبب . سايبل لا تزال طفلة .

قالت سايبل : هل رأيت سي مور جلاس ؟

تأوهت السيدة كاربنتر . قالت وهي تعيد الغطاء لزجاجة الزيت المضاد للشمس : ـ حسنا ، والان اجري العبي يا بوسي فان مومي سيصعد الى الفندق ويأخذ المارتيني مع السيدة هابل . وسأحضر لك الزيتون .

سارت سايبل حوالي رجع ميل ثم انعطفت فجأة في جانب الطريق على الجزء الناعم من الشاطىء . وقفت قليلا حينما وجدت المكان الذي كان الشاب راقدا فيه على ظهره .

قالت : ـ هل ستنزل البحر يا سي مور جلاس ؟

بدأ الشاب في الاستعداد ، واتجهت يده لحمالة ثوبه . انقلب على بطنه ، تاركا فوطته المكرمشة تسقط عن عينيه ، ونظر الى سايبل بعينين زائغتين .

ـ هاي ، اهلا سايبل .

---

١ ـ هذا النطق لاسم بطل القصة « سيمور جلاس » هو معابثة اطفال يجعل معناه : هل شاهدت مزيدا من الزجاج ؟ او شاهد مزيدا من الزجاج .

ـ هل ستنزل الماء ؟

قال الشاب : لقد كنت في انتظارك هل من جديد ؟

قالت سايبل : ـ ماذا ؟

ـ هل من جديد ، ما هو البرنامج؟

قالت سايبل وهي تضرب الرمال بقدمها : ـ سيأتي والدي غدا بالطائرة .

قال الشاب وهو يمسك بيدهمفصل تدم سايبل : ـ ليس في وجهي ايتها الطفلة ، حسنا هذا هو الوقت الذي يصل فيه والدك . لقد كنت اتوقعه ساعة بعد ساعة .

سألت سايبل : ـ اين السيدة ؟

قال الشاب وهو ينفض بعض الرمال عن شعره الناعم : ـ السيدة من الصعب الاجابة يا سايبل . من المحتمل ان تكون في اي واحد من الف مكان . عند الحلاق تصبغ شعرها ، او في حجرتها تصنع عرائس للاطفال الفقراء .

اعتدل مسندا وجهه على الارض. كور قبضتيه . وضع احداهما فوق الاخرى . ثم وضع ذقنه على يده العليا . قال : ـ اسأليني سؤالا آخر يا سايبل . ان « المايوه » الذي ترتدينه جميل . اذا كان ثمة شيء احبه ، فهو ثوب الاستحمام الازرق.

حملقت سايبل في وجهه ، ثم نظرت لاسفل حيث بطنها الجائعة وقالت :

ـ انه اصفر ، انه اصفر .

ـ اهو هكذا ؟! اقتربي قليلا .

تقدمت سايبل خطوة .

ـ انت محقة تماما . اي احمق انا ؟

سألت سايبل : ـ هل ستنزل الماء ؟

ـ انني افكر في هذا الامر بشكل جاد . انني اوليه جزءا من اهتمامي، سايبل ستكونين سعيدة ان تعرفي .

جست سايبل الاطار المطاطي المنفوخ الذي يستخدمه الشاب احيانا كمسند للراس ، وقالت :

ـ انه يحتاج لهواء .

سحب قبضتيهوترك ذقنه تستريح على الرمل : ـ معك حق، انه بحاجة الى هواء اكثر مما انا راغبفي النفخ. سايبل، انت تبدين فاتنة . شيء طيب ان اراك . حدثيني عن نفسك . بحث امامه ، ثم اخذ مفصلي قدم سايبل في يديه وهو يقول : انا من برج الجدي . من اي برج انت ؟

قالت سايبل : ـ لقد قالت لك شارون ليبسكويتز ان تدعها تجلس على كرسي البيانو معك .

ـ هل قالت شارون ليبسكويتز هذا ؟

اومأت سايبل براسها بشدة . ترك مفصلي قدميها . سحب يديه ، هيأ ملامح وجهه بالشكل المستعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للمتاعب ، قال : ـ حسنا ، انت تعرفين يا سايبل كيف تحدث هذه الاشياء . لقد كنت جالسا هناك ، اعزف . ولم تكوني تحت بصري . فجاءت شارون ليبسكويتز وجلست بجواري . لم استطع ان ادفعها ، هل كنت استطيع ؟

ـ نعم

قال الشاب : ـ لا ، لا ، لا . ومع ذلك سأقول لك ماذا فعلت .

ـ ماذا ؟

ـ تظاهرت انها كانت انت .

توقفت سايبل في الحال وبدات تحفر في الرمال ، قالت : هيا ننزل الى الماء .

قال الشاب : ـ حسنا اعتقد انني استطيع ان انزل الى الماء .

قالت سايبل : ـ في المرة القادمة ادفعها بعيدا .

ـ ادفع من ؟

ـ شارون ليبسكويتز .

قال الشاب : ـ آه ، شارون ليبسكويتز ، كيف يخطر هذا الاسم مازجا الذاكرة بالتمني ؟

وفجأة نظر الى قدمه ، ثم نظر الى المحيط ، وقال : ـ سايبل ، سأقول لك ماذا سنفعل ؟

سنرى اذا كنا نستطيع ان نصطاد سمكة موزه .

ـ ماذا ؟

قال وهو يحل حزام ثوبه : ـ سمكة موزة .

خلع حزامه . كانت كتفاه بيضاويتين وضيقتين .. و « المايوه » الذي يرتديه ازرق ملكيا. طوى ثوبه بالطول اولا ثم طواه ثلاث مرات . نزع الفوطة التي كان يضعها على عينيه، نشرها على الرمل ، ثم وضع الثوب المطوي عليها . انحنى ، اخذ العوامة ، وضعها تحت يده اليمنى . وبيده اليسرى امسك يد سايبل. بدا الاثنان يسيران الى داخل المحيط .

قال الشاب : ـ اعتقد انك رايت العديد من سمك الموزة في يومك ؟

هزت سايبل راسها بالنفي .

ـ الم تري منها شيئا ؟ اين تعيشين ؟ بأي طريقة ؟

قالت سايبل : ـ لا اعرف .

ـ من المؤكد انك تعرفين . يجب ان تعرفي . شارون ليبسكويتز تعرف اين تعيش ، وهي في الثالثة والنصف فقط من عمرها .

كفت سايبل عن المسير ، جذبت يدها بعيدا من يده . اخذت قوقعة شاطىء عادية وراحت تنظر اليها بارتياح متقن . القتها لاسفل . ثم قالت وقد عادت للسير متثاقلة غالبا : الاتصال مقطوع بالغابة الدائرية .

قال الشاب : ـ الاتصال مقطوع بالغابة الدائرية ، هل توجد في اي مكان من هذا غابة دائرية لينقطع الاتصال بها في اي فرصة ؟

نظرت سايبل اليه وقالت بصبر نافذ : ـ انها موجودة حيث اقيم ، انني اعيش في غابة دائرية مقطوعة الاتصال .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جرت عدة خطوات تجاهه، ممسكة قدمها اليسرى في يدهـا اليسرى . وقفزت مرتين أو ثلاثا .

قال الفتى : ـ ليست لديك فكرة كيف يصنع الوضوح كل شيء ؟

تركت سايبل قدمها ، سألت : ـ هل قرأت « السامبـو الاسـود الصغير » ؟

قال : ـ انه لمن المضحك للغايـة انك تسألينني هذا السؤال . لقـد انهيت لتوي قراءتها الليلة الماضية .

انحنى واستعـاد يد سايبل ، سألها : في اي شيء فيها فكرت.؟

ـ هل جرى النمر حول الشجرة كلهـا ؟

ـ أعتقد انه لم يتوقف . انني لم أر نمورا كثيرة جدا .

قالت سايبل : كانت ثمة ستـة فقط .

قال الشاب : ـ ستة « فقط » ، أتسمين هذا « فقط » ؟

سألت سايبل : ـ هل تحـب اللبـان ؟

سأل الفتى : ـ أحب ماذا ؟

ـ اللبـان .

ـ جدا ، الا تحبينـه ؟

أحنت سايبل راسها . سألته : ـ هل تحب الزيتون ؟

ـ الزيتون ـ نعم . الزيتـون واللبان . انا لا اذهب الى اي مكان بدونهما .

سألت سايبل : ـ هل تحـب شارون ليبسكويتز ؟

قال الشاب : ـ نعم ، نعـم . ان ما أحبه فيها بوجه خاص يرتبـط بأنها لا تفعل أي شيء شرير للكلاب الصغيرة في فناء الفنـدق . هـذا الكلب اللعبةالصغير الخاص بالسيدة الكندية ، على سبيل المثال ، مـن المحتمل انك لن تصدقي هذا ، ولكن بعض الفتيات الصغـيرات أردن أن يقذفن هذا الكلب الصغـير بعصى البالونات ، الا شارون ، لم تفعل . انها ليست دنيئة أو قاسية . وهـذا هو السبب في انني احبها كثيرا .

كانت سايبل صامتة . في النهاية قالت : ـ أود ان امضغ لبانة .

قال الشاب الذي أصبحت قدمـاه رطبتين : ـ ومـن لا يود ؟ وأود ! الدنيا باردة .

وضع العوامة المطاطية عـلى ظهرها : ـ لا ، انتظري لحظـة واحدة يا سايبل . انتظري ، سنأخذ قطعة صغيرة .

راحا يخترقان المياه حتى أصبحت المياه فوق خصر سايبل ، فرفعهـا الفتى وأرقدها على بطنها فـوق العوامة .

سأل : الا تريديـن « برنس » أو شيئا من هذا القبيل ؟

صاحت سايبل : ـ لا تتركنـي ، امسكني الان .

قال الشاب : ـ آنسة كاربنتـر، بن فضلك ، انا اعرف عملي . فقـط افتحي عينيك لاي سمكة مـوزة . هذا يوم كامل لسمكة الموزة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قالت سايبل : ـ أنا لا ارى واحدة منهـا .

ـ هذا يمكن فهمه ، فحياتها مختلفة تماما ، مختلفة تماما .

استمر في دفع العوامة . لم يكن الماء قد وصل لصدره . قال : ـ انها تحيا حياة مأساوية للغاية ، هـل تعرفين ماذا تفعلين يا سايبل ؟

هزت رأسها بالنفي .

ـ حسنا ، انها تسبح في فجـوة حيث توجد كمية مـن الموز . ان لها مظهر السمك العادي جدا حينمـا تسبح نحوها . ولكن بمجـرد ان تصل اليها فانها تتصرف كالخنازير . لماذا عرفت أن بعض سمك المـوزه يستحم في فجوة الموز ويأكل كثيرا ، في حدود ثمانية وسبعين موزة !

اوقف العوامة على حافتها ، ونظر من خلالها الى الافق : ـ ومـن الطبيعي بعد هذا انها تصبح سمينة جدا ، لدرجة انها لا تستطيـع أن تخرج من الفجـوة مرة اخـرى . لا تستطيع أن تمر من الباب .

قالت سايبل : ـ لا تخرج ايضا ، وماذا يحدث لها ؟

ـ ماذا يحدث لمن ؟

ـ لسمكة الموزة .

ـ آه ، تقصدين انها بعد ان تأكل الكثير من الموز لا تستطيع ان تخرج من فجوة الموز ؟

قالت سايبل : نعم .

ـ حسنا ، اكـره ان اقول لك يا سايبل .. انها تموت .

سألت سايبل : لماذا ؟

ـ حسنا ، انها تأكل الموز بشكل محموم . انه مرض خطير .

قالت سايبل بعصبية : ـ الموجة قادمة الى هنا .

قـال الشاب : ـ حسنـا ، سنتجاهلها ، سنتخطاها ، فكلانـا يهتم بأمـوره .

اخذ مفصل قدم سايبل في يديـه ، وضغط لاسفل وللامام . اعتلـت العوامة قمة الموجة . بللت الميـاه شعر سايبـل الكستنائي ، لكـن صرخاتها كانت فياضة بالسرور .

عندما عادت العوامة الى الوضع الطبيعي ، مسحت جسدها بيديها ، ابعدت خصلة من شعرها عن عينيها ، وأكدت : ـ لقد رأيت واحدة لتوي .

ـ رأيت ماذا ، يا حبيبتي ؟

ـ سمكة مـوزة .

قال الشاب : يا الهي ، لا ، هل ثمة اي موز في فمها ؟

قالت سايبل : نعـم ، ست .

رفع الشاب فجأة احدى قدمـي سايبل التي كانت تغطي حافةالعوامة لاعلى ، وقبل كعبها . قالت صاحبة القدم وهي تدور : ـ هاي .

ـ هاي ، انت ، سنستمـر الان في التوغل . هل انت مستعدة ؟

ـ لا .

قال وهو يدفع العوامة تجـاه الشاطىء حتى خرجت منها سايبل : اسف .. ثم حملها بقية المسافة .

قالت سايبل وهي تجري دون ندم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في اتجاه الفندق : ــ الى اللقاء .

* * *

ارتدى الشاب ثوبه . احكم شد اربطته ، وحشر فوطته في جيبه ، اخذ العوامة الرديئة تحت ابطه . سار وحده متثاقلا فوق الرمل الناعم الساخن تجاه الفندق .

اسفل الطابق الرئيسي من الفندق، حيث وجهت الادارة المستحمين لاستخدامه ، دخلت سيدة تضع الكريم على انفها الى المصعد مع الشاب .

قال لها حينما بدات العربة التي هبطت منها تتحرك : ــ ارى انك تنظرين الى قدمي .

قالت السيدة : ــ عفوا .

ــ قلت انني اراك تنظرين الى قدمي .

اتجهت المراة نحو ابواب العربة وقالت : ــ عفوك ، لقد كنت انظر الى الارضية .

قال الشاب : ــ اذا كنت تحبين ان تنظري الى قدمي فقولي ، ولكن لا تجعلي لعنة الله تحل عليك لهذا السبب .

قالت السيدة بسرعة للفتاة التي تدير العربة : ــ خذيني بعيدا عن هنا من فضلك .

اغلقت ابواب العربة ، ومضت المراة دون ان تنظر للخلف .

قال الشاب : ــ ان لي قدمين طبيعيتين ، ولا استطيع ان ارى سببا يجعل اي واحد من المستخفين



الملعونين يتفرس فيهما .

ــ خمسة من فضلك .

ــ اخرج مفتاح حجرته من جيب ردائه . هبط في الطابق الخامس . عبر الصالة . وجد نفسه في ٥٠٧ . فاحت في الغرفة رائحة جلد حقيبة جديدة وطلاء اظافر .

نظر الى الفتاة الراقدة على احد جناحي السرير المزدوج ، ثم ذهب الى احد اجزاء الحقيبة ، فتحه . ومن تحت اكداس الشورتات والقمصان اخرج مسدسا عيار ٦٥و٧ ذاتي الحركة . وقع بصره على المجلة ، القى نظرة عليها ، ثم اعادها لمكانها . وضع اصبعه على الزناد ثم سار الى الجناح غير المشغول من السرير المزدوج، وجلس عليه . نظر الى الفتاة ، رفع المسدس ، واطلق طلقة فوق الاذن في جانب وجهه الايمن .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# قصيدة وشاعر

بقلم :
الدكتور حسن فتح الباب

# رسالة الى الأم

## للشاعر الايطالي المعاصر : سلفاتوري كوازيمودو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يظل الرجل منا او المراة ينضج حتى تبدأ اوراق عمره تتساقط مع اوراق الخريف اذا قدر له ان يبلغ الكبر . ولكنه يظل طفلا في عيني امه مهما شاب صفحة وجهه من تجاعيد وبدا — اذ يجاور من ولدته — قريبا من

● فاز سلفاتوري كوازيمودو بجائزة نوبل للاداب لعام ١٩٥٩ من اكاديمية العلوم السويدية في ستوكهولم . وكانت هذه هي المرة الرابعة التي يفوز فيها ايطالي بتلك الجائزة ، فقبلها فاز بها الشاعر الايطالي المشهور جوزيه كاردوتشي في عام ١٩٠٦ ، والروائية جرانزيا دليدا من « سردينيا » في عام ١٩٢٦ ، ولويجي بيراندلو في سنة ١٩٣٤ . ثم فاز من الايطاليين بالجائزة عن عام ١٩٧٥ بعد شاعرنا كوازيمودو الشاعر اوجينو مونتالي أعظم شاعر ايطالي في العصر الحالي . وقد تسلم الجائزة في ستوكهولم في ١٠ نوفمبر ١٩٧٥ .. وبررت الاكاديمية منحها اياه الجائزة بقولها : ان عمله الادبي الفذ يعبر عن قيم انسانية في رؤية الحياة بلا أوهام .

قريب ، انه فرع الشجرة الطيبة بل فلذة الكبد وقديما قال شاعرنا العربي القديـــم :

**وانما اولادنـــا بيننـــا  اكبادنا تمشي علـــى الارض**

وليس في مسرات عالمنا هذا أكبر ولا اعمق في قلب الام من احتضانها وليدها الذي غذته بعصارة حياتها ثم وهبته لمجتمعه . ولا يغيض هذا النبع القدس بانقضاء مرحلة البكور من عمر الولد ، بل يبقى متجددا ابدا على مدار السنين . وانما تتحول مناغاة الطفل في حجر امه الى مناجاة عينيها لعيني الصبي ، ويتحول العناق الدائم الى اراحة اليدين على كتفي الشاب القوي، ويتحول كيانها كله الى عيون تراعي وشفاه تدعو وأكف تتضرع وقامة ترتفع زهوا بأن صاحبتها انثى معطاء وانسانة تملك الوجود كله مركزا في فرد هو وليدها الذي اصبح ملء عينها وملء الوجود .

ويواكب نبع المسرة نبع الايثار ، اثنين في واحد ، فتظل الام علـــى استعداد دائم لبذل الحياة فداء لا بنها ــ كلما تهددته الاشباح ــ كما بذلت أول مرة فخرج الى الوجود وابقيت عليها حياتها . انه تواصل البذرة بالساق والساق بالاوراق والاوراق بالازهار والثمار . وتواصل النبت بالتربة ، تواصل الجزء بالكل والكل بالجزء خلق واحد . فتبارك الله احسن الخالقين .

ومن ثم كانت مناجاة الامهات لابنائهن على السنة الشعراء من آيات الفن الشعري في التاريخ الادبي . وقريب من هذه المناجاة في عمقها وشفافيتها قصائد الاباء الشعراء في ابنائهم وبناتهم . ولا تختلف الفنون الاخرى بداهة عن الشعر في هذا المضمار فكلها روافد لنهر واحد هو الحس الانساني المرهف والقدرة على تصويره بالكلمة ، او بالنغم ، او الخطوط التشكيلية والالوان ، او الحركة المرقعة ، او غير ذلك من الوسائل التعبيرية .

وليس ثمة شك في ان احساس البنوة بمعنى احساس الابن بالانتماء الى امه او ابيه معدن فني أصيل ايضا يحمل من معاني الجمال ما يحمله احساس الابوة ، لان رحيق الاصل ينساب في اوصال الفرع والشيء من معدنه لا يستغرب . ولا مجال للقول بان احساس الابوة اكثر شيوعا في المجتمع البشري من احساس البنوة لعلة او اخرى . وسواء اثبتت ذلك الدراسات والاحصاءات الاجتماعية والنفسية ام لم تثبت ، فان العبرة في مجال الفن وتقويمه بالنماذج المتاحة من هذا الجانب او ذاك بغض النظر عن حجم كل منهما .

والخلاف بين مشاعر البنوة ومشاعر الابوة لا يكمن في العمق وانما في

الظواهر ، فكأننا ازاء فعل او مؤثر يتمثل في الابوة او الامومة ورد فعل او استجابة يتمثل في البنوة .

فالامم تبدأ بالعطاء ويجاوبها الابن بالوفاء . والام تغمر بالحب والابن يستجيب بالولاء ، بيد ان هنالك حقيقة ازلية لا تتغير بين الام او الاب والابن في العلاقة مهما بدا ان المنبع والمصب يتبادلان موقعيهما على مسيرة الزمن. ذلك هو حنان الام الذي ليس كمثله شيء والذي يصاحب المرء منذ المهد الى اللحد ، فلا يملك الا ان يذكره مهما تبدلت الايام والليالي ، وان يجعل منه مرفأ الذكريات الذي يرسو اليه كلما عصفت بسفينته الامواج . ومن هنا كان الحنين هو الوجه الاخر للحنان .

ومن القصائد التي تغلغلت في روحي منذ قراتها اول مرة وما اظنها مفارقتي ابدا تلك التي ابدعها الشاعر الايطالي سلفاتوري كوازيمودو بعنوان ( رسالة الى الام ) وقد ترجمها الدكتور عبد الغفار مكاوي في مصنفه القيم ثورة الشعر الحديث . ولعل الاثر العميق الذي تركته هذه القصيدة في نفسي مرده الى امرين : اولهما قوة الاحساس النفسي، وثانيهما تفرد الشاعر في ادائه الفني ، بمعنى قدرته على التعبير بصورة غير مطروقة او مسبوقة، بحيث بدت التجربة الانسانية العامة التي صورها وهي الحنين في دار الغربة الى الام كما لو كانت تجربة ذاتية شديدة الخصوصية ، نظرا لما تتسم به القصيدة المثمرة من نكهة فريدة ، وما توحي به رغم واقعيتها من مناخ حالم اشبه بالرؤى والاساطير ، وتلك ميزة الفن الخالد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذا الانطباع الذي نخرج به من القصيدة يجعلنا لا نتوقف كثيرا لنتساءل عما اذا كان الشاعر هنا يخرج من الخاص الى العام او من العام الى الخاص كما يحلو لجمهرة النقاد المحدثين ان يرددوا . ذلك ان مقاييس الجمال الصحيحة في العمل الفني هي التي تنتج منه . اما استقراء الاعمال الفنية المختلفة للوصول الى عدة سمات او ظواهر مشتركة بينها ثم وضع مجموعة من القواعد او المعايير في ضوئها بقصد تطبيقها على كل عمل فني يضعه الناقد تحت مجهره الدقيق او غير الدقيق ، فقد يؤدي الى الخطل في الراي ، فيخفض من شأن فنان لانه خرج على تلك القواعد المتعارف عليها او يعلي من شأنه اخر لانه التزم بها في خضوع ، على حين ان الاول ربما يكون قد أعطى اضافة ذات قيمة وان الثاني قد اعطى ما لا غناء فيه .

ان في هذا المنطق النقدي الذي شاع حينا ــ وما زلنا نعاني من اثاره ــ اهدارا لحقيقة الفن وتسفيها للنقد وجنوحا به عن غايته ، اذ يقضي على نزعات التجديد والابتكار والتطوير ، وهي السمة الاساسية للفن الاصيل ،

ويشيع روح « التنميط » ويصادر فردية الفنان في اسلوبه وحريته في اختيار بنائه الفني ، ويتعصب لمدرسة واحدة ربما لا تكون افضل المدارس . واذا كان هذا المنهج يصلح لشيء فانما يصلح لتحديد العصور او المراحل الادبية من خلال الكشف عن الظواهر المشتركة وتقنينها .

ان شاعرنا يصدق ويقدر في التعبير عن تجربته فيصدرها نافذة من حشاشة النفس تسجل ايقاعه الخاص . وهذه الخصوصية هي التي ارتفعت بقصيدته الى الذروة الانسانية . . انه لم يبدأ من الخاص ليخلص الى العام، بل ان الخط الذي سلكه كله هو تعبير عن معاناته هو وحده ، ولكنه بتدفقه وعمقه ولانه يصدر عن شاعر حقيقي في تمثيله للانسان غدا عملا فنيا عالميا ، بمعنى انه يلمس قلب الانسان اينما كان . والى جانب الابتكار او التفرد في التعبير ثمة سمة اخرى في هذه القصيدة من عوامل امتيازها وادراجها في عداد الشعر الخالد الا وهي بساطتها . فليس ثمة غموض او تعقيد فالملاحظ ان الصور مركبة دون تعقيد . ولا شطحات او تهاويم تشبه الالاعيب النارية او الاكروباتية . وليس ثمة قفزات مفاجئة من المعاني او الاخيلة او التراكيب المبتسرة مما يلقي ستارا صفيقا بين الفنان والمتلقي وان بهر الاول الثاني بمهارته . اننا نعايش في هذه القصيدة الحياة في جوهرها ، فالفن الحقيقي يشبه الحياة من حيث يسرها ووضوحها رغم تركيبها . ولقد التفت النقاد العرب القدامى الى هذا المعنى بوصفهم للادب الرفيع بانه السهل الممتنع. فالسهولة هي التلقائية والانسياب ونبذ التصنع والتقعر وعدم الانزلاق في شراك الالغاز والطلاسم ، والامتناع هو الاصالة التي يصعب تقليدها .

ومظهر السهولة والامتناع في قصيدة رسالة الى الام انها تجعلنا نلتفت الى داخلنا مذهولين في سعادة جارفة بما كشفه الشاعر لنا من ينابيع الجمال الحق التي تنبض بها نفس الانسان والتي كانت محجوبة عنا وكأننا نشاهدها بعد غيبة طويلة او كأنها لم تكن موجودة قط من قبل . انه لا يلوي اعناقنا قسرا كما يفعل انصاف الشعراء ليستعرض امامنا بهرجه وزينته وليقول لنا: أرأيتم عبقريتي !! لن تبلغوا شأني . وانما يقول : انا رجل منكم تشغلني مثلكم هموم الواقع ، غير اني استطعت في لحظة صفو نادرة ان ارتفع فوقها ثم اهبط مرة اخرى لاواسيكم واوقد شمعة في الليل تنير لنا طريقنا الموحش الطويل ، شمعة تقبس نورها من عيون امهاتنا ونقاءها من ذكريات الطفولة بين احضانهن .

ومن الخصائص المميزة لهذه القصيدة ايضا ما تشف عنه من اتصال روحي بين الشاعر وبين الطبيعة في كل مكان وقعت عليه عيناه ، ومن الف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بينه وبين الاشياء الصغيرة مما تخطئه العين العابرة او الحس غير اليقظ. فالاتصال الحميم بينه وبين الطبيعة والموجودات يتمثل في تجسيده لشخوصها من ضباب وقناة وجسور ومن اشجار الكافور واللوز والبرتقال فكأنها تحس وتأنس او تستوحش ، تسر أو تحزن ، اذ تتخللها احاسيس الشاعر المتباينة .

والقصيدة كلها تعبق بعبير ذكريات البيئة على عهد الطفولة حين كانت تراعي الام شاعرنا بعيونها الواسعة الطيبة . ومن الف الموجودات ما يذكره — في حنين آسٍ — عن بيته : مهده ومدرج صباه ، حيث ما زال يسمع — من بعيد — دقات ساعة المطبخ المعلقة فوق الحائط والتي مرت على مينائها وعلى الزهور المرسومة عليها — ويا للروعة ! — طفولته كلها . ومن البلدة التي ترعرع فيها ما زال يشهد بعيني الذكرى معالمها يتداعى بعضها في اثر بعض في عذوبة وشجو مثير : الساحة الكئيبة ذات القطارات الكئيبة ، النهر الممتلىء بالطيور والملح والاشجار ، على انه اذا كان الامتزاج بالطبيعة والموجودات سمة مشتركة بين كبار الشعراء ، فان سلفاتوري كوازيمودو ينفرد بتصوير العلاقة العاطفية بين شاعر متمرد آبق في صباه وبين ام تشوب ابتسامتها سخرية مثل أمه ، ابتسامتها المنقذة من الويل تفتر عن شفتين وديعتين ورث مثلهما الشاعر .

أم تعيش — منتظرة دائما — في عذاب الخوف من ان يقتل ابنها الطريد، أم فقيرة عادلة في عاطفتها المثرية حيال ابنائها المغتربين المشردين .

اما استهلال القصيدة بنداء « يا أمي الحبيبة » وختامها بنداء يتكرر « الوداع يا امي المحبوبة » ومناشدة الموت « موت الرحمة » ، « موت الخجل » الا يلمس ساعة المطبخ التي تدق ، الا يلمس ايدي العجائز ، الا يلمس قلوبهم ، فانها ابلغ من كل تعبير . واذا كانت هذه القصيدة في صورتها المترجمة تحمل الى المتلقي تلك الدفقة او الشحنة الشعورية الهائلة ، فكيف اذا كان المتلقى قارئا لها في لغتها . على ان الترجمة هنا عمل ابداعي بلا جدال طالما أن صاحبها استطاع ان يفجر فينا روح الشاعر ويثرينا بآياته الفنية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# القصيدة

« يا أمي الحبيبة ، الان يهبط الضباب ،
قناة « النافيليو » تضرب جسورها في غموض ،
الاشجار تنتفخ بالماء ، تحترق بالثلج ،
لست حزينا في الشمال .
لست في سلام مع نفسي
لكني لا انتظر المغفرة من احد
كثيرون يدينون لي بالدموع
كما من رجل لرجل
أعلم أنـــك لست علـــى ما يرام
أنك تعيشين كما تعيش كل امهات الشعراء
فقيرة وعادلة في مقياس الحب
للابناء البعيدين
انـــا الذي أكتب اليوم اليك » .
ستقولين ، اخيرا تصلني كلمتان
من الولد الذي هرب في الليل
على كتفيه معطف قصير
وفي جيبه بضعة اشعار
مسكين ، حسن النية
سيقتلونه يوما من الايام في مكان ما
« يقينا ، ما زلت انكر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تلك الساحة الكئيبة ذات القطارات البطيئة
التي كانت تحمل اللوز والبرتقال الى مصب
« الابمرا »
النهر الممتلىء بطيور العقعق ، والملح ،
واشجار الكافور
غير أني الان ،
أريد ان اشكرك ، على السخرية
التي وضعتها على شفتي
الوديعة كشفتك
انقذتني تلك الابتسامة من البكاء والاحزان
ولا يهم الان انني احمل دمعة لك
لكل الذين ينتظرون مثلك
ولا يدرون ماذا ينتظرون
آه ، أيها الموت الرحيم ،
لا تلمس ساعة المطبخ التي تدق فوق الحائط
طفولتي كلها قد مرت على مينائها
على هذه الزهور المرسومة عليها
لا تلمس أيدي العجائز
لا تلمس قلوبهم
فربما أجاب احدهم ؟
آه يـــا موت الرحمة ، يا موت الخجل
الـــوداع يا حبيبتي
الوداع يا امي المحبوبة ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# تراثنا في الميزان

بقلم الدكتور عفيف عبد الرحمن

لعل عنوان هذا المقال لم يكن ليجيء على هذه الصورة لولا شغفنا — نحن العرب — بالعناوين المثيرة الغريبة الملفتة للانظار ، حتى ان المرء ليخيل اليه اننا في هذه العجالة سنحاكم تراثنا ونزنه ونقيمه .

الحضارة هي انفس وانبل واخلد ما للامة من تراث في جماع علومها وآدابها وفنونها ، ولئن كان من صنع الطبقة الممتازة الواعية في الامة فهو في النهاية للانسانية جمعاء ، لا فرق بين عرق وعرق ، وبين لغة ولغة ، وبين عقيدة واخرى ، او حاجز من زمان او مكان ، ما دامت تشارك فيه على اقدارها متأثرة ومبدعة ومؤثرة ، وتتوارث افضله وتبنى عليه في سبيل تطويرها وتفاهمها وتكاملها .

ولقد كان للعـــرب والمستعربة والذين دخلوا في الاســـلام تراث ومشاركة وابداع منذ اقدم العصور ، ولكنه لم يصبح عميقـــا وشاملا ومتبلورا بالاسلام ، فبالاسلام صبغ هذا التراث بصبغة فكرية مميزة ، وبالاسلام حددت معالمه ، وبالاسلام تبلورت افكاره .

ويشكل التراث العربي جزءا من التراث الانساني ، ولعله اكثـــر اجزاء التراث الانساني اتســـاعا وتعقيدا وغموضا في اصـــوله وتاثره وتفاعله وتطوره واثره ، وذلك بسبب ما رافق ذلك التراث من عصبيات قبلية وانساب ومنازعات على الخلافة كانت من نتائجها نشأة الاحزاب والفرق الاسلامية المتعددة ، ومن حركات متطرفة ادخلت عليه من البدع، ومن أحقاد المرتدين والملحدين والمنحرفين ، ومن سعة الانتشار والعلوم المختلفة التي قامت عليه في القرآن والحديث والسنة وعلم الكلام واصول الدين ... الخ .

هذه العوامل جميعها ساعدت على طمس بعض معالم تراثنا العربي في الماضي ، كما كانت سببا في التشهير ببعض العلماء والمفكرين امثال ابي حيان التوحيدي والشريف الادريسي وابن رشد وابن باجة وغيرهم حينما رماهم خصومهم بتهم كثيرة هي في معظمها مختلقة ، وربما كانت كلها ترد الى خصومة فكرية او حسد .

على أن ما ذكرناه لا يقلل من قيمة هـــذا التراث ، وانما يجعـــل الدارس الذي يتناوله كمن يسير في درب وعرة . وربما كانت العوامل السابقة سببا في اتلاف بعض هذا التراث او ضياعه .

ويشكل تراثنا العربي الاسلامي حلقة بين تراث اليونانية القديمة وبين اللاتينية الحديثة الذي ارست عليه اوروبا نهضتها الحديثة وابدعت منه تراثا وحضارة . فالتراث العربي لم يكن تراثا جامـــدا منغلقا على نفسه ، بل اننا لا نجافي الحقيقة اذا زعمنا أن الحضارة العربية الاسلامية في الماضي لم تزدهر الا لانها رفضت الجمود والانغلاق ، ولانها ورثت ، بل كانت الوريث الوحيد لكنوز الثقافة اليونانية ، وبعـــد ذلك اضافت اليها جهود علمائها وابنائها من شتى الاجناس والاديان واسلمتها بعـــد ذلك الى من تلقفها وقتلها درسا وبنى عليهـــا حضارته ، ويؤسفني ان لا نكون نحن في هذه المرة بل كانت اوروبا . ومن يدري فربما تهيأت لنـــا استعادته لنبني عليه نهضتنـــا المعاصرة ، ورب هامس اننا فعـــلا قد استعدناه وها نحن نبني حضارتنا الجديدة التي هي امتداد لحضارتنـــا السالفـــة .

وقد يتساءل البعض : ما مادة هذا التراث ؟

ان تراثنا لم يترك مجالا الا ولعلمائنا فيه باع طويلة ، فالطب والفلك والحساب والفلسفة والادب وعلم الكلام وعلم التفسير وغير ذلك من العلوم هي مواد تراثنا الهائل . ولعل العجب يتملكنا حينما نعلم انه ينتشر في انحاء العالم لنا اكثر من مليون مخطوط في مختلف انواع المعارف الانسانية ويزداد عجبنا اذا عرفنا أن ما نشر منها حتى الان لا يعدو مائة الف مخطوط .

ان هذه التركة الضخمة موزعة في مراكز التراث في العالم ، انها موزعة بين روما وبرلين وباريس ومدريد والفاتيكان ودبلن واكسفورد وموسكو ولينغراد وصوفيا وغيرها من العواصم في أوروبا ، اما في العالم الاسلامي فلا تكاد تخلو حاضرة من حواضر العالم الاسلامي اليوم الا وفيها مركز للمخطوطات . ففي دمشق المكتبة الظاهرية ، وفي تونس جامع الزيتونة ، وفي المغرب الخزانة العامة والخزانة الملكية وجامع القرويين، وفي مصر دار الكتب المصرية ومعهد المخطوطات ، وفي العراق المتحف العراقي وخزائن النجف الاشرف ، وفي القدس المكتبة الخالدية ، وفي الباكستان والهند وافغانستان وايران . وفي امريكا الكثير من مخطوطاتنا في جامعاتهم حتى الكونغرس الامريكي في مكتبته الكثير من مخطوطاتنا .

في معهد المخطوطات الشرقية ـ لينغراد ثمانون الف مخطوط عربي ورثتها روسيا القيصرية بعد سيطرتها على وسط اسيا الاسلامية .

وانني لازعم بأن جل تراثنا موجود خارج حدودنا العربية ، ولهذا نجد الباحث منا يهرع الى مكتباتهم أو يتصل بها بحثا عن مخطوط أو كتاب .

ونتساءل ما الذي أوصل تراثنا الى هناك وهذا موطنه الاصلي ؟

ان تراثنا العربي قد حظى بالتدوين والجمع والفهرسة منذ العصر العباسي ، وبعضه نال اهتماما قبل ذلك بكثير ، واول التراث الذي نال اهتماما هو القرآن الكريم ثم الحديث الشريف ، وتلا ذلك الشعر واللغة وتلاهما كتب الطبقات المتنوعة المشارب وبقية الوان المعرفة .

ومن كتب تصنيف العلوم التي وصلت الينا : احصاء العلوم للفارابي ومفاتيح العلوم للخوارزمي ، ورسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ، وجوامع العلوم لابن فريعون ، والفهرست لابن النديم ، واقسام العلوم العقلية لابن سينا ، ورسالة في مراتب العلوم لابن حزم ، وفهرسة ابن خير الاشبيلي .

وقد تعرض تراثنا لعوامل كثيرة كانت السبب في بعثرته واتلاف الكثير منه ولو وصلنا جميعه لوصلنا خير عميم . ولعل ما اصابه على ايدي حملات التتر والحملات الاوروبية والحرق والاتلاف بعد سقوط الاندلس لا يخفي على أحد . كما أن بعضه تلف بأيدي العرب انفسهم نتيجة اختلافهم في المذاهب والآراء . اما هولاكو وحده فقد قضى على معظمه خلال حملته على بغداد عام ٦٥٦ هـ ، حيث القى بالكتب في النهر، وعندما حكمت تركيا العالم العربي حملت بعض هذا التراث الى العاصمة العثمانية ، وما زال هناك وفي متناول الباحثين .

اما اوروبا فقد وصل اليها تراثنا خلال فترة استعمارها للعالمين العربي والاسلامي ومما ابقت عليه اسبانيا المسيحية بعد حرق معظمه ، فقد قام الاوروبيون بعملية منظمة في النهب : تارة بحمله دون ثمن وتارة بشرائه بثمن بخس . وقد لا اكون مبالغا اذا زعمت أن بعض المستعمرين قام بحرق بعض هذا التراث . ولعل هذا يفسر لنا تواجد تراثنا في مكتباتهم ومتاحفهم اكثر من تواجده عندنا لانهم نقلوه ونحن غافلون جاهلون لقيمة هذه الكتب والمؤلفات .

وهكذا نجد أن هذا التراث قد تعرض لكثير من عوامل الضياع والابادة ، ومع ذلك فقد نجا منه الكثير الذي لم ير النور منه الا النزر اليسير .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والسؤال الذي يلح علينا دوما : هل نؤمن حقا بتراثنا ؟ هل نجد فيه معالم حضارة مزدهرة معطاء ؟ واذا كنا حقا نؤمن به وبأهميته فكيف نعمل على احيائه وجعله عاملا ايجابيا فعالا في بناء مستقبل مشرق لامتنا واعادة مجدها الغابر ؟

في كل عطاء ادبي وفكري جديد بعد زمني وصدى تاريخي يشير الى جذور عميقة ، ويربط بينه وبين تراثه ، وتحقق هذه العلاقة بين الماضي والحاضر ، بين القديم والجديد سواء اكان موقف المحدثين ايجابيا او كان موقفهم سلبيا ، فالايجابية استمرارية والسلبية تحد ، والحضور ، حضور الاسلاف بالتراث ، وارد في كليهما .

وهذا الحضور هو الذي يعطي للنتاج المعاصر اصالته ، ويميزه عن الآداب الاجنبية من جهة ، ويحدد عصريته من جهة أخرى ، فنور الماضي جوهر الجديد وجمالياته ، والجديد بدوره يعيد بناء الماضي بشكل اكثر تبلورا واستقامة .

ان احياء التراث يسهم الى حد كبير في الدفاع عن شخصية المواطن المعاصر وحماية أصالته من التبعية والاهتزاز ، كما أن احيـــاء التراث لا يساعد على التعصب والانغلاق كما يتبادر الى اذهان البعض ، ولكنه دعوة للتآخي بين الشعوب ، ونوافذ مفتوحة تغري المفكرين في الشرق والغرب لارتياد آفاقنا ، وتتلاقح العقول كما حدث في الماضي ، ولعـــله دعامة قوية من دعائم السلم اذا أحسن عرضه وهذب من شوائبه .

عرضت هذه الاسطر قبل أن أجيب على التساؤلات التي طرحتها، ولعلها تفيد بأنني مؤمن بتراثنا ، ومؤمن بأصالته على دفع عجلة تقدمنا ، ولكن رأيي لا يكفي ، فما أنا الا فرد في أمة .

على أنني سأحاول أن أحـــدد مواقف بعض الفئات المتعارضة من التراث في عصرنا الحاضر ، فبعض أبناء أمتنا يرون أن هذا التراث نظري، وانه مرحلة متقدمة جدا لا فائدة من العودة اليها واجترارها والعالم يسير الى الامام بخطى سريعة .

وفريق يرى أن الواجب يقتضي أن نرفع عن هـــذا التراث طابع القداسة ، وأن ندرسه دراسة علمية نقدية كما فعل الدكتور طه حسين.

وأما الاشتراكيون فيرون أن التاريخ الانساني السابق على المجتمع الاشتراكي انما هو تاريخ مظـــلم ، باعتبار انه تاريخ كانت الطبقـــات الاستغلالية هي السائدة فيه .

وقد رفض فريق آخر التراث رفضا كاملا متعللين بأن السلفيين من المفكرين المعاصرين قد عرضوا للتراث بصورة رجعية سطحية ، وأنهم لم يتعرفوا على المنهج الجدلي عموما القادر على دراسة التراث دراســـة جـــادة .

ان قضية التراث وما يطرحه من تساؤلات هي القضية الملحة هذه الايام ، ولعلي أجد فيها ظاهرة صحية تدعو الى التفاؤل ، لاننـــا قل أن نقلب مجلة أو دورية الا وللتراث فيها نصيب ، قد يكون ايجابيا ، وقد يكون سلبيا ، وقد يكون محايدا ، ولكن القضية التي تظل حية وتطرح للمناقشة الجادة الواعية ، هي قضية هامة ، وستنتهي الى نتائج مبشرة بالخير .

ان أمتنا تتململ متلمسة طرق النهوض والتقدم ، وانها لتحاول ذلك بشتى الوسائل المتاحة ، تتعثر أحيانا وتنجح أحيانا أخرى ولكن الارادة وحدها قادرة على صنع المعجزة . أما اننا نجد في تراثنا معالم حضارة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مزدهرة فذلك بحث طويل لن أخوض فيه ، ولكني أحيل القارىء على مئات البحوث وعشرات الكتب التي كتبها غيرنا مشيدين بتلك الحضارة ، وبذلك التراث . ومن شهد له خصومه لا يحتاج الى ادلة .

أما كيف نعمل على احيائه ؟ فسأرجىء الاجابة لاتحدث عن فئة كان لها دور ايجابي في نشر تراثنا واحيائه قبل أن نفكر نحن بزمن ليس بالقصير، واعني المستشرقين . وان ما اقوله في هذا المجال سوف لا يرضي البعض ولكنه الحقيقة التي لا ننكرها .

المستشرقون جماعة من العلماء من خارج عالمنا العربي ، من أوروبا شرقيها وغربيها ، ومن امريكا، بعضهم من كان متصلا بالكنيسة، وبعضهم كان علمانيا ، استهواهم الشرق وتراثه ، فاتجهوا اليه وبعضهم رحل اليه في أزمان متقدمة ، واقام فيه يدرس تراثه ولغته وكل ما يتصل به . وربما كانت الاندلس وحضارتها أول اتصال لاوروبا بالتراث العربي والحضارة العربية . وكانت أوروبا على وشك أن تبني نهضتها الحديثة .

لقد كان التراث العربي والحضارة العربية اول بصيص من النور اضاء للغرب طريقه الى التقدم ، فكان ان ترجمت اوروبا المخطوطات العلمية العربية الى لغاتها المختلفة ، وعكفت على دراستها والاستفادة منها .

ولعل بعض ما سأسوقه الآن يمثل ملامح صلات أوروبا بتراثنا ، ففي مونبليه بفرنسا انشئت مدرسة للطب سنة ١٢٢٠م ، وطارت شهرتها ، وتوافد عليها طلاب من كل صوب . وفي سنة ١٣١٢م اقر البابا كليمنص الخامس انشاء كراسي للعربية وبعض اللغات السامية في عواصم العلم من أوروبا ، في باريس وروما واكسفورد وغيرها . وفي ايطاليا عنيت جامعة بولونيا عام ١٠٧٦م بعلوم العرب وتلتها جامعة نابولي سنة ١٢٢٤م فاهتمت بثقافة العرب . واتصلت المانيا بتراثنا منذ الحملة الصليبية الثانية ( ١١٤٧ ــ ١١٤٩ ) . أما انجلترا فقد كان الاستشراق الانجليزي ثقافيا وعسكريا واقتصاديا واستعماريا .

اذن فقد عرفنا سبل اتصال أوروبا بتراثنا وبحضارتنا عن طريق الاندلس ، وعن طريق الحملات الصليبية ، وعن طريق استعمارهم لبلادنا .

وبعد ، فما الذي فعله هؤلاء لتراثنا ؟
ذلك سؤال تحتاج الاجابة عليه الى مقال مستقل وسأوجز لاصل

الى الغرض الاساسي من هذا البحث .

١ ــ لقد فهرس المستشرقون تراثنا ، وجمعوه ، وحصروا اماكن وجوده، ولعل من بين الاسماء التي تلمع في هذا المجال : فون هامر وكريمر وبروكلمان ودي غويه ونيكلسون وكريمسكي وجب وفؤاد سيركين. وكتاب بروكلمان مترجم ومتداول في العالم العربي ، وكذا كتاب فؤاد سيركين ( التراث العربي ) .

٢ ــ المساعدة على جمع التراث بتقديم المشورة الفنية والخبرة او المال او تحديد اماكن تواجده .

٣ ــ فهرسة هذا التراث ووضع فهارس دقيقة له ، وتحديد اماكن تواجده في المكتبات العامة والخاصة .

٤ ــ عاونوا في ترتيب التراث في مكتبات الشرقين الاوسط والاقصى وشمال افريقيا ، ولعل من نافلة القول التذكير بأن بعض الامناء المتقدمين لدار الكتب المصرية كانوا من المستشرقين .

٥ ــ تحقيق بعض هذا التراث ونشره نشرا علميا موثقا .

٦ ــ ترجمة بعضه الى سائر لغاتهم ، فقد ترجم الى الفرنسية مثلا ٢٤٦٦ مؤلفا عربيا .

٧ ــ دراسته وقد شملت دراسة التراث : دراسة المعاجم المقارنة ، واستدراك ما فات معاجمنا القديمة . ويحضرني في هذا المجال معجم فيشر الذي انفق من عمره اربعين سنة في ترتيبه على المصادر، واقر مجمع اللغة بالقاهرة نشره . كما شملت دراسة الاسلام ، ودراسة الفتح الاسلامي ، والسلالات الحاكمة ، ودراسة فنون الادب ، ودراسة العلوم المختلفة ، كما عنوا بنشر المجموعات مثل المكتبة العربية الصقلية ، ومجموعة الادب الفلسطيني ، ومكتبة الجغرافيين العرب وغيرها .

ويكفي أن نعلم ان مستشرقا واحدا هو بروكلمان له اكثر من مائتي مؤلف في لغتنا وتراثنا ودیننا .

وللمستشرقين جهود اخرى منها : انهم انشأوا المطابع الشرقية في اوروبا ، ومنها مطبعة ليدن في القرن الخامس عشر . ومن جهودهم المجلات الشرقية فقد وجدت اكثر من ٣٠٠ مجلة متنوعة خاصة بالاستشراق والدراسات الصادرة عن المستشرقين . ومن جهودهم اخيرا : المؤتمرات الدولية للاستشراق التي كان يحضرها علماء من مختلف الدول في العالم

بالاضافة الى المستشرقين ، وقد عقد منذ ١٨٧٣ ــ ١٩٦٤ ستة وعشرون مؤتمـــرا .

ولعل من ابرزها ما يميزهم : اخذهم بأمهات اللغات ، سامية كانت أم آرية ، وتخصص الواحد منهم بلغـــة أو دين او علم او ادب او عصر فيقتله بحثا . واخيرا جلدهم الذي لا حد له .

وقد يمط بعضنا شفتيه قائلا : ما الدافع لكل هذا التفاني ؟ واجيب ان الدوافع كانت كثيرة ومتنوعة ، فبعضها كان علميـــا ، والآخـــر كان سياسيا ، وربما كانت الدوافع اقتصادية ، وربما كانت ايضا مهنية حيث كانت حرفة أو مهنة امتهنها ونال جزاءه من المؤسسات التي كانت تكلفه بالدراسة والبحث. اما موقفنا من الاستشراق والمستشرقين فقد انقسمنا الى فريقين :

فريق جعلهم ضررا وبلاء لا نفع منهم ولا دفع . ومن هـــذا الفريق احمد فارس الشدياق وشكيب أرسلان ، اما التهم الموجهة اليهم فهي : اغلاطهم الكثيرة حينما قامـــوا بنشر التراث ، والتعصب ضدنا وضـــد حضارتنا وديننا . والسطو على المخطوطات ونهبها . وربما اسيء الظن بهم لانهم ارتبطوا في بداية حركة الاستشراق بالتبشير .

وفريق آخر يجلهم ويعتبرهم روادا ومعلمين ومرشدين لنا في تحقيق تراثنا ودراسته والمحافظة عليه . واسمحوا لي أن اصنف المستشرقين في موقفهم من الاسلام ذلك الموقف الذي أثار حفيظة الكثيرين منـــا . ان المستشرقين ينقسمون الى فئات خمس في موقفهم من الاسلام :

**الفئة الاولى :** فئة من طلاب الاساطير والغرائب ، وهذه فئـــة لم تكن من العلم في شيء وقد انقرضت .

**الفئة الثانية :** فئة مرتزقة سخرت اقلامها لخـــدمة مصالح بلادها الاقتصادية والسياسية والاستعمارية .

**الفئة الثالثة :** فئة متغطرسة اعمتهم الضلالة فحادوا عن الموضوعية والامانة العلمية .

**الفئة الرابعة :** تعرضت للاسلام ودرسته دراسة دون قصد الطعن فيه ، بل درسته كما تدرس كتبهـــا ، ووقفت منه كمـــا وقفت من كتبها الدينيـــة .

**الفئة الخامسة** : فئة انصفت الاسلام ، وبعضهم اعتنق الاسلام كما فعل الراهب الفرنسيسكاني تورميدا في تونس ، وتسمى بعبد الله بن علي ، وصنف، كتبا في انتقاد النصرانية .

وللحقيقة والتاريخ فان الفئة الغالبة على الفئات الاخرى كانت الفئة غير المتعصبة ، الفئة التي كانت تلتزم بالامانة العلمية . واسمحوا لي ان اتساءل: الم يتجن بعض باحثينا قديما وحديثا على تراثنا ومعتقداتنا وعلمائنا ؟ ان كنا نجد ذلك بيننا فليس غريبا ان نجده عند غيرنا .

واسمع صوتا يهتف من بعيد ، ولماذا نسمح للغرباء بتحقيق تراثنا ودراسته ؟ اليس الاجدر ان نتولى ذلك نحن بأنفسنا ؟ ذلك ما سأخصص له ما تبقى من هذا المقال ، واغفروا لي استطرادي في شرح دور المستشرقين في بعث تراثنا فذلك المجهود العظيم ينبغي أن ينال حقه ، وان شابته بعض الشوائب .

لقد بدأ اتصالنا بتراثنا بشكل عملي منذ صحونا من سباتنا ، ومنذ أن عرف شرقنا العربي المطابع ، فبدأت بعض الجهود الفردية ، وحققت بعض الكتب ونشرت نشرا لا نعتبره دقيقا ولكنه أدى خدمة في تلك الفترة، فقد نشر لسان العرب والاغاني ونهاية الارب وصبح الاعشى والكامل للمبرد ودواوين شعرية كثيرة ، ولكن بعض هذا الذي نشر كان المستشرقون قد سبقونا اليه . فديوان المتنبي نشر في أوروبا في القرن التاسع عشر ، ومثله الكثير من تراثنا ، كما اسهم بعض المستشرقين الذين انتدبوا للتدريس في الجامعات المصرية وغيرها في نشر بعض التراث .

وتتابعت الجهود الفردية وبدأت تطرد وتتسع ، ولكن معظمها ظل بعيدا عن الامانة العلمية ، وسلق بعضهم التراث سلقا دون تمحيص ، ان صح التعبير ، وقد أدى هذا الى تشويه الكثير من التراث وما زال يشوهه حتى يومنا هذا .

ومن الجهود التي تذهب هباء ، تلك الجهود التي تبذل من قبل اكثر من شخص او جهة في تحقيق مخطوط واحد ، فكثيرا ما نقرأ ان كتاب كذا او ديوان شاعر قد صدر في قطر عربي ، ولا نلبث أن نقرأ ان نفس الكتاب قد حقق من قبل آخر في بلد آخر ، وربما في نفس البلد . والامثلة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اكثر من أن تحصى . وقد يذهب البعض الى ان هذا ليس عيبا ، اما انا فأعتبره عيبـــا .

وكان الاجدر ان تتضافر جهود الجميع في اخراجه بشكل جيـــد ، فذلك افضل من بعثرتها . ان المستشرقين كانوا متخصصين ، ولم يكن احدهم ليقوم بعمل يتصل بالتراث الا بعد التنسيق مع الآخرين ، بحيث انني استطيع ان ازعم انهم كانوا يعملون وفق خطة مدروسة ومحكمة .

وقد يرى البعض بأن ذلك اجدى من التوقف حتى تتولى مؤسساتنا التنسيق ، ولكني ما زلت اعتقد ان بعض التنسيق ، ولو بالاعـــلان عن العمل قبل الشروع فيه حتى نعرف ان كان هنالك من يشتغل على هـــذا المخطوط .

واستطيع ان الخص ما فعلنا بالتراث وما فعلناه من اجله بما يلي :

١ ــ هناك جهود فردية منذ مطلع القرن العشرين ، وربما سبق بعضها هذا التوقيت ، تناولت التراث بالنشر ، ولكنه مشوب بالكثير من الاخطاء ، ولا اعتبره نشرا علميا موثقا ، ولم تستوف جميع نســـخ المخطوط في اماكن تواجدها .

٢ ــ ان ما نشر من التراث في الشرق العربي هو ما تيسر وسهل الاهتداء اليه ، ولم يقم هذا النشر على مسح شامل لتراثنا وترتيبه حسب الاولوية والاهمية .

٣ ــ نشرت بعض المخطوطات ونسبت خطأ الى غير اصحابها ، وصوب بعضها ، وبعضها لم يصوب .

٤ ــ ما نشر من تراثنا العـــلمي والفكري قليل ، والنشر منصـــب على الشعر والادب .

٥ ــ بعض التراث الذي يقع في اكثر من مجلد واحد نشرت بعض اجزائه وما زالت اجزاؤه الاخرى تنتظر الفرج .

٦ ــ هناك انانية لدى المشتغلين بنشر التراث فلا تعاون بينهم ، ويكتمون المعلومات عن بعضهم ، مما يسبب الكثير من الضرر للتراث ولهم .

٧ ــ نتاج بعض الفـــرق والمذاهب يخضع لعمليـــة حصار ومقاطعـــــة مقصودة ، وربما كان للتيارات السياسية اثر في ذلك .

ان ما فعلناه من اجل التراث يحتـــاج الى مؤسسات لتدعم النشر ماليا ، ولتقوم بعملية التنسيق ، هناك في عالمنا اليوم معهد المخطوطات يتبع الجامعة العربية له جهوده ولكنها قاصرة لعدم توفر الامكانات المادية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بشكل خاص . وهناك مجمع اللغة العربية بدمشق الذي كان له جهود مشكورة ولكنها دون المستوى المطلوب واعتقد ان المال هو السبب . وهناك مجامع للغة العربية في القاهرة وبغداد وفي عمان لها جهودها ايضا ولكنها ضئيلة ، هذا عدا بعض المؤسسات الخاصة التي اولت التراث اهتماما خاصا . ولكن العلة تكمن في عدم التنسيق والتخطيط وعدم توفر المال واحيانا سيطرة الروح التجارية التي تقيس عملها بالربح او الخسارة. ان مثالا واحدا من الغرب يحدد لنا خطوات العمل ، فالمعجم المفهرس لالفاظ الحديث الشريف صدر عن المستشرقين وانفقت عليه ست مؤسسات علمية ، ودائرة المعارف الاسلامية لها هيئة تشرف عليها ، ومن المضحك اننا لم نترجم منها الا اربعة عشر مجلدا حتى حرف العين على الرغم من صدورها منذ فترة ليست بالقصيرة .

ان تراثنا يحتاج الى مؤسسة ، تشرف عليها اداريا الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، وفنيا هيئة استشارية تستوعب ما قطعه المستشرقون في هذا المضمار ، وماليا تنفق عليه الدول العربية والمؤسسات المعنية ، وتنفذه بالتكليف والتنسيق الهيئات العلمية والافراد وبذلك يخرج العمل منسقا حسب الاهمية ومدققا لا تشويه فيه . اما ان يبقى هكذا حسب التيسير ، فاعتقد انه لن يؤدي الغرض المرجو منه .

فالتراث الذي ورثناه متنوع : منه العلمي الذي تجاوزه العلم الحديث واستفاد من معطياته ، ودراسة هذا لا تفيدنا الا من جهة اننا نتصل بما فعله اسلافنا ، وربما وقعنا على ما لم ير النور بعد ، ولم يستفد منه احد .

ومنه الادبي ، وهذا لا يفقد قيمته على مر العصور ما دامت مضامينه انسانية ، ومنه الفكري والفلسفي .

ومنه تراث الفرق الاسلامية والمذاهب ودراسة هذا اللون تجعلنا نقف على امور كثيرة نجهلها . عرضت لهذا لان الكثيرين اليوم يشككون في قيمة نبش الماضي وتراثه ، وان علينا ان نلتفت الى الحضارة الحديثة، فهي تعنينا . انني ارى انه لا تعارض بين الالتفات بوعي الى الماضي وتراثه ، والاهتمام بالحضارة الحديثة ومعطياتها .

ان الاصالة جوهر تحصله الامة وتبلغه من خلال عملية تنوير شاملة لا تتوقف عند مجرد البحث عن التراث فحسب ، بل الى مناقشة هذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التراث وتفحصه في جو تتلاشى فيه سيطرة غير المتفتحين في حوار مفتوح لا يغلقه باب الارهاب الفكري .

واخيرا ما دور جامعاتنا التي تضطلع بالدور القيادي في توجه الفكر وتعميقه وتأصيل شخصية الامة في بعث التراث ؟ لقد اجبت عن هـذا السؤال من خلال هذا المقال ومع ذلك الخصه بهذا العبارة : انه لاتعارض بين توجهنا العلمي والاهتمام بنشر التراث وبشكل خاص العلمي والفكري منه ، وكما انها تؤسس مراكز لعلم البحار والحاسب الالكتروني وغيرهما فعليها أن تؤسس مراكز أو دائرة للتراث القومي يؤدي دورا ايجابيـا في بعث التراث ، وتقويم ما اعوج من أساليب النهوض به ، ام ان جامعات العالم الغربي والشرقي احق منها بهذا العبء ؟ وما ادرانا فلعل في خططها مثل هذا . ارجو أن تلاقي هذه الدعوة آذانا صاغية وقلوبا مفتوحة ، واسأل الله ان يهدينا سواء السبيل .

**د. عفيف عبد الرحمن**
جامعة اليرموك ـــ اربد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# هنا النهر هنا أتذكر

شعر : مسلم الجابري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فرع صفصافة يتحرك .. او
زهرة ينثني خصرها
قطرة تتحـــرك
تهبـــط ...
تنزلـــق الذكريات ..
على العشب لامعـــة
يزدهي اللمعـــــان هزيلا
ليومين .. او
ليلتـــين

●

افترض غرضا .. يتغلغل في الروح

تنطلق الذكريـــات ..

على القلـــب فاجعـــة

يزدهـــي الهذيان طويـــلا

ليومين .. أو

ليلتـــين

افترض غرضا ،

ـ لم تزل ايها الليل ليـــلا ـ

ويقتحم القلب

مملكة الحب شاسعة

وهو ياتي اليهـــا ليـــلا ..

وقد يزدهي عندها

اذ يطيلون من زمـــن الحب .. أو

ينتهـــي !!

ـ لم تزل ايها الليل ليـــلا ـ

وهذي السلاحف ...

تزحف عبر اخضرارك

هذي المحارات .. حافلـــة بالضياء

تدحرجها الريح عبـــر محيطـــك

هذي الكوى ...

ـ والسحابات غافلـــة ـ

ترتوي من بريق السحابات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هــذي السحابات حاملــة

بالدمــوع

ومائلــة

للبكــاء

ــ افترض :

زمنــا للغنــاء

افترض :

كوة ، او سحابه

ــ يطيلون من خطواته السلاحف ...

يحترفون الغرابه .

وهذي المحارات عامرة بالكآبة

استدير بذاكرتي

نحو وجهك ...

يا قمرا يستدير .

وتنشر ذاكرتي كقطيع من النخل

يغرده المطر القمري

ويغسله

في الهزيع الاخير .

الفصون النحيــلات

مثقلة تحت ضوئك

مغسولــة بالعبــير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانـــا ــ عند وجهك ــ

منتشر

موحش

مثل عشب الشواطىء

في ليلـــة البـــــدر

مرانة (١) تتحرك في المـــاء

عصفـــورة

تتعجل نحـــوك ..

حالمـــة بالضياء

وموشكة أن تطـــير

ايهـــا القمـــر المستديـــر ...

ذكرياتي لوجهك مائـــدة

للعزاء الاخير .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) المران عشب نحيل ينبت في ماء السواقي في الجنوب .

# الأمل واللامعقول في أعمال كافكا



لا يكفي ان نقرأ كافكا مرة واحدة . لا بد على الاقل من قراءتين . اذ تتطلب النهايات لديه ــ او بالاحرى غيابها ــ قدرا من التفسير . لكن المهم هو ان الجانب الخفي ، في هذا الادب ، يضطرنا الى أن نعيد قراءة التاريخ من زاوية جديدة . وحيث تبدو ضرورة القراءتين يصبح هناك امكانيتان للتفسير، وذلك هو ما يقصده الكاتب . غير انه من الخطأ أن نحاول تفسير ادب كافكا في تفاصيله ، لان الرمز يؤخذ دائما في عمومه . ومهما حاول الكاتب أن يحدده فانه لا يفعل اكثر من ان يمنحه الحركة ، واذن لا مجال هنا للتفسير الحرفي .

فيما عدا ذلك ، لا بد من الاعتراف بأنه لا يوجد شيء أكثر صعوبة من فهم عمل رمزي . فالرمز يتجاوز دائما من يستخدمه ، ويعني اكثر مما اراد ان يعبر عنه . وفي هذا الصدد ، تصبح الوسيلة الاكيدة لادراك الرمز هي الا نضغط عليه ، وان نتناول العمل الادبي بروح متحرر ، ولا نبحث فيه عن التيارات



بقلم : البير كامي

ترجمة : حامد طاهر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخفية . وبالنسبة الى كافكا ، حسبنا أن نرضى بلعبته ، وأن نأخذ لديه المأساة بحسب الظاهر ، والرواية تبعا للشكل .

تبدو أعمال كافكا ، للوهلة الاولى ، ولدى القارىء العادي ، عبارة عن مغامرات مقلقة تمثل شخصيات مثيرة ومتصلبة ، تبحث عن مشكلات ليست من صنعها . في **القضية** ، جوزيف ك .. متهم ، لكنه لا يعرف تهمته ! وهو يشرع دون شك في الدفاع عن نفسه ، لكنه يجهل السبب . ويرى المحامون أن جريمته شنيعة ، وفي أثناء ذلك ، لا يهمل جانب الحب ، كما انه يأكل ، ويقرأ جريدته ، ثم يحكم عليه : قاعة المحكمة شديدة الظلمة. وهو لا يفهم شيئا . انه يحدس فقط بأنه محكوم عليه ، لكن بأية تهمة ، يكاد يتساءل ، لكنه يشك في ذلك . ويواصل حياته . وبعد وقت طويل ، يتقدم منه رجلان مهذبان ، في ثياب أنيقة ، ويدعوانه أن يتبعهما . وبكل مظاهر الادب ، يصحبانه الى ضاحية

مقفرة ، ثم يضعان رأسه فوق حجر ، ويذبحانه ! العبارة الوحيدة التي يتفوه بها قبل أن يموت : « هكذا مثل كلب !».

اننا نرى انه من الصعب الحديث عن الرمز في رواية يعتبر أعمق عناصرها تأثيرا مجرد شيء طبيعي . لكن « الطبيعي » ليس من السهل دائما فهمه . هناك اعمال يبدو فيها الحدث طبيعيا للقارىء ، لكن هناك اعمالا اخرى ( وهي نادرة في الحقيقة ) تجد فيها الشخصيات أن ما يحدث لها أمر طبيعي . وعن طريق تعارض فريد ، لكنه واضح ، تصبح مغامرات الشخصية غريبة ، في حين أن ما يحدث التأثير انما هو الشيء الطبيعي فيها ، وهكذا تبرز أمامنا المعادلة التالية : اننا نشعر ، في وقت واحد ، بغرابة حياة انسان ، وبالبساطة التي يتقبل بها هذا الانسان تلك الغرابة . ويبدو أن « الطبيعي » خاص بكافكا نفسه. وهذا ما أرادت **القضية** ان تعبر عنه .

لقد جرى الحديث دون شك عن صورة للحياة الانسانية . لكنها ، في وقت واحد ، بسيطة جدا ومعقدة جدا . اقصد ان معنى الرواية خاص جدا وشخصي بالنسبة الى كافكا . والى حد ما ، فانه هو الذي يتحدث . ونحن هم الذين يسمعهم اعترافاته . انه يحيا وهو محكوم عليه . يخبرنا بذلك منذ الصفحات الاولى في روايته التي تتبع هذا العالم ، محاولة أن تجد له دواء . ويتم ذلك احيانا على نحو غير مفاجيء . انه لا يندهش قط مما يفتقد الدهشة . وتلك هي التناقضات التي نتعرف منها على العلامات الاولى للعمل اللامعقول ، حيث يطرح الذهن في العالم المحسوس بأساساته الروحية . وهو لا يستطيع أن يفعل ذلك الا عن طريق التناقض المستمر الذي يعطي للالوان القدرة للتعبير عن الفراغ ، ولصور الحياة اليومية ( العادية ) قوة ترجمة الاحاسيس الخالدة .

كذلك تعتبر رواية **القصر** لاهوتا تطبيقيا . لكنها تمثل ، قبل كل شيء ، مغامرة فردية لنفس تبحث عن الهداية .. لانسان يطلب من الاشياء أن تبوح بسرها الملكي ، ومن النساء : السر الالهي الذي يختبىء فيهن .

أما رواية **المسخ** ، فتمثل بالتأكيد عملية التخيل العنيف للسلوك ، لكنها أيضا نتاج تلك الدهشة اللامحدودة ، حيث يبتلى انسان بأن يشعر بشعور الحشرة التي تحول اليها دون جهد . في هذا الغموض الاساسي يكمن سر كافكا. ذلك التوازن المستمر والخالد بين الطبيعي والشاذ ، الفردي والعام ، المأساوي واليومي ، اللامعقول والمنطقي .. بين تلك الثنائيات التي تنتشر في أعمال كافكا كلها ، وتعطيها ، في الوقت نفسه ، دلالتها وصداها . وهكذا ، على أساس تلك المتناقضات التي يجب أن نرمقها ، والمتضادات التي يجب أن نؤكدها، يمكن أن نفهم العمل اللامعقول .

في الواقع ، يفترض الرمز دائما مستويين ، عالمين من الافكار والاحاسيس، ثم قاموسا يحول احدهما للاخر . وتلك اللغة هي اصعب ما يتم بناؤه . لكن الوعي الحاضر بالعالمين يضعنا على طريق علاقاتهما الخفية . ولدى كافكا ، يتمثل هذا العالمان ، في مجال الحياة اليومية من جانب ، ومجال القلق فوق الطبيعي من جانب آخر (١) . ويبدو هنا أننا قد المحنا بعض الشيء على تفسير لا نهائي لعبارة نيتشه : « أن المشكلات الكبرى توجد في الشارع !».

ان الحياة الانسانية ، الموضوع المشترك بين كل الآداب ، تحتوي ، في وقت واحد على لا معقولية أساسية ، وعظمة هائلة . والوجهان كما هو الطبيعي يتزامنان ، ويتمثلان في ذلك الفراق الغريب بين شراهات النفس ، ومتع الجسد السريعة الزوال . ويكمن اللامعقول في أن النفس تتجاوز هذا الجسد بمراحل لانهائية ، لذلك ينبغي على من يريد أن يصور تلك « اللامعقولية » أن يلجأ للعبة المتناقضات المتوازنة ، وينفخ فيها الحياة . وبهذه الطريقة يعبر كافكا عن المأساة بواسطة ما هو يومي ، وعن اللامعقول بما هو منطقي .

عندما يتقمص الممثل ، بكل ما يمكنه من قوة في الاداء ، شخصية مأساوية، ويجهد أن يبالغ فيها ، فانه يحول تأثيرها المحدود في الرعب الى نحو غير محدود . وفي هذا الصدد ، تبدو المأساة اليونانية مليئة بالدروس . فيها يتم تحديد المصير في صورة منطقية وطبيعية . فقد اعلن مصير أوديب سلفا ، عندما تقرر ، على نحو فوق طبيعي ، انه سيرتكب جريمتي قتل أبيه ، والزنا بأمه . ويكمن جهد المأساة كله في ابراز النظام المنطقي الذي ، بانتقاله من استنتاج الى آخر ، ينتهي باستنفاد عذاب البطل . ولا تتمثل الرهبة في مجرد اعلان هذا المصير ، فقد يكون ذلك محتملا . لكن اذا ادخلته الضرورة في مستوى الحياة اليومية ، والمجتمع ، والدولة ، والانفعال فعندئذ تبدأ هذه الرهبة في التخصص والتفرد والخلود . . وهكذا فانه في اثناء تلك الثورة التي تهز الانسان ، وتجعله يقول : « ان هذا غير ممكن » يوجد في الواقع يقين يائس في ان « هذا » يمكن أن يكون « ممكنا » .

ذلك هو سر المأساة اليونانية ، أو على الاقل ، أحد اسرارها . لان هناك سرا آخر يتمثل في المنهج العكسي Méthode inverse الذي سوف يتيح لنا أن نفهم كافكا . ان القلب الانساني يحتوي على اتجاه عنيف يسمي كل ما يسحقه : « مصيرا » . لكن السعادة تعتبر بدورها كذلك ، من حيث انها ، دون سبب ، لا يمكن تجنبها . والانسان المعاصر انما يضفي عليها الفضل من عدم اعترافه بها . وعلى العكس ، يمكن أن يقال الكثير عن المصائر

السعيدة ، في المأساة اليونانية ، والتي تستطيع ان تنجو بنفسها وسط مغامرات أشد سوءا ، كما في اسطورة اليس Ulysse .

ما يمكن استخلاصه من هذا كله ، هو ذلك التعقيد الخفي ، الذي يوجد ، في المأساة ، بين ما هو منطقي وما هو يومي . وهذا هو السبب في أن سامزا Samsa بطل **المسخ** ، التـــاجر المتجـــول ، لا يعاني من شيء ، في تلـك المغامرة الفريدة التي تحول فيها الى حشرة ، الا من أن صاحب العمل غاضب من تكرار غيابه . وتنبت له قوائم وقرون استشعار ، ويتقوس ظهره ، وتنتشر على بطنه نقاط بيضاء ــ ولا اقول : ان شيئا من هذا يدهشه . انه يسبب لـــه فقط « ضجرا خفيفا »!

أدب كافكا كله من هذا اللون . في عمله الرئيســـي **القصر** ، لا تبرز الا تفاصيل الحياة اليومية ، ومع ذلك ، فان هذه الرواية الغريبة ، التي لا يتوصل فيها لشيء ، يبدأ فيها كل شيء مرة أخرى من جديد . انها عبارة عن مغامرة نفس باحثة عن هدايتها المرسومة . ونجد ترجمة هذه المشكلة الى الفعل ، بما تشتمل عليه من تزامن بين العام والخاص ، موجودة في الخصائص الصغيرة لكل ابداع أدبي كبير . في **القضية** ، كان يمكن أن يسمى البطل شميدت أو فرانز كافكا . لكنه يسمى جوزيف ك .. انه ليس كافكا ، ومع ذلك فانه هو نفسه : أوربي متوسط ، مثل كل الناس . لكنه أيضا الهوية ك .. الذي يمثل رمـــز(ص) في معادلة الجسد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واذا كان كافكا قد اختار أن يعبر عن اللامعقول ، فان ما استخدمه لذلك انما هو التناسق . اننا نعرف قصة ذلك المجنون الذي كان يصـــطاد فـــي ( البيانو ) ، والطبيب ، الذي كانت لديه افكاره عن علاج الامـــراض العقلية والنفسية ، حين سأله : « واذا عضك هذا ؟ » فأجابه المجنون علـــى الفور بكل صرامة : « لا يا أحمق ! لانه بانيو » . واذا كانت هذه الحكاية ذات طابع باروكـــي Baroque فاننا ندرك منها بصورة محسوسة ، كيف يظل الواقع اللامعقول مرتبطا بمدخل الى المنطق . ان عالم كافكا يدق عن الوصف ، حيث يمنح الانسان نفسه « المتعة المؤلمة » باصطياده من ( بانيو ) ، وهو يعلم تماما انه لن يخرج منه شيئا !

انني أعترف هنا بعمل لامعقول في جميع اسسه . وبالنسبة الى **القضيـــة** مثلا ، استطيع القول بأن النجاح كامل . فالجسد ينتصر . ولا شيء يفتقد فيها: لا الثورة غير المعبر عنها ( مع أنها هي التي تكتب ) ولا اليأس الواضح والصامت ( وهو الذي يبدع ) ولا تلك الحرية المدهشة للغرابة التي تستنشقها الشخصيات حتى اللحظة الاخيرة .

ومع ذلك ، ليس هذا العالم مغلقا كما يبدو . ففي هذا العالم الخالي من ضروب التقدم ، سوف نجد كافكا يدخل **الامل** في شخصية ( فريدا ) . وفي هذا الصدد ، فان **القضية والقصر** لا يسيران في نفس الاتجاه . انهما يتكاملان. ويمثل التطوير المحسوس في كل منهما فتحا هائلا في ميدان الغزو . **القضية** تثير المشكلة بينما تحاول **القصر** حلها . **القضية** تصف ، تبعا لمنهج شبه علمي ، **والقصر** يتخيل العلاج . لكن الدواء المقترح هنا لا يشفي . انه فقط يدخل المرض في مسيرة الحياة اليومية ، ويساعد على قبوله . وبمعنى ما ( نقصد هنا كيركجارد ) يجعله شيئا عزيزا !

ان المهندس ك .. لا يستطيع أن يتخيل اي هم آخر ، غير ذلك الذي يضنيه . والذين يحيطون به انما يهيمون بذلك الفراغ ، وذلك العذاب المجهول الاسم ، كما لو أن المعاناة هنا قد اكتست وجها مفضلا . تقول فريدا لك .. : « ما أحوجني اليك ! لم اشعر بأنني مهجورة منذ عرفتك . وتزداد حاجتي اليك عندما لا تكون بالقرب مني ! » ان هذا الدواء الدقيق الذي يجعلنا نحب ما يسحقنا ، ويولد الامل في عالم بدون مخرج ، وتلك الطفرة التي يتغير بها تقريبا كل شيء : هما سر الثورة الوجودية ، وسر رواية **القصر** نفسها .

قليل من الاعمال أكثر صرامة في خطواتها من **القصر** . فقد عين ك .. مهندسا للقصر . وهو يصل الى القرية ، وهناك يكتشف أن كل الطرق المؤدية الى القصر مستحيلة . وخلال مئات الصفحات ، نرى ك .. يصر على أن يجد طريقه ، ويطرق كل السبل ، ويكيد ، وينحرف ، ولا يغضب ابدا .. واخيرا يلتحق بالوظيفة المقدمة له . ان كل فصل في الرواية يعتبر سقوطا . وهو أيضا عبارة عن بداية من جديد . هنا لا نلتقي بالمنطق ، ولكن بروح التتبع والاستقصاء . ومدى هذا العناد هو ما يصنع المأساة . فعندما يتصل ك .. بالقصر تليفونيا ، لا يصل الى سمعه سوى أصوات غامضة ، مختلطة ، وضحكات مبهمة ، ونداءات بعيدة .. وذلك هو كل ما يغذي أمله ، مثل تلك السحابات القليلة التي تظهر في سماء الصيف ، أو تلك الوعود المسائية التي تمنحنا الرغبة في الحياة ! وهنا نجد سر كآبة كافكا ، الخاصة به . وهي نفسها في الحقيقة ، التي نستشفها من أعمال بروست Broust ، أو لدى أفلوطين في « الحنين الى جنات مفقودة » تقول أولجا : « غدوت كئيبة للغاية عندما قال لي برنابا ، هذا الصباح ، انه سوف يذهب الى القصر . ربما كانت هذه المسافة غير مفيدة . ربما كان هذا اليوم ضائعا . ربما كان هذا الامل عبثا ». ــ على هذا الوتر « ربما .. » يعزف كافكا عمله كله . لكنه لا يحقق فيه شيئا . أما البحث عن الجانب الخالد ، فهو مغرق في التفصيلات . وتقدم تلك الشخصيات

الآلية صورة لما سوف نؤول اليه جميعا ، مجردين من ملاهينا الزائلة ، ومتجردين بالكلية الى الخضوع الالهي(٢) .

في **القصر** ، يصبح الخضوع الى ما هو يومي تصرفات وأخلاقا . فأمل ك.. الكبير هو أن يبلغ هدفه ، وهو أن يتبناه القصر . ولانه غير مستطيع وحده الوصول الى هذا الهدف ، فانه يبذل غاية جهده للحصول على تلك النعمة بأن يصبح من سكان القرية . ومع ذلك فان كل الناس يعاملونه كغريب . أن كل ما يريده : مهنة ومنزل وحياة رجل مستقيم . لكن هذه الاشياء تتطلب أكثر من الجنون ، وهو حريص على أن يظل انسانا عاقلا . فيحاول أن يتخلص من تلك اللعنة الملاحقة له ، والتي تجعل منه غريبا عن أهل القرية . وهنا تظهر مرحلة فريدا ، تلك المرأة التي تعرفت على أحد موظفي القصر ، وصارت عشيقة له بسبب ماضيه . انه يستلهم منها شيئا يتجاوزه ، في نفس الوقت الذي يرى فيه انها غير أهل لسكنى القصر . اننا نقصد هنا كيركجارد في حبه الفريد لريجين أولسن : ذلك انه يحدث لدى بعض الرجال أن نار الخلود التي تلتهمهم تكون من القوة والعنف بحيث تحرق معهم قلوب الذين يحيطون بهم !

عندما يتخلص المهندس من فريدا ، يذهب الى أخوات برنابا . والواقع أن عائلة برنابا هي الوحيدة في القرية التي تعتبر مهجورة تماما من القصر ،وبالتالي من القرية . فقد سبق أن رفضت أماليا ، أخت برنابا الكبرى ، الاقتراح غير الشريف الذي عرضه عليها أحد موظفي القصر . وكان لهذا أثره على سمعتها الاخلاقية . وتلك الاخلاق قائمة بالطبع على مقاييس اجتماعية فاسدة . وهنا نتعرف على موضوع مألوف في الفلسفة الوجودية وهو أن الحقيقة تتعارض دائما مع الاخلاق السائدة . ومع ذلك فان الامور تسير الى أبعد من هذا ، فالطريق الذي يقطعه بطل كافكا ، ذلك الذي يذهب من فريدا الى أخوات برنابا ، هو نفسه الذي يذهب من الحب المعطى الى تعظيم اللامعقول . وهنا أيضا يتبع فكر كافكا كيركجارد . من غير المفاجيء اذن أن تأخذ حكاية برنابا مكانها في آخر رواية **القصر** . وتتمثل محاولة المهندس الاخيرة في أنه يجد الله فيما ينكره ويجحده . فلا يتعرف عليه تبعا لمقولات الخير والجمال ، وانما خلف الوجوه الفارغة والبشعة اللامبالاة والظلم والحقد . وعندئذ يجد هذا الغريب الذي طلب من القصر أن يتبناه ، في نهاية رحلته نفسه منفيا . وهنا يتخلى عن الاخلاق والمنطق وحقائق الاشياء لكي يدخل بثروته الوحيدة من الامل في فضاء العناية الالهية (٣).

وينبغي الا ندهش من كلمة « **الامل** » هنا . لان هناك ما هو أكثر منها مأساوية ، وهو الشرط الذي يضيفه اليها كافكا ، والذي يجعل هذا الامل أكثر تحديا وصلابة . واذا كانت **القضية** عملا لا معقولا ، فان تلك الطفرة التي

تحتوي عليها **القصر** تعتبر مثيرة وغير شرعية . لكننا نجد هنا تناقض الفكر الوجودي في حالته الصافية ، كما عبر عنه كيركجارد في قوله : « ينبغي علينا ان نقرع — حتى الموت — أبواب الامل الارضي .. عندئذ فقط سوف ننجو بالامل الحقيقي »(٤) وهو ما يمكن لنا أن نترجمه في حالة كافكا على النحو التالي : « كان يجب ان يكتب **القضية** ، لكي يشرع في كتابة **القصر** » .

لقد اعترف معظم الذين كتبوا عن كافكا بعمله كصرخة يائسة ، في موقف لا يوجد فيه للانسان اي مخرج . لكن هذا يتطلب اعادة نظر . ومن جانبي اؤكد انه يوجد أمل .. وأمل .. ان اعمال هنري بوردو H. Bordeau المتفائلة ، تبدو لي مثبطة للهمة ، وذلك لانها لا تحتوي على اي قدر مما يناسب القلوب العصية ! وعلى العكس من ذلك ، يظل فكر اندريه مالرو A. Malreau قويا ومشجعا . لكن الامر لا يتعلق في الحالين بنفس الامل ، ولا بنفس اليأس. فأنا أرى أن العمل اللامعقول نفسه يمكن أن يؤدي الى عدم الامانة ، الذي أجهد دائما في أن اتحاشاه . وما يهدد العمل بأنواع الغموض واللبس هو وقوعه في التكرار ، الخالي من المضمون ، لظروف عقيمة ، وكذلك في محاولة التنبؤ الرافض للظواهر ، سريعة الزوال . والكاتب الحقيقي يفسر ، ويعطي دائما شكلا للامل . بل انه لا يستطيع أن يكرر شيئا في عمله .

يبدو أن أعمال كافكا وكيركجارد وتشيكوف ، ولكي نكون مختصرين : اعمال كل الفلاسفة والروائيين الوجوديين ، تتجه بكاملها نحو اللامعقول ونتائجه . أي انها تصل في نهاية المطاف الى اعلان تلك الصرخة المدوية للامل.. ان هؤلاء الكتاب يحتوون القوة الالهية التي تلتهمهم . ويتم ذلك عن طريقي الخشوع والامل . لان « لامعقولية » هذا الوجود تؤكد لهم ، الى حد ما ، واقع ما فوق الطبيعة . واذا أوصل طريق هذه الحياة الى الله ، فهناك اذن المخرج. وهكذا يظل الدأب والعناد اللذان يكرر بهما أبطال كافكا وتشيكوف وكيركجارد تجولاتهم — هما الضمان الوحيد للقدرة النابعة من هذا الامل(٥).

يرفض كافكا أن يخلع على الهه العظمة الاخلاقية والبداهة والخير والتجانس . وكل ذلك من أجل أن يلقى نفسه بين ذراعيه على نحو أفضل . ولا شك في أن اللامعقول معترف به ومقبول . وفي اللحظة التي يستسلم له الانسان لا يصبح « لامعقولا » . وانما في حدود الحياة الانسانية ، ما أكبر الامل الذي يتيح للانسان أن يتخلص من هذه الحياة ؟! انني أرى الفكر الوجودي « معجونا » من أمل مفرط . وبهذا الامل نفسه ، استطاعت المسيحية الاولى باعلانها البشارة أن تنهض بالعالم القديم . لكن في تلك الطفرة التي تميز الفكر الوجودي بالعناد ، وبمساحة الهية دون سطح ، كيف نجحد وجود الوضوح الشديد ؟! ان كل ما نطلبه فقط هو أن يطأطىء الزهو قليلا من نفسه .. حتى

ينجو ! وتلك محاولة خصبة . وفي رأيي ، أننا لا نقلل من القيمة الاخلاقيـــة للوضوح الشديد بقولنا عنها انها عقيمة ، ككل زهو . لان الحقيقة ، بتعريفها نفسه ، هي أيضا عقيمة . انه في عالم أعطى فيه كل شيء ، ولم يفسر فيه شيء ، تغدو خصوبة قيمة ما أو ميتافيزيقا : مفهوما فارغا من المعنى .

ومع ذلك ، فنحن نرى هنا في أي مكان من التقاليد الادبية ينبغي وضع اعمال كافكا . وسوف يكون من العبث أن نعتبر السير من **القضية** الى **القصر** صارما ، فان جوزيف ك .. والمهندس ك .. هما القطبان اللذان يتجاذبـــان كافكا(٦). وسوف اتحدث مثله واقول أن عمله « ربما » لا يكون معقولا . لكن هذا لا يمنعنا من أن نعترف بعظمته وعالميته ، وكلاهما يجيء من أنه عـــرف كيف يصور ذلك العبور اليومي من الامل الى الحزن ، ومن الحكمة اليائسة الى العمى الارادي . أن عمل كافكا عالمي ( ويلاحظ أن كل عمل لا معقول ليـــس بالضرورة عالميا ) صور فيه الوجه المثير للانسان الهارب من انسانيته ،والقادر وسط متناقضات يأسه الخصب ، أن يعتقد في الامل ، وأن يخلع على علمـــه الشنيع بالموت .. حياة .أن عمل كافكا عالمي ، لانه ذو استلهام ديني . وكما في كل الديانات ، يتخلص الانسان من ثقل حياته الخاصة . لكنني اذا كنت اعلم هذا ، واعرف كيف اعجب به ، فانني أعلم أيضا أنني لا ابحث عما هو عالمي، وانما عما هو حقيقي . ويمكن للجانبين الا يتطابقا .

سوف تتضح طريقتي في الرؤية اكثر ، اذا ما قلت أن الفكر اليائس يتحدد بمعايير متعارضة ، وانه بامكان العمل أن يكون مأساويا ، وهو يصف حياة رجل سعيد ! ان الحياة تفيض بضروب النفي والطرد ، وأكثر لامعقولية : هي فكرة أن نفقدها . وهنا يكمن سر تلك الحدة الرائعة التي نستشفها من أعمال نيتشه . ففي نظامه الفكري ، يبدو نيتشه أنه هو الفنان الوحيد الذي اســـتطاع أن يستخلص النتائج الاخيرة لعلم الجمال اللامعقول . حيث تبدو دعوته الاخـــيرة عبارة عن الوضوح الشديد ، العقيم والفاتح ، وطرح كل استشارة لما فوق الطبيعة .

أعتقد أن ما سبق يكفي لابراز الاهمية الرئيسية لعمل كافكا في مستوى تلك الدراسة . وفي حدود الفكر الانساني ، نجد أننا قد « تحولنا » . ان كل ما في عمل كافكا يعتبر اساسيا ، وهو يثير في كل حالاته مشكلة اللامعقول بكاملها . واذا ما أردنا تقريب هذه النتائج من ملاحظاتنا الاولى : المضمـــون والشكل . المعنى الخفي للقصر ، والفن الطبيعي الذي تنساب فيه . البحث المثير والمزهو لـــك .. والديكور اليومي الذي يتحرك فيه ، استطعنا ان نـــدرك عظمة عمل كافكا . واذا كان الحنين الى الماضي طابع كل ما هو انساني ، فان

احدا لم يهتم باشباحه ذلك الاهتمام الذي أولاه لها كافكا . لكننا ندرك في الوقت نفسه ، ما هي العظمة الفريدة التي يتطلبها العمل اللامعقول ، والتي من الممكن الا تكون موجودة هنا : فاذا كانت خاصية الفن هي ان تربط بين العام والخاص ، فان عظمة الكاتب اللامعقول تتمثل في أن يتغلغل في هذين العالمين، ويكمن سره في معرفة النقطة المحددة التي يتصلان فيها — اقصد نقطة عدم تناسقهما الهائل ! .

الحق يقال ، ان كثيرا من القلوب الصافية تستطيع أن ترى ذلك الوضع الهندسي لما هو انساني وغير انساني ، في أي مكان . واذا اعتبر فاوست ودون كيشوت مخلوقات فنية عظيمة ، فانما ذلك بسبب العظمة التي تبدو في ايديها الارضية ، ومع ذلك ، فان هناك لحظات ، ينكر فيها الذهن ما تلمسه هذه الايدي من حقائق . وفي اللحظة التي لا يعتبر فيها الابداع تبعا للمأساة ، وانما يؤخذ على نحو جاد ، يتحول الانسان الى الامل . لكن هذا ليس من شأنه . ان دوره فقط هو أن يحيد عن الخداع . وهذا هو ما أجده تحت مصطلح القضية العنيفة التي يدعيها كافكا على الانسانية جمعاء . وفي النهاية يأتي قراره الذي لا يصدق .. فيبرىء هذا العالم القبيح المضطرب ، الذي يتسلى فيه الحيوانات العمياء التي تعيش على شطوط الترع .. بالامل(٧) .

(١) يلاحظ انه يمكن تفسير ادب كافكا في اطار النقد الاجتماعي ( القضية مثلا ) . ومن ناحية اخرى لا يوجد اختيار ، حين يبدو كلا التفسيرين ملائما . وتبعا للمصطلحات الوجودية ، فقد رأينا أن التمرد ضد البشر يتجه أيضا الى الاله : ان الثورات الكبرى دائما ميتافيزيقية .

(٢) في ( القصر ) يبدو أن « التنوعات » بالمعنى الباسكالي ، متمثلة في هيئة مساعدين او معاونين يحولون ك .. عن قلقه . واذا انتهى الامر بفريدا لكي تصبح عشيقة احد هؤلاء المعاونين ، فلانها تفضل الديكور على الحقيقة والحياة اليومية على القلق المشترك .

(٣) من الواضح أن هذا لا يعني الا النسخة ، غير المكتملة ، التي تركها لنا كافكا من ( القصر ). لكن من المشكوك فيه أن الكاتب قطع ، في الفصول الاخيرة ، وحدة لهجة الرواية .

(٤) طهارة القلب .

(٥) الشخصية الوحيدة التي بدون أمل في ( القصر ) هي أماليا . ويلاحظ انها هي التي يعارضها المهندس بكل عنف .

(٦) حول جانبي فكر كافكا يقارن ( في السجن ) : « ليس الاثم أبدا موضع شك » ومقطع من ( القصر ) : « من الصعب ادانة المهندس ».

(٧) ما قدمناه في هذه الدراسة عبارة عن « تفسير » لعمل كافكا . لكن من الانصاف ان نضيف : ان شيئا لا يمنع من أن نعتبر هذا العمل ، بعيدا عن أي تفسير ، من زاوية جمالية بحتة ، فمثلا جروتيزن B. Groethuysen في مقدمته الرائعة ( للقضية ) اهتم فقط ، بحكمة اكثر منا ، بتتبع التخيلات الحزينة لما أطلق عليه ، على نحو مدهش ، « النائم اليقظان ». ان مصير عمل كافكا ، وربما عظمته ، هو انه يقدم كل شيء ، ولا يؤكد شيئا .




ARCHIVE

# بين ايسخولوس

## سوفكليس - اليكترا

« لقد رفع سوفكليس التراجيديا المفردة الى مستوى من الكمال الفني يضارع في سموه الثلاثية الاسخيلية .. ومسرحية اليكترا من بين التراجيديات اليونانية تطرح ذلك الشعور بالتناقض الذي هو جوهر التراجيديا الناضجة ، في أشد أشكالها حدة وحتمية » (١) .

الحلقة الثانية

مهدي الصايغ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# سوفكليس ويوربيدس

ان مسرحية اليكترا لسوفكليس ، تعالج الموضوع الذي عالجه ايسخولوس في حاملات القرابين ، وبطبيعة الحال ، نحن لا نستبعد فكرة تأثر سوفكليس بايسخولوس ، خاصة ان الاخير قد سبق سوفكليس بما يقرب من الربع قرن (٢) ولا يمكن ان نستبعد فكرة ان سوفكليس كان

يحضر عروض ايسخولوس ، بيد أن ذلك لا يعني أن سوفكليس قد نقل فكرة حاملات القرابين من ايسخولوس بحذافيرها ، وانما هو أعاد صياغة الاحداث بشكل درامي جديد فاق فيه سابقه ، اضافة الى انه حمل مسرحيته هذه وجهات نظره الخاصة التي تختلف اختلافا جذريا عن آراء ووجهات نظر ايسخولوس . والتي سيجري الحديث عنها فيما بعد .

تبدأ مسرحية اليكترا سوفكليس ، بمنظر أمام قصر آجاممنون والوقت فجرا ، حين يدخل المسرح اشخاص ثلاثة ، هم :

أوريستيس وصديقه بيلاديس ، اضافة الى المربي ، الذي يكتسب لدى سوفكليس اهمية خاصة ، حيث انه يرشده ويساعده في رسم خطة الانتقام من قاتلي اجاممنون ، ويدفعه في هذا المجال .

وفي هذه المقدمة ( البرولوجوس ) نكتشف من خلال الحوار الذي يدور بين المربي وأوريستيس طبيعة المهمة التي قدموا من أجلها ، اضافة الى انهما يكشفان لنا عن الخطة التي أعداها للانتقام من كليتمنسترا ، وعشيقها ايجستوس . بعدها ينسحب الثلاثة من أجل أن يذهبوا لتقديم القرابين على قبر اجاممنون ، مع ظهور اليكترا تتبعها الجوقة ، المكونة من بنات ميكيني اللواتي ينصحنها بالتخفيف من حزنها ومعاناتها ، وهنا تدخل المسرح خريسوثيمس أخت اليكترا وهي شخصية ضعيفة على العكس من شخصية اليكترا (٣) . وان كان سوفكليس قد استحدث شخصية أخت اليكترا على الرغم من عدم وجودها لدى ايسخولوس ، فقد هدف من وراء ذلك الى ابراز الشخصية القوية لاليكترا من خلال ايجاد المناقض الضعيف لها ممثلا في شخصية خريسوثيميس .

نكتشف ضعف خريسوثيميس من خلال اقتراحها على اليكترا بأن تخضع للسادة الاقوياء ، غير أن اليكترا ترفض ذلك بعنف وتنعت أختها بالخيانة ، كذلك نكتشف أن خريسوثيميس مكلفة من جانب أمها بتقديم القرابين لقبر أجاممنون ، فتقترح عليها اليكترا أن تدفن القرابين بعيدا عن القبر ، لكيلا تعود بالمردود الذي تأمله كليتمنسترا .

ثم يتبع ذلك مشهد عنيف بين اليكترا وأمها كليتمنسترا ، حيث تسعى الابنة لادانة أمها نتيجة قتل الاب ، في الوقت الذي تبرر فيه الام فعلتها بحجة انها لم تقتل اجاممنون ، الا كجزاء عادل على قتله لابنتها افيجينيا ، لكن اليكترا تصر على ان اباها لم يفعل ذلك الا استرضاء للالهة .

بعدها يدخل المربي معلنا خبر موت اوريستيس في سباق العجلات « فتنازع كليتمنسترا عواطف متباينة لهذا النبأ » (٤) ثم ينصرف كل من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كليتمنسترا والمربي ، في حين تبقى اليكترا حزينة ، تبكي حظها التعس الذي حرمها من عودة أخيها ، ليأخذ لها بثأر أبيها .

بعد ذلك تدخل خريسوثيميس فرحة مسرورة وتخبر أختها بأنها رأت خصلة شعر على قبر أبيها ، مما يدل على ان اخاهما اوريستيس قد عاد ، لكن اليكترا ترد عليها بأن استنتاجها ذلك كان خاطئا لان الاخبار التي وصلت حديثا تفيد بموت أخيهما ، ثم تطلب مساعدة أختها بقصد الانتقام من قاتلي أبيهما غير ان خريسوثيميس تعتذر ، مما يدعو اليكترا الى التصميم على تنفيذ الانتقام بمفردها ، في المشهد اللاحق يدخل كل من أوريستيس وبيلاديس ، حيث يحمل الاول وعاء به بقايا رفات أوريستيس المزعومة ، ثم يطلب من اليكترا أن تعلن خبر وصوله لسادة القصر ، لكن اليكترا سرعان ما تنوح ويزداد حزنها لدى رؤيتها رفات أخيها ، وتطلب اليه أن يسلمها اياها ، مما يرقق قلب أوريستيس عليها ، فيصارحها بشخصيته ليتحول حزنها الشديد الى فرح غامر ، فتعلن عن عودة أخيها بصوت عال فيظهر المربي من القصر ويأمرهما بالتزام الحذر .

بعدها يدخل الجميع عدا اليكترا ـ الى القصر ، حيث يتم تنفيذ الحكم بكليتمنسترا .

في المشهد اللاحق يخرج أوريستيس وبيلاديس من القصر ويعلنان لاليكترا النبأ ، وما أن يظهر ايجستوس من بعيد حتى تطلب منهما أن يدخلا القصر بسرعة ، وأن يحسنا العمل مرة أخرى .

ولا يخفي ايجستوس لدى وصوله فرحه بنبأ وفاة أوريستيس ، ويطلب من أوريستيس المتخفي بزي الرسول أن يقدم اليه دليل موت أوريستيس ، ثم يأمر بفتح ابواب القصر لكي يشهد أهل المدينة المنظر . وعندما يتقدم ايجستوس ، يطلب من أوريستيس أن يرفع الغطاء عن الجثة ، لكن أوريستيس يشير عليه بأن يفعل هو ، وما أن ينحني ايجستوس ويرفع الغطاء ، حتى تتكشف له أبعاد المؤامرة ، حيث أنه لم ير سوى جثة عشيقته ، وعندما يحاول ايجستوس المراوغة يأمره أوريستيس بدخول القصر ، من اجل أن يلحق بكليتمنسترا .

وبمقتل ايجستوس نكون قد وصلنا الى نهاية المسرحية ، فتنشد رئيسة الكورس :

**رئيسة الكورس :** « يا ذرية اترية قد بلوت بلاء كبيرا قبل أن تصلي الى الحرية التي تشهد هذا الجهد الاخير (٥) .

كان ايسخولوس قد دخل المسابقات المسرحية بثلاثيته الاورستيا عام ٤٥٨ قم ، اما مسرحية اليكترا لسوفكليس فقد عرضت للمرة الاولى عام ٤١٠ قم (٦) اي بفارق زمني يقارب نصف قرن .

ولان معالجات الكتاب التراجيديين الاغريق للاساطير قد اختلفت باختلاف شخوصهم نتيجة لاختلاف المواقف الحياتية لهم من قضايا عصرهم ، فيمكننا ان نخلص الى ان مسرحية اليكترا لسوفكليس تختلف عن حاملات القرابين لايسخولوس اختلافين جوهريين :

**الاول** ــ الاختلاف الذي مر ذكره ونعني به اختلاف وجهات النظر بين الكاتبين .

**الثاني** ــ اختلاف العصر الذي كتبت فيه كل من المسرحيتين .

وقبل ان نبدا بتحليل مسرحية اليكترا لسوفكليس يجدر بنا ان نستعرض طبيعة التغيرات والتحولات التي صادفت المجتمع الاثيني خلال الخمسين عاما التي فصلت بين عرض المسرحيتين .

انحدر سوفكليس من اسرة اثينية موسرة (٧) اي انه كان ارستقراطيا وكان بالامكان ان يشغل سوفكليس نفس الموقف التقدمي الذي سبق ان شغله ايسخولوس ، لو ان حال طبقته الارستقراطية بقي كما هو عليه ، بيد ان نصف القرن الذي مر على اثينا حمل الكثير من التغيرات ، حيث ان الديمقراطية التي جاءت بها الارستقراطية سرعان ما انقلبت على الارستقراطية نفسها ، حيث انها ــ اي الديمقراطية ــ منحت الفرصة للكثير من ابناء العامة عن طريق الحرية الممنوحة في التصويت والانتخاب الى شغل بعض المناصب الهامة ، بل ان الصراع بين الحزب الارستقراطي والحزب الديمقراطي ، دفع بالبعض من ابناء العامة الى سدة الحكم . وعن هذه الضريبة التي دفعتها الارستقراطية يقول الدكتور علي حافظ في مقدمته لترجمة مسرحية اليكترا « فاذا اشترك اكبر شعراء اثينا في اختيار اليكترا كانت صورة من ضمير اثينا ومن حياة اثينا وهي ترمز بأسلوبها الاساطير الى روح الانتقام المنبثة في قلوب الارستقراطية التي اقصيت منفية عن حكم اثينا واحتل شرف الحكم رجال من حضيض العامة مثل كليون » (٨) .

وان كان ايسخولوس قد ارتأى ان يحمل اسطورة ال اتريوس مفهومه في العدالة ازاء الصراع الناشب بين حقوق الامومة والابوة وشرعية حق الابوة فان سوفكليس اراد للاسطورة ذاتها ان تحمل وجهة

نظره في طبيعة الصراع المحتوم بين الارستقراطية ـ التي اقصيت عن الحكم بفعل الديمقراطية ـ وبين عامة الشعب التي وصلت الى سدة الحكم بفعل الديمقراطية ذاتها ، واراد أن يثبت شرعية الارستقراطية وضرورة وراثتها لحكم اثينا .

فصور نقمة اليكترا على أمها وهي نقمة الاشراف على حكومة اثينا ، ولم تطلب اليكترا نفسها حتى تقتل أمها وشريكها ، الذي قتل اباها من قبل .. انه نذير يرجو به الشاعر ان يدفع عن امته شرا مستطيرا (٩) .. وما هذا الشر المستطير من وجهة نظر سوفكليس سوى وجود العامة على سدة الحكم .

لقد اصبح عمل الارقاء واحدا من اكثر الحقول الانتاجية بالنسبة لاستثمار رأس المال .. وبما أن حرص العمال الارقاء قد ازداد ، فقد انخفض الطلب على العمال الاحرار ( العامة ) .. (١٠)

هذا الازدهار الاقتصادي للاغنياء ، صاحبته ضائقة اقتصادية لدى الفقراء ، غير أن وجود الديمقراطية منح العامة فرصة أن تستخدم حقوقها السياسية التي كسبتها من أجل أن ترغم الدولة على اعاشتها من غير أن تعمل اطلاقا .. وكانت نتيجة ذلك هي ان اكثر من عشرين الف مواطن يعتاشون بشكل او آخر على حساب الدولة . (١١)

هذا الوضع الاجتماعي حمل خزينة الدولة اعباء ثقيلة ، انسحبت على قدرة الارستقراطيين في الاستغلال فكان أن قلت ارباحهم ، وقلت النسبة التي كان بامكانهم الاستيلاء عليها من الخزينة .

ان الارستقراطية هي التي اوجدت الديمقراطية ، وهي التي تدفع الثمن الان ، ان الارادة الطيبة تحولت الى نقيضها . ان المصير الذي تعانيه الارستقراطية الان ، جاء بسبب من خطأ ارتكبته ، الا وهو اقامتها للديمقراطية .

اذن .. فان صراع كل من اوريستيس واليكترا ضد كليتمنسترا وايجستوس ، هو صراع الشرعية ازاء اللاشرعية . وبعد .. فان الفصل التراجيدي لدى سوفكليس يكتسب ابعاده الدرامية عبر مسارات متوازنة ومتوازية في الوقت ذاته ، تنفصل لتتشابك فتتحد من أجل أن تحقق في النهاية الغرض الذي كتبت من أجله ، والذي يعبر بالشكل المطلوب عن وجهات نظر سوفكليس في قضايا عصره ومجتمعه ، وموقفه من تلك القضايا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا الموقف نستطيع تلخيصه بجملة واحدة « التوازن القلق » ذلك التوازن الفذ المدهش الذي يتجسد عبر المواجهة بين :

١ ــ ارادة الالهـــة وارادة الانسان .
٢ ــ بين هذه الشخصية وتلك .
٣ ــ بين المفهوم الشرعي واللاشرعي للعدالة .

**أولا ــ** التوازن القلق بين ارادة الالهـــة من جهة ، وارادة الانسان من جهـــة اخرى .

في حاملات القرابين ، ومنذ المقدمة يوضح لنا ايسخولوس البعد الذي تكتسبه ارادة الالهـــة من خلال زخم نبوءة ابولون التي تضغط على أوريستيس وتوجهه بسبيل الانتقام من قتلة والده بل ان الامر تعدى ذلك الى ان تلك النبوءة تهدده بأبشع انواع العقاب ــ ممثلة باللعنة السلفية ــ ان هو تماهل عن اداء هذا الواجب (١٢) . اما عن اليكترا سوفكليس فان وظيفة اللعنة ــ السلفية ــ يؤديها المرشد ( اي المربي ) (١٣) الذي رافق أوريستيس وبيلاديس لدى عودتهما الى ارجوس .

فهو يبدأ منذ المقدمة مخاطبا أوريستيس :

**المربي :** يا ابن اجاممنون الذي كان قائد جيوش الآخيين في طروادة .. الان تستطيع ان ترى بعينيك ما كنت تصبو اليه دائما .. دونـــك ارجوس التي طالما اشتد بك الحنين اليها (١٤) .

ان مخاطبة المربي لاوريستيس هنا ، هي البديل لتوجه أوريستيس الى الالهـــة في مقدمة حاملة القرابين ، ولا يكتفي سوفكليس بأن يـــؤدي المربي هذه الوظيفة وحدها ، بل انه يحملها بعدا دراميا آخر ، عندمـــا يجعل من المربي اقرب الى الراوي الذي يروي جانبا من احداث ضرورية حدثت في الماضي .

ففي مكان آخر من البرولوج يستطرد المربي :

**المربي :** وحيث قدمنا ترى ميسينا ذات الذهب الكثير وهذا البيت لابناء بيلوبس الذي شهد محنا كثـــيرة فيوم قتل ابوك جاءتني بك اختك الشقيقة فحملتك ــ وانقذتك وربيتك حتى صرت فتيا منتقما لقتل أبيك (١٥) .

بعدها يتمتم بصوت مشحون بالجراة والعزيمة تخالطه لهجة الآمر :

**المربي :** ... « والان اوريست وانت يا احب صديق يا بيلاديس

دبرا امريكما وعجلا .. اجمعا على راي قبل ان يخرج من القصر احد ، فقد بلغنا ساعة الحزم ولا سبيل الى التردد » . (١٦)

وتعزيزا لما قلناه عن دور المربي من انه كان الموجه والمحرض . يقول اوريستيس :

... « يا اخلص رجالنا ورفاقنا . انك ما زلت تشهدنا بالبينة على صدق وفائك .. كذلك لا تكف عن تحريضنا » (١٧) .

ان المربي هنا يكاد يكون اشبه بالمعامل الدرامي لابولون ، الذي يدفع اوريستيس ايسخولوس نحو الانتقام لكن سوفكليس ، ومن اجل أن يحقق التوازن الدرامي الذي سبق واشرنا اليه ، لا يغفل ذكر جانب النبوءة :

**اوريستيس** ... ونحن حين قدمنا على معبد ابولون في البيتية نسأله عما عسى ان نفعل لنثأر لقتل ابينا .. نبأتني نبوءة المعبد ان ننتقم بأيدينا وان نتستر بالحيلة ولا نجهر بسلاح ولا جنود . (١٨)

من هذا نستنتج أن تنفيذ عملية الانتقام من القتلة بدأت بارادة انسانية قبل ان تتوجه بالسؤال الى معبد البيتية بينما نجد ان الوحي لدى اوريستيس ايسخولوس ليس مجرد سماع راي او استشارة — كما هو الحال عند سوفكليس — بل انه أمر وتكليف بالمضي في الخطة الى النهاية .

ذلك هو الفرق في البعد الديني لدى كل من سوفكليس وايسخولوس . والغريب أن سوفكليس من خلال بحثه عن ايجاد صيغة التوازن بين الارادة العليا والارادة البشرية ، لم يجرد الالهة من احتمال ارتكابها لفعل الشر ، على العكس من ايسخولوس ، الذي اعطى للالهة وعلى طول الخط دورا ايجابيا . اما سوفكليس وبحثا منه عن التوازن المذكور ، نراه يردد على لسان الكورس ، الذي يكتسب هنا صفة اكثر درامية مما نجده لدى ايسخولوس ، حيث تبدو الجوقة وكأنها احد الممثلين في كثير من الاحيان :

**الكورس** : كانت تهليلة الاياب منكرة ، ومثيرة للاسى ، وكانت تحية اللقاء عند فراش ابيك منكرة اذ استقبلوه ببلطة من صلب ثقيل ، دبرت جريمة القتل ، ونهض الحب قاتلا ، وقد دبرا من قبل جرائم منكرة نفذها اليه او احد من البشر (١٩) .

وسوفكليس هنا لا يجرد الالهـــة من مسؤولية ما وقع لاجاممنون من اغتيال على ايدي كليتمنسترا .. وايجستوس ، لكنه لا يقطع بهـــذا التدخل ، ويحتفظ لنفسه بنوع من خط الرجعـــة ، خشية نقمة المتدينين لهـــذا السبب يقول على لسان الكورس بالحرف :

« قد دبرا من قبل جرائم منكرة انفذها اله ، او احد من البشر » .

ومن أجل ان يعزز سوفكليس موقفه المتوازن ذاك ، لم يكتف ببحث امر مواقف ابطاله حسب ، وانما نراه وقد ضمن وجهة نظره تلك حتى في القضايا التي تبدو كأن لا علاقة لها بارادة الالهـــة .

وعلى سبيل المثال نأخذ حلم كليتمنسترا . لدى ايسخولوس ، تحلم كليتمنسترا بأنها تضع ثعبانا وان ذلك الثعبان سرعان ما يرضع الـــدم مع الحليب (٢٠) .

ان حلم ايسخولوس يرتبط ارتباطا وثيقا بالنبوءة ، بل انه يجسد فكرة عودة اوريستيس الذي ولدته كليتمنسترا ، ليقتل كليتمنسترا نفسها . أما الحلم لدى سوفكليس فانه يكتسب بعدا آخر يرتبط بالارادة البشرية دون ان تنقطع صلته تمام الانقطاع بالنبوءة .

**خريسوثيميس** : انما يتحدثون انها رأت اباتا يخرج الى النور ، ثـــم يقبض على عصا الملك ، ويزرعها في ساحة البيت ، هذه العصا التـــي قبض عليها ايجستوس من بعده فنبت في اعلى العصـــا غصن اخضر اشتمل ظله على ميسينا جميعا (٢١) .

ان الحلم هنا اكثر واقعية . واكثر اقترابا من الارادة البشرية ، فها هو اجاممنون يقبض على عصا الملك بعد ان ينتزعها مـــن ايجستوس ، يزرعها في ساحـــة البيت لتنبت غصنا اخضر . ان افعى ايسخولوس ذات تفسير ديـــني :

« **الكورس** ... وقام مفسرو الاحلام الشبيهة بهذا الحلم .... فقرروا ان من تحت الارض يشكون في غضب مرير وانهم غاضبون مـــن القتلـــة . » (٢٢)

هذا فيما يخص سلوك كليتمنسترا لدى ايسخولوس ، والمحتوى الذي اكتسبه حلمها ، وأما كليتمنسترا سوفكليس ذاتها تتصرف بشكل مغاير تماما ، كما انها لا تلجأ الى مفسري الاحلام ، وها هي خريسوثيميس تحدثنـــا :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« **خريسوثيميس** ... اني سمعت هذا الحديث من شاهد شهدها تقص منامها على الشمس ، ولست أعرف فوق ذلك شيئا أكثر من انهـا سألتني لكي أصب الوضوء فزعـا مما رايت . » (٢٣)

كذلك فان تقدمة القرابين لدى سوفكليس تقترن بارادة ونوايـا مقدمها ، اي ان الفعل البشري هنا يكتسب بعـدا اكبر مما كان لـدى ايسخولوس .. فاليكترا تطلب من اختها خريسوثيميس ان لا تصب النذور على قبر ابيها اجاممنون كما ارادت لها كليتمنسترا ، لكنها تطلب منها ان تدفن القرابـين بعيدا عن القبر لكيلا تعود فائدتها على كليتمنسترا .

ان فعل الالهـة هنا مقرون بالفعل البشري ، بل ان الفعل البشري كما اراد له سوفكليس يستطيع ان يقلب فعل الالهـة الى نقيض ما اريد لـه ، اذ ان دفن القرابين بالطريقة التي ارادتها اليكترا ، لن يعود بأيما نفع على كليتمنسترا ، ان لم يعد عليها بالضرر .

وان كان ايسخولوس لم يغفل هذه الناحية ، فيمـا يخص تغيير الهـدف من تقديم القرابين بما لا يعود على مقدمها القاتل بالنفع ، وكما مر بنا في حاملات القرابين ، فان الجوقة تشير علـى اليكترا ان تقدم القرابين مقرونة بالدعاء على المجرمين القتلة « كليتمنسترا وايجستوس »، مع التضرع الى الالهـة ان تلعب دورها في الانتقام من هـؤلاء القتلة ، ويحضرنا هنا سؤال : لماذا لجأت كليتمنسترا ايسخولوس الى ان تأمـر اليكترا كي تقدم القرابين بنفسها ، في الوقت الذي لجـأت فيه كليتمنسترا سوفكليس الى خريسوثيميس لكي تتولى تقديم القرابين ؟

ان الاجابة على مثل هذا السؤال ترجعنا الى دراسة شخصيات كل من اليكترا ايسخولوس واليكترا سوفكليس فالاولـى لم تكن من قـوة الشخصية بمكان بحيث تستطيع ان تكون ندا قويا ومساويا لكليتمنسترا ، حيث ان ايسخولوس ــ كما سبق واشرنا ــ وجه جل اهتمامه الى فعل الارادة الالهية ، فلم يكن يعنى بالارادة البشرية ، لهذا السبب لـم يكن لديه ما يدعوه لان يجعل من بطلته اليكترا ذات شخصية قوية ، تتنامى قوتها حتى تصل ان تفوق قوة شخصية كليتمنسترا المتعجرفة المستبدة برايهـا ، لهذا نرى اليكترا منصاعة الى حد كبير ــ لدى ايسخولوس ــ لاوامر امهـا .

اما سوفكليس ، وهو الذي وجه جل اهتمامه الى القاء الضوء على قوة الارادة الانسانية فانه يقـدم لنا اليكترا بشخصية قوية واثقة مـن

نفسها ومن قوتها الى حد كبير لدرجة لافتة للنظر ، ومن أجل أن يحقق هدفه هذا ، فانه يجسد لنا قوتها تلك ازاء قوة امها في مشهد لقاء عاصف بين الاثنتين ، حيث لا تتردد اليكترا عن اتهام امها بارتكاب جريمة قتل اجاممنون ولا تخشى أن تدينها بذلك ، على الرغم مما قد يتهدد اليكترا من عقاب ازاء هذا الاتهام او تلك الادانة ، ولان سوفكليس يريد لشخصياته أن تكـــون مقنعـــة من وجهة النظر الدرامية ، فانه لم يرد لكليتمنسترا ان تكون من السذاجة بمكان ، بحيث تعهد الى اليكترا بتقديـــم القرابين في الوقت الذي تعلم فيه أن اليكترا هي غريمتها قبل أن تكون ابنتها ، لهذا نراها تعهد بمهمة تقديم القرابين الى ابنتها الاخـــرى « خريسوثيميس الضعيفة الشخصية » والتي لا ترقى الى مستوى أن تكون غريمة وانما هي مستسلمة مطيعـــة تبحث عن السلام من خلال الرضوخ للاقوياء ، وعلى الرغم من كل هذا فان سوفكليس لا يغفل فعل الارادة الانسانية ممثلا باليكترا التي لا تتردد عن التدخل في قضية تقديم القرابين حيث تشير على خريسوثيميس أن تدفن القرابين بعيدا عن قبر اجاممنون ، كمـــا سبقت الاشارة .

واخيرا يتجلى التزام سوفكليس بالبعد الدرامي للارادة البشرية في النهاية التي انتهت اليهامسرحية اليكترا .

ففي الوقت الذي طالعنا فيه ايسخولوس بظهور ربات الانتقام التي اخذت تطارد اوريستيس ، بمحاولة منها للانتقام من قاتل أمه ، بنـــاء على الموقف الديني الصلب لايسخولوس ، فان سوفكليس يستبعد مشهد ظهور الايرينيات وينهي مسرحيته بانتصار اوريستيس على قتلـــة ابيـــه . يقول الدكتور ابراهيم سكر : « وهكذا نرى ان سوفكليس كان يختلف عن زميليه ايسخولوس ويوربيديس ، فهو يقف منهما موقف الوسط الذهبي اذ انه لم يحلق في سماء الميتافيزيقيا ، كما كان يفعل ايسخولوس المتصوف ولا هو نزل بأبطاله منزلة الافراد العاديين كما فعل يوربيديس ، بل كـــان تصويره للشخصيات تصويرا انسانيا مثاليا » (٢٤) .

ومن الجدير بالذكر ان سوفكليس وهو يسعى لتحقيق هدفه بـــأن يقدم لنا شخوصه انسانية بالدرجة الاولى لهم ضعفهم وقوتهم وانفعالاتهم ، فانه يؤخر مشهد التعرف بين اوريستيس واليكترا على العكس من زميله ايسخولوس ويوربيديس . فهو بعد أن يستعرض لنا شخصية اليكترا بأبعاد قوتها واعتزازها بنفسها وضخامة عزيمتها واصرارها على الانتقام ، دون أن يثنيها خوف من عقاب أو ارهاب بعد أن يقدمها لنا بقوتها تلك نراه

يخضعها لتجربة اختبار ، بعد أن تسمع بنبأ وفاة اخيها اوريستيس حيث تتهاوى احلامها الهادفة الى الانتقام من قتلة ابيها ، فتبدو لنا للحظات مسكينة ضعيفة ازاء الخبر المنقول اليها ..

**اليكترا :** وامصيبتاه قد حلت بي البلايا اليوم .. قضي الامر يا لي من شقية لا حياة لي بعدئذ ... نحن مغلوبون على أمرنا .. لم يبق لي الا أن أتجرع كئوس الذل .. ولدى هذا الباب سأطرح نفسي حزينة لا صديق لي حتى تجف حياتي (٢٥) .

لكن سوفكليس تمشيا مع اسلوبه الدرامي لبناء شخصياته سرعان ما يجعلها تفيق من هول صدمتها وتراجع نفسها ، لتبحث لها عن اسلوب آخر لتنفيذ رغبتها في الانتقام ، وها هي تحاول ان تقنع اختها بالتعاون معها على ذلك .

**اليكترا :** انظري لا ينجح عمل بغير الجهد والمشقة .. فاي مجد نبلغه معا .. فتعالي يا حبيبتي وجاهدي في سبيل ابيك (٢٦) .

وعلى الرغم من أن اختها لا توافقها فيما ذهبت اليه فانها تصمم على تنفيذ الانتقام وحدها .

« **اليكترا** ... لا بد ان انجز هذا العمل ولن افرط فيه شيئا » .(٢٧)

وبعد أن نجح سوفكليس في أن يقدم لنا اليكترا بقوتها وضعفها واسلوبها في التفكير واصرارها وقوة عزيمتها ، بعد كل هذا يجيئنا مشهد التعرف بينها وبين اخيها اوريستيس حيث تزداد قوتها قوة وعزيمتها عزيمة ، وحيث تنفعل بفرحتها لدرجة تهدد خطتهما الهادفة الى الانتقام بالافتضاح . مما يدل على قدرة سوفكليس في الكشف عن العواطف الجياشة لشخوصه ، وموهبته في الغوص الى اعماق النفس الانسانية والبحث في مكوناتها .

**ثانيا :** حول التوازن القلق بين هذه الشخصية وتلك ..

يقول ارسطو : « ان سوفكليس كان يقول انه انما يصور الناس كما يجب أن يكونوا » (٢٨) ومن اجل أن يصل سوفكليس الى تحقيق غايته هذه وبأسلوب درامي مقنع لجأ الى وضع شخصيات متناقضة ازاء بعضها البعض ، كما لو كنا نضع اللون الاسود الى جانب اللون الابيض ، بقصد توضيح مدى الفارق بين اللونين .

فالى جانب اليكترا القوية الشخصية ، وضع خريسوثيميس الضعيفة المترددة . والى جانب اوريستيس ، الذي بدا اضعف من شخصية اخته بسبب من أن سوفكليس لم يوله العناية اللازمة نظرا لتركيزه على شخصية اليكترا ، ولانه اراد لاوريستيس ان يكون اداة للتنفيذ ، وضع شخصية

المربي القوية ذات الارادة الصلبة . اضافة الى انه وبقصد ان يسبغ على افعال اشخاصه بعدها الدرامي الاكثر تأثيرا ، وضع الى جانبها جوقة من نساء موكينا « مواطنات ولسن اماء » .

عن النقطة الاولى .. ونعني بها الموازنة ما بين شخصية اليكترا وخريسوثيميس لا بد لنا قبل البدء بالبحث في النص ان نشير الى ان اليكترا ايسخولوس لم تكن بقوة وارادة وتصميم اليكترا سوفكليس ، حيث انها كانت نواحة باكية اكثر من كونها مدبرة قوية الشكيمة والعزيمة . خاصة وان الذي كان يعني ايسخولوس ليس تجسيد فعل الارادة البشرية كما هي الحال لدى سوفكليس ، وانما هدف بالدرجة الاولى الى تجسيد الارادة الالهية . وسوفكليس عندما اختار اسم اليكترا لمسرحيته منحها بعدها المطلوب من حيث قوة الشخصية وثبات الموقف والارادة بل انه من اجل ان يجسد كل ذلك ، لم يتوان عن ايجاد اكثر من موقف درامي عنيف جمع فيه بين الابنة والام .

ففي الوقت الذي تهدد فيه كليتمنسترا اليكترا بايجستوس ، وبانه لن يتردد عن البطش بها فان اليكترا تواجهها بصلابة وتلقي بالحقيقة في وجهها :

**اليكترا** : انك لم تقتلي ابي طاعة للعدل ، ولكن طاعة لرجل آثم تعاشرينه الان (٢٩) .

وتواجه امها بكل شجاعة قائلة :

« الست تشاركين قاتل ابي فراشه ؟ (٣٠)

« اني اعيش عيشة معذبة ، انك وشريكك تصبان علي كل عذاب » (٣١)

ثم لا تتوانى عن التصريح والجهر بسلوكها ، رغم ما قد ينتظرها من عقاب .

**اليكترا** : انني سبابة ملأى بالوقاحة ، فلو كانت هذه اخلاقي ما تنكرت لطباعك ، وما اخزيت اخلاقك (٣٢) .

واليكترا منذ الصفحات الاولى للمسرحية تعلن نقمتها وتهديداتها وتنذر القتلة بالويل والثبور على الرغم من انها لم تعرف بعد بعودة اخيها اوريستيس علما بأن مثل هذه المواجهة العاصفة بين الام وابنتها ، والتي قصد من ورائها سوفكليس ان يجسد لنا بشكل واضح قوة شخصية اليكترا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم يلجأ اليها ايسخولوس الذي قدم بطلته ضعيفة الشخصية ، كما سبقت الاشارة .

ولا بد من التنويه هنا ان اسلوب وضع المتناقضات الى جانب بعضها البعض ، هذا الاسلوب الدرامي المتقدم عرف به سوفكليس اكثر من سواه ، لانه يعتمد في معالجاته الدرامية بالدرجة الاولى على افعال الشخوص وتنامي الحدث بما يتمشى مع مبدأ الاحتمال والضرورة . فكان ان وضع الاثنتين الى جانب بعضهما كقطبين متضادين متناقضين ، ومتوازيين من حيث قوة الشخصية في الوقت نفسه .

ولدى أول مقابلة بينها وبين خريسوثيميس تقول لها الاخيرة مبررة صمتها عن القتلة ..

**خريسوثيميس** : لو اني املك قوة لجهرت لهم بما اشعر (٣٣) .
ولا بد من طاعة الاقوياء الحاكمين ، ان حرصت على ان اعيش حرة .

**اليكترا** : المصيبة ان تنتسبي الى ابيك ثم لا تؤدين حقه .. فاختاري أحد أمرين اما أن أرميك بفساد الراي واما أن تكوني رشيدة (٣٤) .

وعلاوة على ذلك نرى الى اي مدى بلغ بشخصية خريسوثيميس ضعفها عندما انصاعت الى اوامر امها وحملت القرابين لكي تقدمها لدى قبر اجاممنون ، في الحين الذي تتدخل فيه اليكترا فتطلب من اختها أن لا تقدم القرابين الى القبر وانما عليها أن تدفنها في مكان آخر .

وفي مشهد آخر بين خريسوثيميس واليكترا يتبدى لنا الفارق بين الشخصيتين بشكل اكثر وضوحا فها هي خريسوثيميس تعود من قبر اجاممنون فرحة مسرورة بعدما رات خصلة شعر فوق القبر ، فجزمت بأن اخاها اوريستيس قد عاد .

**خريسوثيميس** : اني يا عزيزتي طرت اليك بأجنحة الفرح .. اتيتك بنبأ سار ، قد حضر اخونا اوريستيس استحلفك بالالهة ان تستمعي الي .. عندما زرت قبر ابي رايت في اعلاه لبنا دافئا ... وطوق زهر .. وقطعة من شعر محلوق جديد ملقاة بجانب النار .. والان انا على يقين ان اوريستيس هو الذي جاء بهذه النذور (٣٥) .

لكن اليكترا بعد أن كانت قد سمعت نبأ وفاة اوريستيس من المربي ترد عليها باستخفاف على الرغم من الغم الشديد الذي تعانيه :

**اليكترا** : اف لهذا الخبل ، كم رثيت لك ؟.. انت لا تعلمين في اي مكان على الارض تقيمين ولا اين يتخبط عقلك (٣٦) .

وبعد ان تخبرها بوفاة اخيها ، تطلب منها أن يتعاونا معا على الانتقام من قاتلي ابيهما . لكن خريسوثيميس تتهرب من مواجهة هذا الامر .

**خريسوثيميس** ... « الست ترين انك امراة ولست رجلا ؟ .. واعلمي انك ضعيفة فلا تعادي الاقوياء » . (٣٧)

وعلى الرغم من احتقارها لموقف اختها ذاك واسلوبها في التفكير ، فان اليكترا لا تتوانى عن استعارة افكار اختها اذا اقتضت الحاجة ، فهي ومن اجل ان تقنع ايجستوس وتدفعه الى السير باتجاه مصيره بخطى حثيثة .. تقول له اليكترا :

...« ان الدهر علمني الحكمة، وهو ان آخذ جانب الاقوياء » (٣٨).

قالت ذلك وكأنها ليست اليكترا ، وانما خريسوثيميس بيد ان اختيارها لمفهوم اختها هذا للحكمة التي تعني منافقة الاقوياء ، لم يأت من اجل التعايش معهم بسلام ، كما كانت تفعل خريسوثيميس وانما جاء من اجل ان تدفع اولئك الاقوياء الى الموت .

وعندما اراد سوفكليس لاليكترا ان تكون بمثل هذه الارادة ، فانه قد منحها من المبررات ما يقنعنا بمشروعية تلك القوة . ففي البدء ومنذ المقدمة نعرف ان اليكترا هي التي سلمت اوريستيس الى المربي منذ كان طفلا :

**المربي** : ... « يوم قتل ابوك جاءتني بك اختك الشقيقة » . (٣٩)

لذلك فان اليكترا بقيت وفية لذكرى ابيها ، وكانت اشبه بنذير الشؤم الذي يتهدد القاتلين ليل نهار ، فهي لا تكف ابدا عن التهديد والوعيد واستصراخ الالهة . وتذكير القاتلين بجريمتهما المنكرة . ازاء هذا اصبح وضع اليكترا ــ نتيجة لنبذ امها وايجستوس لها ــ اقرب الى وضع الخادمة المزدراة .

**اليكترا** : ... لست الا خادمة في بيت ابي ارتدي ثيابا مهلهلة .. ثم اراني اقيم في بيتي مع قتلة ابي الذين يأمرونني ويعطونني او يمنعونني ما يشاؤون .. فأمي التي يقولون عنها انها امراة من نسب شريف تصيح بي وتتهددني وتلعنني . (٤٠)

وبعد ان تسمع من المربي الخبر المزعوم لوفاة اخيها نسمعها تقول :

**اليكترا** : والان لم يبق لي الا ان اتجرع كؤوس الذل مرة ثانية بين

اعدى اعدائي وقتلة ابي (٤١) .

وبالمقابل نرى اختها خريسوثيميس وهي تنعم ببعض الحرية والمعاملة الطيبة لقاء مسالمتها ورضوخها لامر الاقوياء :

**خريسوثيميس** : لا بد من طاعة الاقوياء الحاكمين ان حرصت على ان اعيش حرة (٤٢) .

ان التسليم هنا ــ بل الاستسلام ــ هو ثمن للطمأنينة والمعاملة الحسنة ، لكن اليكترا لا ترضى بهذا الثمن ، فنراها تصرخ بعد ان رفضت اختها أن تعينها على الانتقام من قتلة ابيها ، وتبدي تصميمها على السير في خطتها حتى النهاية .

**اليكترا** : اني رايت هذا الراي ، منذ عهد بعيد (٤٣) .

تلك هي بعض من المؤثرات التي ساعدت على ان تكون اليكترا بمثل هذه الشخصية الفريدة القوية فهي الى جانب ما تعانيه من عذاب واضطهاد وحرمان ونبذ ، تعد نفسها هي المسؤولة الوحيدة عن الانتقام من قتلة ابيها .

على الرغم من قوة الدافع الديني لدى ايسخولوس فان اوريستيس يبدو لديه كأنه هو المتحكم وراسم خطة الانتقام ، اما سوفكليس فقد ارتأى لاوريستيس ان يكون اقل قوة من حيث اعداد الشخصية للانتقام مما لدى ايسخولوس فجعله عاطفيا الى حد ما .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ففي الوقت الذي تقتضي الحال من اوريستيس ان يكون صلبا ناكرا لعواطفه ازاء المهمة الجليلة الملقاة على عاتقه ونعني بها مهمة الانتقام من قاتلي ابيه ، نراه وقد شحذت عاطفته ورقت ، حتى كادت ان تؤدي الى موقف متهور ، حدث ذلك لدى اول مقابلة تتم بينه وبين اليكترا ، فهو ما ان راى اليكترا وسالها عن اصحاب القصر لكي يسلمهم الوعاء الذي يحتوي على رفات اوريستيس المزعوم .. وما ان جوبه بهلع اليكترا حتى نسي نفسه ، ولم يتردد عن كشف شخصيته لها .

هذا الموقف دعا الاثنين لان ينسيا واقع حالهما وينشغلا بفرحهما عن تنفيذ خطة الانتقام . بعد ان يشدنا سوفكليس بالتشويق المعهود لديه ، وعبر حوار مكثف ومرح بين اليكترا واوريستيس ، يصارح اوريستيس اليكترا :

**اوريستيس** ... « انظري الى خاتم ابيك » . (٤٤)

وبعد أن يريها الخاتم الذي في اصبعه تهتف اليكترا :

... « يا اسعد ايام حياتي .. يا له من نغم .. هل جئتني ؟ اني اضمك بين ذراعي » . (٤٥)

بمثل هذه اللغة الشاعرية السلسة يدير سوفكليس حوار شخوصه بجمل قصيرة موحية ، تسبغ على عمله الدرامي جمالا اكثر ، اضافة الى ما تحققه ادارة الحوار بشكل ناجح من تشويق لدى المشاهد المتتبع للاحداث التي تدور على خشبة المسرح .

وان كان سوفكليس قد بدأ حياته المسرحية بترسم خطى ايسخولوس من حيث الاسلوب فقد مر أسلوبه بمرحلة من الجفاف والخشونة ، الى ان انتهى للمرحلة التي سما فيها سموا مكنه من التعبير عن ارق العواطف وأعمقها . وتمتاز أعماله بالبساطة .. والكمال والتناسق في بناء اجزائها .

أما لغته .. فهي لغة شاعر فنان .. احسن التعبير عن افكار وعواطف وسلوك شخصياته برقة واحكام . (٤٦)

بعد ذلك اللقاء الحار بين الاخت واخيها تلتفت اليكترا الى الكورس هاتفة :

**اليكترا** : يا صاحباتي وبنات وطني .. هذا هو اوريست .. قد ادعوا انه مات مكرا والان هو حي سالم بفضل المكر والحيل (٤٧) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ينطلق كل من الاثنين بكلام ينم عن السعادة والفرح ، ويكادان ان ينسيا نفسيهما ، وقد كان من الممكن أن يفاجئهما واحد من أعدائهما ، لولا المربي الذي كان متخفيا خلف الباب ، يترصد الاثنين من جانب ، ويراقب الاعداء من جانب اخر ، ثم يخرج اليهما ليقول بلهجة صارمة :

**المربي** : أيها الجاهلان المجردان من العقل ، اتحسبان ان الحياة لا ثمن لها ؟ ذهب عنكما الرشد فلا تريان انه يحيط بكما اكبر البلاء فلو لم اقف على هذه الاعقاب رقيبا منذ حين بعيد لكشف امركما ، قبل ان تدخلا . أخذت حذري منهم ، والان لا حاجة لنا الى كلام طويل ولا الى هذا الفرح الذي لا ينتهي ، فأدخلا فان التردد في أمرنا ضرر وقد آن لنا ان نتخلص منه . (٤٨)

في هذا المشهد على وجه الخصوص تتبدى مقدرة سوفكليس في استخدام الممثل الثالث ، بالشكل الدرامي المطلوب ، والمقنع في الوقت نفسه ، وهو على الرغم من كونه اول من استخدم الممثل الثالث فانه لم

يفتعل المشاهد لكي يحشر بها ممثله الثالث ذاك وانما اكتفى باظهاره في الزمن المناسب ، من أجل ان يغطي المساحة الدرامية المطلوبة . وبالاضافة الى أن سوفوكليس كان اول من لجأ الى الاستعانة بالممثل الثالث ، فانه « تخلى عن ثلاثيات ايسخولوس واستبدلها بمسرحيات منفصلة ، لكل منها بداية ووسط ونهاية ، فكانت اعمالا كاملة بنفسها ، وهو بهذا يكون قد حرك المسرح اليوناني مسافة كبيرة نحو الشكل المسرحي المعروف الان » . (٤٩)

والمربي في هذا المشهد يقوم بدور العين الساهرة ، والمراقب الذي لا يغمض له جفن ، والذي لا يشغله انفعال عاطفي عن المهمة الجليلة التي رافق اوريستيس من اجلها .

بالاضافة الى انه هو الذي تسلم اوريستيس طفلا ، فرباه وعلمه ودربه ورسم له خطته فهو الذي يقول منذ الصفحة الاولى مخاطبا اوريستيس وبيلاديس بحزمه المعهود :

**المربي :** واجمعا على رأي قبل أن يخرج من القصر احد ، فقد بلغنا ساعة الحزم ولا سبيل الى التردد . (٥٠)

ان دور المربي هنا اشبه بالمكمل لشخصية اوريستيس ، فمع انه يعمل على تذكيره اولا ، واليكترا ثانيا بالمهمة التي تنتظرهما . الا أنه قد اسند اليه ما انتزع من دور ابولون لدى ايسخولوس .

واوريستيس ايسخولوس هو الذي يقابل كليتمنسترا لاول مرة لينقل اليها الخبر المزعوم عن وفاته متخفيا في شخصية احد الاغراب .

اما سوفكليس فقد ارتأى لمربيه أن يلعب هذا الدور ، مما منح الاخير بعدا دراميا مضافا وضروريا في الوقت ذاته .

وان كان ايسخولوس قد حبك خطته بعقلية عسكرية ملفتة للنظر .. حين ارتأى لاوريستيس وبيلاديس أن يكونا غريبين ويتكلمان اللهجة الاجنبية زيادة في الحذر ، فان سوفكليس اعاد صياغة الخطة ــ نشدانا لحبكة درامية اخرى ــ فارتأى للمربي ان يلعب دور الرسول الذي ينقل خبر وفاة اوريستيس .

وان تبادر الى ذهننا سؤال : لماذا جرد سوفكليس اوريستيس من مهمته هذه ؟؟ ونعني بها اخبار كليتمنسترا بوفاة اوريستيس .

ان الاجابة على هذا السؤال تكمن في كون شخصية اوريستيس غير

مؤهلة ــ بسبب من انفعالها العاطفي ــ بأن تقوم بدور الرسول بالشكل الامثل ، في الوقت الذي كان فيه المربي بشخصية أكثر قوة واكثر تجـــردا من الانفعالات العاطفية الوقتية .

اخيرا يتبقى لدينا دور الكورس . ان ايسخولوس اختار مجموعـــة من النساء الاسيرات من حرب طروادة اي ان الكورس هنا يعاني مـــن الاضطهاد والاستغلال بأشد مما كانت تعانيه اليكترا نفسها ، ووقوف تلك الجوقـــة الى جانب اليكترا منطقي ، اذ انهما يواجهان عدوهما المشترك نفسه .

اما سوفكليس فقد استبدل النساء الطروادیات « الاماء » بنساء مواطنات .. اي نساء ارستقراطيات .

« **أليكترا** : ... يا صاحباتي وبنات وطني » (٥١) .

والجوقة تمثل هنا موقف الطبقة التي سلبت من الحكم ــ رغم ايمانها بشرعية وراثتها لهذا الحكم ــ وان كانت جوقة ايسخولوس تتعاطف مـــع اليكترا واوريستيس بسبب من رغبتها في الانتقام من العـــدو المشترك ، فان جوقة سوفكليس تتعاطف مع اليكترا واوريستيس بسبب من رغبتها بعودة الشرعية الى الحكم .

اضافة الى ان الجوقة لدى سوفكليس قد اكتسبت دورا دراميا فاعلا اكثر مما كانت عليه حالها لدى ايسخولوس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالمعروف عن سوفكليس انه قلل من دور الجوقة عندما اضاف ممثلا ثالثا . لكنه في الوقت نفسه جعل من دورها اقرب لان يكون دور احـــد الممثلين . وعن هذا يقول ارسطو : « ويجب ان ينظر الى الجوقة علـــى انها أحد الممثلين ، وتؤلف جزءا من الكل ، وتعين على الفعل ، لا كما عنـــد يوربيديس ، كما عند سوفكليس » (٥٢) .

## ثالثا : التوازن القلق بين المفهوم الشرعي واللاشرعي للعدالة :

في الفصل الذي سبق ، اشرنا الى ان ايسخولوس ينطلق في التعبير عن مفهومه للعدالة ، من منظور ديني صارم ، ويربط ما بين العدالـــة واللاعدالة من خلال مدى اقتراب هذا او ذاك من رضى الالهة او سخطها .

لكن سوفكليس في معالجته لقضايا العدالة ، ينطلق من ارضية اخرى ذات ارتباط وثيق بموقفه الاخلاقي ، فهو يعالج مفهوم الشرعية واللاشرعية عبر منظور سلوكي ذي صلة بالقوانين المتعارف عليها لـــدى الطبقـــة الارستقراطية .

وها هي كليتمنسترا تبرر قتلها لاجاممنون ، بأن فعلتها تلك لا تخرج عن العدالة :

« **كليتمنسترا** : ... انا لا انكر انـــي فعلت ذلـــك .. ولا انكر ان العدالة اخذته معي ويجب عليك أن تكرمي العدالة ان كنت على شيء من الرشد . »(٥٣)

وكليتمنسترا هنا لا تقرن معاقبتها لاجاممنون بموقف ديني كما فعـــل ايسخولوس ، وانما هي تشير الى ان العدالة هي التي اقتضت معاقبتها لاجاممنون وبالتالي ما على اليكترا الا ان تنصاع وتقتنع بمشروعية قتل ابيها من جانب امها .

ان سوفكليس هنا لم يجرد كليتمنسترا من مبررات فعلتها ، ولم يوجه لها الادانة بشكل مباشر ولم يلق عليها باللـــوم لانها كانت ناكرة وخارجة عن ارادة الالهة كما فعل ايسخولوس : ــ

« **الكـــورس** : ... هذه القرابين ارسلتها تلك المراة التي لا آلهة لهـــا » . (٥٤)

وايسخولوس ــ كما عهدناه ــ يدين ابطاله بسبب مـــن مخالفتهم الاوامر الالهية ، أما سوفكليس فانه يدينهم من خلال افعالهم ، الى جانب كونه يقدمهم لنا مقتنعين مع انفسهم بمشروعية افعالهم ، ويبقى القانون هو الحكم الفيصل في الادانـــة او عدمها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن جانب آخر تواجهنا اليكترا بفهم آخر للعدالة ، هذا الفهم الذي تردده في وجه امها :

« **أليكترا** : ... انك لم تقتلي أبي طاعة للعدل ، ولكن طاعة لرجل آثم تعاشرينه الان . » (٥٥)

ذلك هو المفهوم الشرعي للعدالة كما يراه سوفكليس ، ففي الوقت الذي توازن فيه كليتمنسترا قتلها لاجاممنون كاقتصاص منه على قتلـــه لافيجينيا ، فان اليكتـــرا تفسر هـــذا الاقتصاص تفسيرا آخر ، وتقـــرن القصاص بالدوافـــع ، وهي هنا تشير الى أن امها ارتكبت فعلتها بحق اجاممنون على اساس « ان الغاية تبرر الوسيلة » ، والغاية كما تريـــد كليتمنسترا أن تشير اليها هي .. « استحق اجاممنون العقاب لانه ضحى بأفيجينيا » ، أما اليكترا فتؤول عملية القتل على أن امها فتكت بأبيها ارضاء وطاعة لايجستوس ، ذلك العشيق الذي تعاشره الان .

وسوفكليس حمل أسطورة آل اتريوس رؤياه الاجتماعية الخاصة بفهمه لمدى مشروعية نظام الحكم القائم في اثينا في ايامه ، ذلك ان اجاممنون هو الحاكم الشرعي ، وقانون الوراثة يقتضي أن يأتي اوريستيس خلفا له ، لانه ابنه الشرعي ومن صلبه ، ولان الارستقراطية هي التي كانت تحكم منذ أيام حرب سيلاميس ، ولانها هي التي منحت الديمقراطية ، فبالتالي لا بد ان تبقى على راس السلطة .

يقول طومسون : « لقد جاء سوفكليس من عائلة ارستقراطية ، وفي حياته الواعية قبل وجهة نظر طبقته التقليدية ، وهذا ما يظهره دعمه الفعال للدستور المعادي للديمقراطية ، الذي وضع قيودا على حق الانتخاب في السنوات الاخيرة من الحرب البيلوبونيزية ٤١١ ق.م ، كما يظهره موقفه من الموحي الدلفي الذي كان يعاديه الديمقراطيون بسبب سياسته الرجعية . » (٥٦)

وفي مكان آخر تواجه اليكترا امها بحجج لا تقبل الدحض :

« **اليكترا** : ... واذا كان ما تقولينه صحيحا اي انه « اجاممنون » فعلَ ذلك « قتل افيجينيا » مرضاة لينيلاوس .. ايجوز ان تقتليه بهذا العمل ؟... فأية شريعة احلت لك ذلك ؟ ... احذري ان لا تشرعي هذا القانون فيرتد شرعك عقابا وندما عليك . » (٥٧)

« ــ : فاذا كانت النفس بالنفس فأنت أولى من يقتل مرضاة للعدل . » (٥٨)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان الادانة هنا ليست بسبب من وازع ديني ، وانما هي نتيجة منطقية لسلوك مدان بسبب من انحرافه ولا شرعيته .

« **أوريستيس** : ... من أراد أن يعصى القوانين لا بد ان يقتل وذلك انفى للجرائم . » (٥٩)

واخيرا لا بد ان نشير الى ان سوفكليس لم يستحضر « الايرينيات » كما فعل ايسخولوس ، تمشيا مع الفكرة الدينية القائلة بتحريم قتل الارحام . وهذا يبرر وجهة نظرنا القائلة : بأن الشرعية لدى سوفكليس ، تعني الالتزام بالقوانين قبل كل شيء .

« **الكورس** : يا ذرية اترية قد بلوت بلاء كبيرا قبل ان تصلي الى الحرية ... »

والحرية هنا ليست سوى تنفيذ حكم الاعدام بالحكام اللاشرعيين ، وصعود الورثة الشرعيين الى سدة الحكم .

١ ــ جورج طومسون ــ ايسخولوس وأثينا ص ٤٦٩ ــ ٤٧ .
٢ ــ انظر الدراما الاغريقية ــ دكتور ابراهيم سكر ص ٢٧ ــ ٥١ .
٣ ــ المرجــع السابق ــ ص ٦٦ .
٤ ــ نفس المرجع ــ ص ٦٦ .
٥ ــ مسرحية اليكترا لسوفكليس ــ ترجمة د. علي الحافظ ــ سلسلة من المسرح العالمي ــ تصدر عن وزارة الاعلام ــ الكويت ــ رقم ٢/٣٥ ــ اغسطس١٩٧٢ ــ ص ٢٦٨.
٦ ــ انظر د. ابراهيم سكر ــ الدراما الاغريقية ــ ص ٤٩ .
٧ ــ المرجع السابق ــ ص ٤٩ .
٨ ــ د. علي حافظ ــ مقدمة مسرحية اليكترا ص ٢٠٠ .
٩ ــ المرجع السابق ــ ص ٢١٠ .
١٠ ــ جورج طومسون ــ اسخيولوس وأثينا ــ ص ٤٦٠ / ٤٦١ .
١١ ــ المرجــع السابق ــ ص ٤٦١ .
١٢ ــ انظر مسرحية حامــلات القرابين ــ ص ٥١ .
١٣ ــ جورج طومسون ــ ايسخولوس وأثينا ــ ص ٤٧٠ .
١٤ ــ اليكتــرا ــ ص ٢٠٣ .
١٥ ــ اليكتــرا ــ ص ٢٠٣ .
١٦ ــ اليكتــرا ــ ص ٢٠٤ .
١٧ ــ اليكتــرا ــ ص ٢٠٤ .
١٨ ــ اليكتــرا ــ ص ٢٠٤ .
١٩ ــ اليكتــرا ــ ص ٢٠١ .
٢٠ ــ حامــلات القرابين ــ ص ٦١ .
٢١ ــ اليكتــرا ــ ص ٢١٩ .
٢٢ ــ حامــلات القرابين ــ ص ٤١ .
٢٣ ــ اليكتــرا ــ ص ٢١٩ ــ ٢٢٠ .
٢٤ ــ د. ابراهيم سكر ــ الدراما الاغريقية ــ ص ٥٣ .
٢٥ ــ اليكترا ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ .
٢٦ ــ اليكتــرا ــ ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .
٢٧ ــ اليكتــرا ــ ص ٢٥٤ .
٢٨ ــ فــن الشعر ــ ص ١٤٦٠ ب .
٢٩ ــ اليكتــرا ــ ص ٢٤٢ .
٣٠ ــ اليكتــرا ــ ص ٢٢٥ .
٣١ ــ اليكتــرا ــ ص ٢٢٥ .
٣٢ ــ اليكتــرا ــ ص ٢٢٦ .
٣٣ ــ اليكتــرا ــ ص ٢١٥ .
٣٤ ــ اليكتــرا ــ ص ٢١٥ .
٣٥ ــ اليكتــرا ــ ص ٢١٨ .
٣٦ ــ اليكتــرا ــ ص ٢٣٨ ــ ٢٣٩ ــ ٢٤٠ .
٣٧ ــ اليكتــرا ــ ص ٢٤٤ .
٣٨ ــ اليكتــرا ــ ص ٢٦٥ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣٩ ـ اليكتـــرا ـ ص ٢١٣ .
٤٠ ـ اليكتـــرا ـ ص ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣ .
٤١ ـ اليكتـــرا ـ ص ٢٦٤ .
٤٢ ـ اليكتـــرا ـ ص ٢١٥ .
٤٣ ـ اليكتـــرا ـ ص ٢٦٤ .
٤٤ ـ اليكتـــرا ـ ص ٢٥٥ .
٤٥ ـ اليكتـــرا ـ ص ٢٥٥ .
٤٦ ـ د. ابراهيم سكر ، الدراما الاغريقية ص ٥٣ .
٤٧ ـ اليكتـــرا ـ ص ٢٥٥ .
٤٨ ـ اليكتـــرا ـ ص ٢٥٩ .
٤٩ ـ المرجـــع السابق ـ ص ٥٤ .
٥٠ ـ اليكتـــرا ـ ص ٢٠٤ .
٥١ ـ اليكتـــرا ـ ص ٢٥٥ .
٥٢ ـ أرسطو فن الشعر ـ ١٤٥٦ .
٥٣ ـ اليكتـــرا ـ ص ٢٢٣ .
٥٤ ـ حامـــلات القرابين ـ ص ٦١ .
٥٥ ـ اليكتـــرا ـ ص ٢٢٤ .
٥٦ ـ جورج طومسون ـ ايسخولوس واثينا ـ ص ٤٨٢ .
٥٧ ـ اليكتـــرا ـ ص ٢٢٥ .
٥٨ ـ اليكتـــرا ـ ص ٢٢٥ .
٥٩ ـ اليكتـــرا ـ ص ٢٦٨ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



# حدث في حارة البطل

قصة قصيرة

بقلم : حسن الجوخ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**مشاهد غائمة :**

●● رآه رمضان الكبابجي وهو يدفع عربته الخشبية الصغيرة في مدخل بيته يزحف في بطء بجوار الجدار .. أصفر الراس .. طويلا .. ــ أطول من باع ــ فاغر الفم .. أخرسته المفاجأة .. بصق في تقزز .. تاه عن نظره .. سرعان ما ظهر مرة ثانية ، يحوم في عينيه الخبث والمخادعة . نظر الرجل الى عقارب ساعته .. كانت تقارب الثلث بعد الثانية صباحا .. لفحت وجهه نسمة صيف .. قلب شفته السفلى في ارهاق وتراخ ، أغلق باب الحجرة .. اشعل سيجارته الاخيرة .. وطى « الوناسة » وبهدوء تمدد بطول ام صابر ، وصحيح النوم سلطان .

●● لمحه فتحي افندي من فوق درابزين شرفته البحرية ، وهو يطالع رواية جديدة ، يدور حول عمود النور .. أزرق اللون .. مدبب الراس طويلا ــ أطول من باعين ــ في طرفة عين سحب عصاه .. جذب

ابنه من كم جلبابه الدمور ، وهو ما زال مبهوتا من المفاجأة .. نزل السلم بسرعة الخيل .. لم يجد له اثرا .. دهش الرجل ، عض على نواجذه حينما تأكد من انفلات الفرصة .. ظل لحظات يضرب كفا بكف .. تجمع اهل الحارة ، تساءلوا ، وطال التساؤل .. تحدث .. صدقه البعض ، ولم يصدقه البعض الاخر .. لامه ووبخه اكثر من واحد .. اخيرا اخذ ابنه ، وصعد متجاهلا ما حدث من تعليقات كانت في غاية السخافة .

●● شافه محمد بهلول المزارع بالاصلاح الزراعي ، وهو يزور اخته ام بطة .. يسير فوق الطوار .. كبير الراس .. لامع الجسد .. طويلا — اطول من باع ونصف — غافله .. قذفه بحجر ، ولكنه اختفى قبل ان يصيبه .. وعندما عاد الى بلدته ، حكى لهم قصصا قصيرة عن راسه ، وجسده ، وطوله ، وعرضه ، وفي النهاية حذرهم من سمه القاتل .. وحينما صمت حملقوا فيوجوم كالبلهاء ..ثم وضع كل منهم فأسهتحت راسه وراح في سبات عميق .

●● شاهده عم حامد السباك من نافذة حجرته الواطئة ، يحبو متسللا نحو اقفاص « ابو رجب » الفكهاني .. بحركة لاشعورية رماه بما وقع تحت يده من اشياء ، بعد ان غافله ، ولكنه تمكن من الفرار دون ان يصاب بمكروه .. الملعون !.. اشتعل الدم في عروق الرجل .. وحينما راى عم حامد السباك « ابو رجب » الفكهاني في حالة لامبالاة ، حذره سوء العاقبة في لهجة شبه آمره — يعرفها اولاد البلد — وعندما لاحظ الا جدوى من كلامه او تحذيره رفع طرف جلبابه الاسكندراني حتى أسفل ركبتيه ، وانصرف الى حاله .

●● رآه عاصم بن حسين الطويل، وهو يخب في بدلته العسكرية الجديدة مزهوا فخورا يتجه في اتجاه عربات الباعة الجائلين المكدسة على ناصية الحارة .. اراد ان ينتهز الفرصة فضربه بسن حذائه ضربة عشوائية .. دار عاصم عدة دورات حول نفسه حائرا .. تورمت قدماه، ونشع العرق ممتزجا بالدم من بين اصابعه .. تلفت مذهولا ، ودق قلبه دقات عالية متلاحقة ، احس بالخزي يغلف اعماقه .. نكس راسه ، ثم حملق في اللاشيء .. حاول الولد جاهدا ان ان يتذكر ملامحه ، وانما كانت مخيلته كقرش متآكل معضوض .. عرفالشاب بعد فوات الاوان انه هرب ، وان كان — في الحقيقة — لا يدري على وجه الدقة من الذي هرب من الاخر حتى الان ؟!.

●● لمحه ياسر بن خيري الحلاق ، من تحت شجرة التوت القابعة عند مدخل الحارة ، وهو يذاكر دروسه استعدادا لامتحان الغد القادم ، يدنو منه في بطء قاتل .. يتقدم منه غير مبال .. ضخم الراس والجسد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

.. اصفر اللون .. طويلا ـ اطول من باعين ـ قام ياسر ، واعترض طريقه ، عرقل سيره ، لم يتقدم احد لمساعدته ، وعلى الرغم من ذلك ظل ابن الحلاق صامدا متحديا يتحكم في حركته ، على قدر ما استطاع كمراهق تغلبت عليه رومانسيته خلال تلك اللحظة بالذات ، وقد ظل الشاب حديث الحارة لبضعة ايام ، ثم نسوه بعد ذلك تماما .

●● راته تريزا ، من فوق سطح بيتهم وهي تسقي شجرة اللبلاب ، يصعد شجرة التوت اياها رافعا راسه بين لحظة واخرى .. تمتمت بكلمات من الانجيل بقلب واجف .. رسمت علامة الصليب في الهواء ـ اكثر من مرة ـ دارت راسها كحجر الطاحونة .. همت ان تصرخ ، لكنها آثرت ان تغمض عينيها ، وتسمرت كتمثال جامد ، وسرعان ما تحجرت الصرخة الحبيسة في الحلق البلوري .. لم تستطع ان تعلل لنفسها ماحدث ، ولكنها حينما فتحت عينيها شاهدت ذيله المدبب الطويل ينسحب هاربا داخل جذع الشجرة المعطوف بسرعة بارقة .

●● شاهده الشيخ محمد ، وهو في طريقه الى « الزاوية » لصلاة الجمعة اليتيمة .. يهاجم بعض الاطفال .. طويلا ـ اطول من باعين ونصف ـ اصفر العين والجسد .. مطبوعة فوق راسه علامة غامضة ، قطب الرجل وجهه .. جوقل وبسمل واستعاذ بالله .. قرا آية الكرسي ـ اكثر من مرة ـ فضلا عن بعض آي الذكر الحكيم ، وقد ظل بدنه مقشعرا لبضع لحظات ، ولكنه استعان على الثبات بأدعيته المباركة المحفوظة . وعلى الرغم من المشاهدة جاءت صدفة ـ لا دخل لاحد فيها على الاطلاق ـ الا انها هزت المقاييس في راس الرجل ، وزلزلتها بعنف .. حذر الناس من سمه الفتاك ، ودعا لمقاومته ، كما حمل الجميع مسؤولية التهاون في حق هذا الجهاد المقدس ، واختتم خطبته المنبرية الطويلة قائلا: « ان الساكت على الشر كفاعله » ، وبرغم كلمات شيخنا النارية ابتلع الناس بحر من السكون ، ولم يدر احد : هل كان ذلك السكون توقيرا لبيت الله أم يعني تجاهلا جديدا للخطر المداهم ؟!.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## ملاحظة جانبية :

لصبح اهل الحارة كبارا وصغارا، رجالا ونساء ، يراقبون تحركاته المباغتة ، وهم في حالة ذعر دائم ، وقد تسربت تحركاته المفاجئة الى بعض الحوارى المجاورة يصاحبها الكثير من الخوف ، والعديد من التأويلات الخرافية .

## الضرب بالكلمات في اقوال متناثرة :

** قال رمضان الكبابجي :«الدخان يعكر الجو » عندما هاجمه ، وهو



يعانق ابنه الوحيد بحرارة بعد مجيئه من سفر طويل ، حتى لم يتمكن الرجل من دفع ولده بعيدا عنه .

« ترك احد المستأجرين شقته ، و .. »

** قال فتحي افندي : « الوحل يحاصر الشمس » وهو يلقي بحطام زيره القناوي من الشباك بعدما تمطى فيه الملعون ، وكسره .

« ترك مستأجر اخر حجرته ، و ... »

** قالت أم بطة : « الحصان الابيض يموت على الاسفلت الاسود» وهي تغرس نصل السكين الحاد في بطن البطيخة خشية منه .

« ترك مستأجر ثالث مسكنه ، و .. »

** قال ابو رجب الفكهاني : «رياح الخماسين تؤذي الثمار يا سادة » وهو يمتص مكان اللدغة المفاجئة .

« ترك مستأجر رابع حجرته ، و .. »

** قال عم حسين الطويل الى عم خيري الحلاق : « الفحيح يكتم الانفاس » عندما تطارده عند شجرة التوت العجوز النائمة على ناصية الحارة .

« ترك مستأجر خامس شقته ، و .. »

** قال ياسر بن خيري الحلاق « الديدان تأكل الاحياء » وهو يحدد لابيه مكان اللدغة الجديدة ، في جو مشحون بالقلق والتوتر .

« ترك مستأجر سادس مستقره ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

و ... »

** قالت تريزا : « المسيح يصلب من جديد » وهي ترسم لامها بالقلم الجاف دائرة حول الجزء المسمم من علبة المسلى المفتوحة حديثا .

« ترك مستأجر سابع شـــقته ، و ... »

** قال الشيخ محمد : « الساعة تأتي قبل الاوان » وهـــو ينزعـــه بصعوبة من فوق عنق زوجته الطيبة العجوز .

« ترك مستأجر ثامن مسكنـــه ، وهرب »



**طبلة :**

« العدوى تنتشر !.. الحكايـــة طالت ؟! .. متى نفيق ؟؟ » تساؤلات احتلت بؤر مشاعرهـــم .. خـــرج الجميع من الصلاة دون أن يتموها .. الافكار تتضارب .. تغيم الرؤى .. قطع عم حسين الطويل حبل خواطرهم السارحة بصوته الجهوري متسائلا : « هل لا يوجد في حارة البطل ، بطل بحق وحقيق يخلصنا ؟! » ثم أردف : « آه .. بطل واحد .. بطل واحـــد يملك شجاعة الضربة الاولـــى ، ويخلصنا » . في الحقيقة حدثـــت تعليقات كثيرة حول صيحة عم حسين الطويل ، وتساؤله القاسي الجارح ثم انصرف الجميع واحدا اثر الاخر، وعلى باب الحارة انشغلت افكارهم بشيء اخر تماما : كيف نعد الغداء لنا ولاولادنا ؟؟ .

**النهاية :**

في الصباح الباكر تجمع صبيـــان الحارة تحت لوحة ، « حارة البطل » ورفعوا واحدا منهم فوق الاعناق ، وسرعان ما اخذ يمحو لفظة « البطل» وترك مكانها خاليا .. خاويا .. فارغا .. !!

**حسين الجوخ**
**ـ القاهرة ـ**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# غنائية

## الى هذا الوجه القادم من بعيد

اتمدد فيك الان قيامه
٥٠٠٠١ يا وطني الامن
وجه بلادي
ما زال الطبشور العالق في كفيك
الناعمتين
يحرك في عذابات الامس
عصافير طفولتي الراحلة تعود
وقلبي ما عاد كما كان قديما
كانغناء الاطفال اذا ما ابتعن الحلوى
يوغل في الصدر
غناء الاطفال
تعلمت بان اترجل حين تساومني
الرغبة
ان اتوارى خلف ستار الحلم

وحين تجيئن
القلب يكور فيه الدهشة
لم القاك الصدر الدافىء
آ٥٠٠٠ لم القاك
وانا قد عانقت الجدب طويلا
في قلبي كان العالم مكتئبا
ارضعني زمني الغابر ثدي الغربة
شلالات الحلم تفاجئني
اللحظة تنسلين الى القلب الموجع
يحملني وجهك نحو بلادي
آ٥٠٠٠ يا وطني الامن
فيروز تغني
« ردني الى بلادي »
وانا كم غنيت طويلا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر : محمد الشحات

مهداة الى : عزه شعبان

للوطن القابع في صدري
هل يمنحني دفء اللحظة
يمنحني اسما احمله
كنت صغيرا
ارسمه بالطبشور على جدران الشارع
من يلقاني حين أعود من الدرس اليومي

فوجهي لا يلقاه الا الغربة حين يعود
ابي لا يعلم اني جئت العالم
اخذته الحرب
وامي ضاعت في طرقات العالم
اكلتها الحاجة
هل تلقاني اليوم ...
تراني ممشوق القد

اجيد العشق
تمنيت أن يشتد الساعد
كي أحصدك قمحا
لكنك لا زلت تبيعين الابناء بعيدا
دلتاك هل تمنحني الاخصاب
فنتباهى ابناء النيـــل
وعزة بنت النيل
وقاهرتي تسكن في عينيها الباسمتين
فهل نتخلى
اتمدد فيك الان قيامة
٢٠٠٥ يا وطني الادنى
وجه بلادي

محمد الشحات

ـــ القاهرة ـــ

# كيف ودع شعب التشيلي




ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ترجمة واعداد : احمد فارس

قال بابلو نيرودا قبل بضعة اشهر من وقوع الانقلاب الفاشي في التشيلي :

« لن يكون باستطاعتي أن أرى وطني مضرجا بالدم . ان ذلك سيكون معناه موتي » .

ولقد مات فعلا بعد مرور ١٢ يوما على قيام طائرات الطغمة العسكرية باطلاق الصواريخ على احياء العمال في العاصمة سنتياغو كبداية لمأساة التشيلي الداميـــة .

كان الشاعر الكبير مصابا بداء عضال استعصى شفاؤه ، ولكن قلبه توقف عن النبض ليس فقط بسبب ما اورده تقرير الاطباء ، بل لقد قتله ايضا ذلك السرطان الذي يستشري الان فاتكا بجسد شعبه الا وهو الفاشية .

وكان الشاعر الحر دائما المتجدد دوما مرتبطا ارتباطا ابديا بأرض وطنه وبأبياته فغنى للبحر وتغنى بالام الفقراء والبسطاء الذين لم يلقـــوا في حياتهم سوى الذلة والمهانة ، غنى للخبز ، للارض ، للسماء الصافية ، لكل شيء ولكنه اغمض عينيه الى الابد لانه لا يطيق ان ينظر فيرى دمـــاء شعبه مسفوكة فوق تراب وطنه الحبيب وبيد الطغمة الغاشمة .

ان الفاشية تخشى الشعراء . وهذا شيء معروف ، انها تخـــاف من الشعراء الاحياء .. ولكنها لا تكف عن الذعر منهم وحتى وهم جثمان مسجى فارقته الحياة .

ظل نيرودا حتى ايامه الاخيرة يعمل دون ان يتسرب اليـــه الكلل او الملل . لقد انهى في اخريات حياته كتابا يحوي بعضا من ذكريات العمر .

وضعت الطغمة الحاكمة حول منزله مجموعة من حملة البنـــــادق الرشاشة القصيرة ، وذلك كي لا تنطلق الى العالم كلمة واحدة من اشعاره اللاهبة . فرضوا عليه الاقامة الجبرية في داره وهو عليل ، ولم يسمحوا لاي شخص بالدخول عليه او على ذوي قرباه . وكانت الاشاعات المتواترة من سنتياغو بشأنه متناقضة . قيل ان نيرودا قتل وقيل انه قيد الاعتقال . وكان العالم بأسره يحس بالقلق على مصير هذا الشاعر الكبير . لم يكـــن بالامكان الحصول من بيته على خبر . لقد قطعت الفاشية كل صلة بين العالم وبين الشاعر ، ولكنه كان يسمع ازيز الرصاص الذي كان يملأ شوارع العاصمة ، وصراخ الخوف الذي يملأ افواه الناس . كانت الريح المزوجة برائحة البارود والدم تحمل الى نافذة غرفته مأساة الشعب بأكمله ، تحمل رائحة جرائم القتل الجماعية ، ورائحة الدخان المتصاعد من الكتب المحروقة في الشوارع والميادين ، حيث تلتهم السنة النار عصارة الاذهان فتحيلها الى رماد وقد توهجت فيه سطور ابياته الشعرية الوضاءة .

زادت المحنة من سوء صحته فتردت بصورة حادة ونقل الى مستشفى العاصمة سانتا ماريا وارقد في العنبر رقم ٤٠٢ الذي سرعان ما حولته السلطات الى حجرة سجن اشبه ما تكون بزنزانة منها بغرفة مستشفى . وفرض الحظر على زيارة الراغبين في عيادة الشاعر ومنعت كذلك لقاءات اقربائه به وتوقف قلب الشاعر عن الخفقان والى الابد بعد أيام قليلة من دخوله المستشفى . وفي نفس الليلة اقتحم الفاشيون داره ، وكسروا مصاريع الابواب وسارعوا قبل كل شيء الى اخذ المخطوطات والكتب وخلال بحثهم المحموم عن الاوراق التي خط عليها الشاعر اجمل اشعاره المرعبة لهم مزقوا الستائر وحطموا الالواح الخشبية التي تغطي الارض وشقوا بحراب بنادقهم قماش السقف ثم راحوا في ثورة غضب عارم يتلفون كل ما تقع عليه ايديهم ، فخرقوا بالحربة لوحة رسمتها ريشة الرسام العظيم بابلو بيكاسو وهشموا مجموعة قيمة من السراميك الهندي ، وبعثروا الكتب وكسروا زجاج النوافذ وخلعوا الابواب من مفاصلها . وعندما هموا بمغادرة المكان عمدوا الى تصرف همجي وقح : لقد فتحوا كافة صنابير الماء في البيت .

نقل التابوت البسيط المصنوع من خشب الصنوبر الذي يضم جثمان الشاعر العظيم الى بيته المنهوب الطافح بالماء فوق تل سان كريستول ووضع النعش هنا عرضة لهبوب الريح من كل جانب . ولكي يتسنى لاصدقاء الشاعر المقربين الوقوف بجوار نعشه تعين عليهم وضع عدد من احجار الاجر فوق الارض المغمورة بالماء وتغطيتها بالواح من الخشب ليصبح في الامكان الوقوف هنا برهة لوداعه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتجمع عند البيت المراسلون والصحفيون ، وحتى اولئك الذين راوا الكثير من وحشية الفاشية الالمانية النازية وقفوا مندهشين امام بربرية الفاشيين الجدد . وقال واحد من رجال الطغمة الحاكمة سعيا الى ازالة الانطباع السيىء الذي خلفه هذا التصرف المقيت في النفوس، ان كبار الضباط لم يصدروا اي امر بتحطيم بيت الشاعر الذي هو احد مصادر الفخر القومي لدى التشيليين ، وان الجنود والضباط الصغار فعلوا هذا من تلقاء انفسهم ... وكانت هذه الكذبة الخرقاء الخادعة تتمة لسوء التصرف الاحمق .

وراحت حشود الناس تزداد شيئا فشيئا قرب البيت الخاوي على عروشه والذي يضم بين جوانحه نعش الشاعر ، لالقاء نظرة الوداع على شاعرهم العظيم . ولكن حملة البنادق القصيرة راحوا يدفعونهم وامروهم بالتفرق والانصراف ... ولكن الجميع بقوا ثابتين في اماكنهم حتى قام احد

الضباط بأبلاغ السلطات العليا . وصدر امر بالسماح لمن احتشدوا عند بيت الشاعر ان يشيعوا جثمانه الى مثواه الاخير .

سار الناس وراء النعش عبر شوارع خالية وكان يحيط بهم طوق من الجنود المدججين بالاسلحة الاوتوماتيكية . ساروا يرافقهم موكب الذعر والخوف . لقد ظلت الطغمة العسكرية تخاف من بابلو المتوفى حتى بعد ان سرقت داره وكل ما خطته يده من اشعار تدوى بالكلمات الانسانية الصاخبة .

ومن تل كريستوبل حيث يطل بيت الشاعر على المقبرة القائمة منذ قرن ونصف كان ينبغي قطع زهاء ثلاثة كيلومترات عبر شوارع ميتة في مدينة ميتة . فالنوافذ مقفلة المصاريع ، مسدلة الستائر ، والابواب موصدة باحكام . ولكن هذا لم يمنع من تسرب الانباء التي تقول بأن الشاعر العظيم سوف يوارى جثمانه في هذا اليوم الخامس والعشرين من شهر ايلول ، فتجمهر العمال والطلبة مسبقا ومبكرا على طول الطريق المؤدي الى المقبرة والذي سيمر فيه النعش . كان محظورا وقوف الناس في شوارع العاصمة على شكل جماعات ، ولهذا انتظر الناس الموكب متوزعين على مداخل الازقة والبيوت والسلالم ، وفي الاقبية والشقق القريبة لدى المعارف . وهكذ راح عدد الناس السائرين خلف النعش يتعاظم من بيت الى بيت وكأنهم اشباح تشق الارض لتظهر فجأة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم يتحرك وراء الجنازة عند دار الشاعر سوى بضع عشرات من الاشخاص ، اما الذين وصلوا سائرين خلفها الى بوابة المقبرة فكان عددهم يربو عن الالفين . لقد بدأوا حركتهم كموكب تشييع يلفه الحداد بوشاحه ، ولكنهم تحولوا تدريجيا وحولوه الى مظاهرة ، هي اول مظاهرة في سنتياغو بعد الانقلاب الفاشي .

هاهو احد المشيعين يصرخ عاليا من بين الجمع السائر خلف الجنازة « كومبانيرو بابلو نيرودا ــ بريسينته » اي « ان الرفيق بابلو نيرودا معنا » واذا بهذه العبارة ترتفع فجأة فوق رؤوس الناس مكتوبة على عجل بخط اليد فوق قطعة من القماش . ( وتجدر الاشارة الى انه في يوم ١١ ايلول ( سبتمبر ) منعت الطغمة الحاكمة رسميا نداء المخاطبة بكلمة « كومبانيرو » ومعناها « رفيق » ) .

وصرخ شخص اخر « اننا ندفن سوية مع نيرودا ايضا رئيسنا السلفادور الليندي » ورددت جماعة المشيعين هذه العبارة . وارتفع هذا الشعار ايضا فوق صفوف السائرين مكتوبا بخط يدوي على قطعة قماش .

اما الجنود الذين كانوا يحاصرون المشيعين فلم يجرؤ اي منهم على التدخل . وقذف شخص من احدى النوافذ بزهرة حمراء فسقطت على ارض الشارع فرفعوها وصاروا يتداولونها من يد الى اخرى رافعين اياها نحو الاعلى .

وطوق الجنود المقبرة ووقف عند بوابتها الالوف من الجنود حملة البنادق وظهرت عند كل قبر في المقبرة خوذة ولوحت عند كل تمثال لفقيد حربة فوق فوهة بندقية اوتوماتيكية ، ولكن هاهو احد الاشخاص يردد كلمات وانغام نشيد وطني وسرعان ما انضم اليه اخرون واشتركوا معه في الغناء . وانشد العمال والطلبة والكتاب وكل الذين جاءوا لوداع شاعرهم الاناشيد الوطنية ، وكأنهم يقسمون امام شاعرهم قسم الوفاء والمحبة والاخلاص له وللوطن . وخف الى المقبرة ايضا افراد من البوليس الحربي في سيارات النقل ، وها قد اصبح عدد الجنود يفوق بكثير من المرات عدد المشيعين ، ولكن الطغمة لم تتجرأ على اصدار امر الى الجنود بقطع التشييع الذي تحول الى مظاهرة ضد السلطة . وصاح احد المشيعين « عاشت التشيلي حرة وطنية » .. « الخلود لشاعرنا العظيم » « الموت للخونة الاشرار .. » تلك هي الشعارات التي هتف بها الجميع والتي اصبحت بمثابة عبارات التشييع والتوديع . ثم تليت بعد ذلك على نعش نيرودا مقتطفات من اشعاره الثورية الوطنية التي كان يعرفها ويحفظها عن ظهر قلب كل الحاضرين . وفي نفس اليوم قام الضباط الفاشيون في حي سان بورخا باشعال موقد ضخم احرقوا فيه الكتب واحترقت بينها ايضا كتب ودواوين نيرودا .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# الشيخ محمد عبده والإصلاح التربوي

خليل احمد السعودي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الامام الشيخ محمد عبده رجل من رجال الاصلاح المرموقين ، وعلامة دالة على طريق التنوير والمشاركة في بناء الحركة الفكرية والعلمية في مصر ، والعالم العربي والاسلامي ، ولا يسع الباحث المنصف ، والعالم المدقق الا أن يشيد بنتاج اصلاحه ، ومحصول دعوته ، فاصلاحه لم يكن مجرد دعوة نظرية ، او مجرد رأي مهوم او يوتوبيا تحفر بينها وبين الواقع هوة متباعدة، وجفوة دائمة ، ولان الرجل تقلب في وظائف عديدة شملت فيما شملت وظائف القضاء ، والتدريس ، والافتاء ... الخ ، وخلال هذا كله عاش احداثا عظاما مرت بها الامة وانغمس في اتونها ، واندفع يستقرئها ويحللها ، لهذا فقد كان لا بد ان تتسع دائرة اصلاحه ، وساحة تجديده ، وتطويره فشملت جوانب مختلفة من جوانب الحياة السياسية ، والعلمية ، والتربوية ، والاجتماعية .

ونحاول خلال بحثنا هذا ان نلقي بعض الضوء على اصلاح الرجل مبرزين نسقا من الانساق التي تشكل فكره ، وتحمل فحوى دعوته ، وهو الاصلاح التربوي ، موضحين رايه في التربية والتعليم ، ومسلكه العملي لتطبيق هذه الافكار في متسع الواقع ، ودنيا الناس ، مع التنبيه الى اننا نورد اصلاحه هذا قياسا على عمره ، وما ساد فيه من مفاهيم ، وافكار ، ونظريات .

وقد لاحظنا خلال درسنا لفكره التربوي ان كثيرا من الباحثين قد تعرضوا له ، الا ان العديد منهم قد تناوله باعتباره جزءا مكملا لشخصيته الاصلاحية ، وافكاره التجديدية ، فالعقاد مثلا حين يكتب تراجم الابطال يجعل للشخصية محورا اساسيا تدور حوله حياتها ، واتجاهاتها ، وقد جعل التعليم محور حياة الامام ، واكد فيما عرض من خلال كتابه القيم عنه « محمد عبده » اكد غلبة هذا الجانب على اتجاهاته جميعا ، وكذلك راى الدكتور عثمان امين في كتابه « رائد الفكر المصري محمد عبده » . فرغم انه قدم نصوصا نادرة من اقوال الامام محمد عبده ، ووثائق نعتبرها مفيدة في هذا المجال ، الا انه في الاعم الغالب لم يناقش ما حوته ، ويبوب ما اشتملت عليه من خصائص التربية ، ومناهج التعليم وما اثارته في هذا المجال من قضايا ، واتجاهات وكذلك فعل احمد امين الذي افرد له فصلا في كتابه « زعماء الاصلاح » . وغير هؤلاء كثير ، وربما كان السبب وراء هذا كله ان مثل هذه الكتب والدراسات ، وهي تبرز صورا لافتة من حياة الرجل ، ومواقفه وآرائه غير مطلوب من منشئيها ان يقفوا وقفة متانية جائلة في شعاب ووديان هذه الارض ، فحسبهم ان يتعمقوا الاطار العام ، والمنحى المميز لاتجاهاته ، ونظراته ، غير ان ما لم يتجه اليه هؤلاء من درس التفاصيل العلمية الدقيقة والجزئيات المفتتة في مجال التربية حري بالمتوفرين على هذه الدراسات ان يمشوا في مناكبه يحرثونها بحثا دائبا جادا ، ومناقشة وتقييما وتأصيلا ، فما زالت هذه الارض يعوزها القلم الباحث ، والذهن الفاحص ، وما احوجنا الى مثل هذه الاصالة المتمثلة في منهج الامام سيما ونحن نحاول الان تعميق ثقتنا بأنفسنا ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى لنستخدمها كوسيلة من وسائل الدفاع عن كياننا وربط حاضرنا بماضينا ، ونستخدم هذا كله كوسيلة من وسائل الدفاع عن كياننا بعدما اتضح جليا ان المواجهة بيننا ، وبين اعدائنا انما هي مواجهة حضارية في المقام الاول بكل ما توحي به من مدلولات وبكل ما ترمز اليه من فكر ، وقضايا ، واتجاهات .

ونحن نتفق مع القائلين بأن التربية لدى الامام هي الوسيلة المثلى للتجديد ، والتحديث ، والتطوير ، وقد تأكد له هذا المعنى بعد عودته من

المنفى (١) ، وقد رأى ان الاحتلال الانجليزي قد تمت له السيطرة الكاملة ، والهيمنة الشاملة على امور الدولة ، ومقدراتها وان مدافعته بالقوة امر ليس بالمستطاع ، ولكي يتم ما بدأ من اصلاح حاول الا يصطدم بعمدائه والقائمين علي تمكينه في تربة البلاد بل حاول في بعض الاحايين الاستعانة بهم لتحقيق ما اراد معتمدا على آراء بعض فقهاء المسلمين بجواز الاستعانة بغير المسلم لصالح المسلمين ، اذن عول الامام على الاصلاح التدريجي الذي يعني الاهتمام بالتربية والتعليم ، وهناك وجد ضالته المنشودة ، واداته للاصلاح في ظل هذه الظروف التي اقل ما يقال فيها انها قاتمة تبعث اليأس وتستدعي القنوط ، ورأى انه حين تتسلح الامة بالرأي المستنير ، والوعي الناضج يصبح في امكانها ان تقود حركة الاصلاح واليقظة والارتقاء ، وتحتضن القضايا الكبرى للامة ، وفي هذا المجال يقول « وانمـــا علينا أن نهتم الان بالتربية والتعليم ، وان نحمل الحكومة على العدل بما تستطيع ، وليس من المصلحة ان نفاجيء البلاد بأمر قبل ان تستعد له فيكون من قبيل تسليم المال للناشيء » (٢) ، فهو يرى ان المناداة بالشعارات السياسية ، والديمقراطية تعمل على تنميتها السنون من خلال برامج التربية والتعليم ، وهنا يثـــور سؤال : اي نوع من التربية يولي اليه الامام وجهه ؟

**هدف التربية عند الامام :**

ان هدف التربية عند الامام هو تغيير الفكر السائد ، من فكر تقليدي لا يهتم بمستويات التفكير العليا من تحليل وتقويم ومناقشة ، الى تفكير علمي ناضج ، فاذا كان ابرز مظاهر عصره هو الحفظ والاستظهار فان دعوته هي دفع الخطى الى التفكير العلمي الناقد ، حاثة على الاجتهاد داعية الى البحث ، ورد القضايا الى اصولها الاولى وجذورها الموغلة ، فيقول : « ان الناس تعرض لهم باختلاف الزمان امور ووقائع لم ينص عليها في الكتب فهل يتوقف سير العالم لاجل كتبهم ؟ » (٣) انه يريد تعليما يواكب حركة العصر ، ويستنبط من الاحكام والمقاييس ما يحل به المعضلات المستحدثة ، والمشكلات الطارئة ، والطافية فوق السطح ، فان سمة الحياة العلمية هي هذه الحركة الدائبة التي لا تهدأ حتى تشبع ملكة البحث ، وتثري الحياة من حولها ، ولهذا ينعي على المقلدين الجامدين عدم قدرتهم على ايراد الادلة المدعمة ، والحجة القوية ، لما يرددون من اراء اسلافهم ، وليس أدل على مدى نفوره من هؤلاء المتحجرين ، والذي نكاد نعده غريزة صاحبته منذ بدأت عيناه تكتحل برؤية الاشياء ، فانه وهو يبدأ خطواته الاولى على درب التعليم يرفض الانسياق الاعمى وراء تعليم غامض يعطى معلومات مغلزة لاعتماد التعليم على التلقين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دون مراعاة لمستوى التلميذ ، ونضجه العقلي ، واستعداده النفسي ، والانفعالي ، واذا كانت التربية ترى اشراك المتعلم في العملية التعليمية كطرف ايجابي فان هذا النوع من التعليم قد جعله مجرد متلق ، بل وامعن في اهماله وتعمد نسيانه ، ولندع الامام يحدثنا عن هذه المناهج المبهمة وأضرارها ، وشرها المستطير ، وسوء المنقلب الذي تؤول اليه الامة جزاء وفاقا لهذا النمط المغلق ، والتربية المطلسمة ، ولنتركه ايضا يحدثنا عن التلاميذ الذين يستمرون في هذه الدراسة فيغشون انفسهم ويقنعونها زورا وباطلا بانهم يفهمون ما يلقى عليهم من دروس « فيستمرون على الطلب الى ان يبلغوا سن الرجال ، وهم في احلام الاطفال » (٤) ، وانتقاد الشيخ محمد عبده لهذه المناهج يتفق فيه مع رجال التربية وعلم النفس ، فانهم يرون ان المغالطة ، وعدم وضوح الاهداف كل هذا يقلل من دافعية المتعلم ، وقابليته الارتواء من حياض العلم « فالفهم ودقة الاداء ميسران لانتقال التعلم » (٥) ، واذا كان الامر كذلك فقد صدقت فراسة الريفي الصغير الذي لم تقبل نفسه ادعاء العلم باستظهار هذه العلوم الغامضة ، كما انه لم يستمرىء التيار المسيطر على اذهان الكثيرين من ابناء عصره وقومه ، وما زلنا معه يحدثنا عن هذا النوع من التعليم ، فنراه وهو المصلح الديني ، والاجتماعي لا يكف عن قرع الجرس منذرا ومحذرا من مغبة الموقف وسوء عطائه ، فيقول لنا بأن ثمرة هذا النوع من التعليم ثمرة فجة مرة ، فهذه الصفوة المتعلمة والثلة المختارة يفترض انها ستقود خطى مجتمعاتها في شتى مجالات الحياة — فماذا هم فاعلون ؟ . « يزيدون الجاهل جهالة ويضللون من توجد عنده داعية للاسترشاد » (٦) انهم كأسرى كهف افلاطون لا يرون العالم الا من خلال الظلال المارة بالكهف الغائبة عنهم والغائمة في معظم الاحوال ، فان هذا المتعلم الذي حفظ الفية ابن مالك ، واستظهر النحو ، والعروض والقافية مثلا ، دون ان يدرب وتهذب حواسه كي يتذوق قصيدة مجودة ، او نصا ساطع الفكرة رفيع الخيال ، ولم يلمس حقائق الاشياء وجواهرها بفكر متفتح ، هذا المتعلم خليق به ان ينزوي ضامر المشاعر .. ضيق الافق ، فلا قدرة له على ريادة آفاق الحياة ينميها ويثريها ، اذن غاية ما يعطيه هذا النوع من التعليم هذه الثمرات المرة : عقول الصبية وسن الرجال فهذا النمط لا يستطيع مثلا ان يواجه مرحلة كمرحلة المراهقة التي يمر بها الطالب خلال سني دراسته فهل في امكانه ان يجيب على تساؤلات هذه الفترة الحرجة من حياة الشباب ، ومحاولاتهم اماطة اللثام عن سر الحياة ، وكنه الوجود .. هل في وسعه ان يطامن من جموح الشكوك التي تراود المراهق في هذه الفترة ؟ ويقيني ان ذلك محال ، ولعل الحسرة ، والرفض الكامل من الرجل لهذه التربية يصلح ترديده اليوم ربما بنفس الحدة ، وبذات الدرجة ، فما

زالت الشكوى من نوعية التعليم الذي يقدم والنتاج الذي يعطيه يصرخ بها الكثيرون على امتداد الساحة العربية جميعها ، وما زال الحديث عن امية المتعلمين بانواعها المتعددة من امية ثقافية الى امية علمية الى امية سياسية .. الخ ما زال هذا كله غذاء يوميا على موائد المناقشات ، والاحاديث ، والتعليقات ، والتحليلات بغية الوصول الى محو هذه الاميات او على الاقل تخفيض نسبتها .

من خلال هذا العرض نعلم ان الامام محمد عبده قد رفض النمط السائد، والنموذج المعد سلفا دون ادنى مراعاة لظروف العصر او حساب لعقل ونفس وشعور الانسان الذي من اجله اعدت هذه البرامج ، ثم دعا وساند الافكار التي تتفق وحاجات الانسان وطبيعة تكوينه المتشابك ، والمعقد ، وذلك من خلال برامج تعليمية تقوم على اساس يعلى قيمة البحث الجاد ، والتفكير العلمي العميق ، وهذا جانب اساسي من جوانب التربية لديه وهناك جانب اخر اكد فيه على اهمية العلاقة بين المتعلم ومجتمعه فيكون هناك تفاعل بينهما يؤتى ثمره ، واكله طيبا ، فان العلم الحقيقي عنده هو الذي يعلم الانسان العلاقة بينه وبين مجتمعه : طبيعتها ، ومسارها ، وغايتها ، فنراه حين ينتقد التعليم على عهد محمد علي يقول « أرسل جماعة من الطلاب الى اوروبا ليتعلموا فيها فهل اطلق لهم الحرية ليبثوا في البلاد ما استفادوا ؟» (٧) ، وان ذلك اللقاء الحار بين المتعلم ، ومجتمعه ليلتقي فيه مع فلاسفة التربية في العصر الحديث من امثال جون ديوى ، ووليم جيمس ، غير انه قد وضع له ضوابط خلقية ودينية واجتماعية مستقاة من الدين الاسلامي وتراث الامة العربية ستأتي في موضعها من هذا البحث مما يؤكد أصالة هذه الافكار وعظمة قائلها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## مثل من اسلوب التدريس ونوعية المدرسين في عصر الامام :

وحري بنا الان ان نقدم مثالا ، وموقفا ندلل بالاول على مناهج ، وطرق التدريس وندلل بالاخر على نوعية المدرسين القائمين على امور التعليم والمتصدرين لقضاياه في ذلك العصر والمثال من كتاب الكفراوي على الاجرومية ، نلحظ ان اول دروسه هو اعراب البسملة ، واذ عرفنا انه اول درس يلقى على من يبدأ اول لقاء مع النحو ادركنا لاول وهلة كم كان الامام متفردا في عصره ، مستقلا في رأيه ، جريئا في ريادته .

( بسم الله الرحمن الرحيم .. الباء حرف جر واسم مجرور بالباء وعلامة جره كسرة ظاهرة في آخره ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره

أؤلف ، واؤلف فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم ، والفاعل مستتر وجوبا تقديره انا ، هذا اذا جعلت الباء أصلية ، وان جعلتها زائدة فلا تحتاج الى متعلق به ... ) وانا اشفق على القارىء من التتمة لانقذه من الايغال في الباء الزائدة ، والاصلية ، والحركات الظاهرة والمقدرة والمستتر وجوبا ومجازا ... الى آخره . ومن خلال هذا النص نتبين ان ابسط اصول التدريس وقواعده التي تتدرج بالمتعلم من السهل الى المعقد ، ومن البسيط الى المركب لم تراع ولم تكن في الحسبان ، واما الموقف فمع الشيخ عليش احد علماء الازهر في ذلك الحين وقد « ابلغه ابنه ان طالبا بالازهر « محمد عبده » حضر على جمال الدين ويقرأ كتب المعتزلة والمتكلمة ، فحمل عكازه.. ودارت بين العالم الكبير ، والطالب الناشىء مشادة ... انتهت الى التماسك بالايدي » (٨) ، ولا اعتقد ان هذا الموقف لا يثير الانتباه ، وان كان يغني عن التدليل على مدى ما وصل اليه عصر الامام من ركود في الفكر ، وحصار التقليد الملتف حول عنق الاشياء والموضوعات .

واذا كان الرائد لا يكذب اهله كما يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فان الامام قد صدق عليه هذا القول وانطبق على مواقفه ، فقد سلك مسلكا عمليا في اصلاحه فكان صادقا مع نفسه ، ومع مجتمعه ، ومع المنهج الذي نادى به ودعا اليه ، فاذا كان يحث على ربط العلم بالحياة ، واستخدام طرائق البحث العلمي في الوصول الى حقائق الاشياء وجواهرها وحل معضلاتها فانه قد كان حقا رائدا لقومه في هذه المجالات ، فنراه في تفسيره للقرآن الكريم يستعين على توضيح الايات والابانة عن سر اعجازها وبلاغاتها بمنجزات العلم ونظرياته ، ففي تفسيره لقوله تعالى في سورة البقرة « او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق .. » الاية ١٩ ، يقول بعد الحديث عن راي الناس قديما في الصواعق انها «سيال يسمونه الكهرباء» ثم يفيض في الحديث عن التيار السالب والموجب ، موظفا العلم الحديث في فهم الآيات ، وفي تفسيره بقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ... » الاية ، يربط بين الربا وما اصاب المجتمع من ضعف بسببه ويحلل آراء المفسرين في هذه الآية ولا يتحرج من الاستشهاد بقول لتولستوي رآه مدعما لرايه ، ومعضدا لحجته ، ومتوافقا مع روح الشريعة الاسلامية ومقتها لشتى انواع الربا ومعاملاته .

وتتتابع خطواته العملية على درب التعليم والنهوض به وفق المنهج الذي ارتآه والذي يتوافق مع العقل والحكمة والمنطق ؛ فيبسط دراسة التوحيد بعيدا عن الالغاز والاحجية والطلاسم كما يبدو في «رسالة التوحيد»، وكذلك فعل في تدريسه للمنطق والبلاغة والتاريخ الاسلامي ودرس مقدمة

ابن خلدون ، وتهذيب الاخلاق لابن مسكويه ، واهتم بالموضوعات غير الشائعة ، وترجم عن الفرنسية كتاب التربية للفيلسوف الانجليزي هربرت سبنسر ترجمة تدل على تمكنه من هذه اللغة ، ونشر مقامات بديع الزمان الهمذاني ، ونهج البلاغة محققين وانشأ جمعية احياء الكتب العربية فنشر كتاب المخصص لابن سينا ، وقرر تدريس كتب الادب بالازهر مثل الكامل للمبرد ، وقام بنشر كتابي دلائل الاعجاز ، واسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، ثم امتدت يد اصلاحه ابعد من ذلك فعمل جاهدا على اصلاح الازهر والنهوض به عندما كان مشرفا على ادارته منذ تعيينه عضوا بمجلس الادارة الى استقالته من منصب الافتاء في سنة ١٩٠٥ ، فسعى جاهدا لاصلاح احواله لما رأى الاهمال والتخلف يشملان شتى جوانبه ، ولاعتقاده الراسخ ان اصلاح الازهر اصلاح للغة والدين ، واحوال المسلمين فسعى الى ربطه بالحياة وحاول ادخال العلوم الحديثة في مناهجه ، وقد كان طبيعيا ان يلقى معارضة قوية ، ومخالفة عنيدة ، وخصومة عنيفة من جراء ذلك ، وقد سعى الامام ايضا لتحديد رواتب علمائه وفقا لدرجاتهم والاهتمام بمساكن المجاورين ، ووجه عنايته الى شئونه الادارية ، وكون لجنة اضافت الى علوم الازهر الحساب والجبر والتاريخ ، ومبادىء الهندسة والجغرافيا.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**ربط التربية بالتعليم عند الامام :**

وهناك نقطة اساسية تلوح للناظر في فكر الرجل التربوي ، تلك هي ربطه بين التعليم والتهذيب ، فالتعليم عنده كما انه وسيلة لتحصيل العلوم النافعة وتكوين العقلية الباحثة الدارسة فانه كذلك وسيلة للرقي النفسي ، والسمو الاخلاقي ، فاذا انفصل التعليم عن القيم الراشدة والسجايا النبيلة كان وبالا على المتعلم وضياعا للمجتمع وهو اذا كان يرى ان التفاعل بين المتعلم ومجتمعه ضرورة لا نقاش فيها وبدهية لا تحتمل الاخذ والرد ، فانه يرى ايضا ان هذه العلاقة لا بد ان تقوم على اساس من الاخلاق الفاضلة ، فهي علاقة تقوم على تحقيق المثال الخلقي الرائع والنفع والفائدة للمجتمع ثم حضانة المجتمع لكل بذور الخير وعطاءات الانسانية البرة في اعمال ابنائه المخلصين ، فتحت عنوان « وصية سياسية » اورد الدكتور عثمان امين في كتابه سالف الذكر نصوصا للامام نستشهد بها في التدليل على ما يراه من ضرورة ان يشمل التعليم كل جوانب الانسان دون تجزئة او تمزيق لشخصيته مؤكدا على ربطه بين التربية والتعليم يقول عن نوعيات الخريجين في عصره بأنهم « من قضاة ومحامين ... تتفاوت كفايتهم في ممارسة مهنهم ولكن لا تجد في الطبقة المتعلمة الرجل الباحث ... والنفس العالية والشعور الكريم

ذلك الذي يرى حياته كلها في مثل أعلى تطمح فيه ، ولعله يلتقي هنا مع المذهب الانساني الذي ربما كان أقرب الى فكره ونفسه ومنهجه القائم على ترسم المثل الاعلى والطموح الذي لا يهدأ من أجل تحقيقه ، وبغية ملاقاته ، ثم يضرب لنا مثلا ليؤكد به اهمية ما يدعو اليه من توثيق الصلة بين التربية والتعليم ... بين الفكر والتهذيب ، وهذا المثل ينتزعه من الواقع فيحدثنا عن التعليم العسكري وقد انفصلت فيه التربية عن التعليم « ولهذا رأينا كثيرا ممن قرأوا في المدارس العسكرية وغيرها خلوا من الدين وجهالا بعقائده ، منكبين على الشهوات ... وانحط بهم ذلك الى الكلب المسعور ... فان دعوا الى الدفاع ركنوا الى الراحة » (٩) .

وفي هذه العبارات يتضح مدى اهتمامه بالتربية الخلقية محذرا من التمادي في تعميق هوة الفصل بين هذين الطرفين اللذين يراهما وجها واحدا لعملية بناء الانسان وليس صحيحا ان يتعلم طالب المدرسة العسكرية استراتيجيات الحرب والدفاع ، وقواعد اطلاق النار ووسائل التمويه والاغارة ... الخ دون أن تغرس في نفسه فضائل السلوك ، ومكارم الاخلاق وترقية النفس فنحن لا نتوقع أن تنطلق من بندقية هذا المقاتل رصاصة من اجل دفع ظلم أو احقاق حق ، ولكن الذي سوف يدفع هذه الطلقات هو نفس شريرة وشعور يطفح بالكراهية ذلك انه قد مات في قلبه الق الايمان وبصيرة الاحسان ، ومن هنا فلا بد من اذكاء الروح الديني في نفوس الدارسين كما حدثنا الامام حتى تقوى العزائم فلا يقعده حينئذ عن الجهاد خور مكين او ضعف في النفس مستكين ، وحتى تهدأ عادية الطمع ، ويطامن من مغريات الترف والدعة داخل نفوس المقاتلين ، ولعل هذا الفصل التعسفي بين التربية والتعليم في المدارس العسكرية ما زلنا نعيشه على مساحات غير قليلة من الوطن العربي ، فان تدريس التربية الدينية يعيش على هامش المناهج والمقررات الدراسية داخل مدارسنا ومعاهدنا ، ولا يكاد يحظى بجزء معقول من الرعاية الشفوقة ، والحضانة الواعية ، والاهتمام المخلص الصادق ، فالقدر الذي يدرسه التلاميذ من مقررات هذه المادة لا تعينهم على فهم طيب لروح الدين ، كما أن السمة التي تكاد تكون مهيمنة على هذه المناهج هي الانزواء بعيدا عما تطرحه مناهج العلم المعاصر بمنجزاته الخارقة مما يسقط دفاعات طلاب العلم امام هذه القوى الجبارة ، رغم انه لو احسن اختيار الموضوعات المدَرَّسَة في هذا الفرع الاساسي لبثت روح القوة والتصدي ، والتحدي داخل نفوس التلاميذ ، وعاشوا معتصمين بدينهم وفكرهم وتراثهم ، ومسهمين بكل هذا في دنيا التطور ، والتقدم ، والرقي

كما أن الامر المؤسف أن المدارس الفنية في معظم ، ان لم يكن في جميع البلاد العربية ، لا تدرس الدين لابنائها ، ولا تكاد ترقى في احسن حالاتها واقصى طموحاتها الى تدريس الحد الادنى من المعارف الانسانيـــة البسيطة ، اضف الى ذلك ان جامعاتنا الان لا تدرس الدين الا في الاقسام المتخصصة في اللغة العربية ككليات الاداب قسم اللغة العربية ، او تدريس مادة كأصول الفقـــه الاسلامي لاتصالها بدراسة القانون لطلبة الحقوق والقانون ، ولعل هذا القصور في تدريس الدين الدراســـة الصحيحة او اهمال تدريســـه تماما يعد سببا رئيسيا من اسباب الانحدار الخلقي داخل بعض قطاعات مجتمعنا .

**التربية الفنية عنـــده :**

لان الاستاذ الامام متسع المدارك .. رحب الافاق فانه قد حـــاول باصلاحه التربوي أن يبنى شخصية انسانية متكاملة منسجمة ، وراى لتحقيـــق ذلك أن تتضمن برامج التربية والتعليـــم الجوانب الوجدانية والجمالية ، فنراه يقف مع الاراء الاسلامية التي تقول بانه لا ضير على المسلم أن يتمتـــع بالجمال المصور في اللوحات الفنية والتماثيل ما دام هذا لا يؤدي الى ما حرمه الاسلام ، فهو يرى أن هذه الرسوم هـــي ديوان الهيئات والاحوال البشرية ، وفي مجال المقارنة بينه (فن التصوير) وبين الكتابة يرجح دقة التصوير في التعبير « فانك تجد الحقيقة بارزة لك فتتمتع بها نفســـك ، كما يتلذذ بالنظر فيها حسك » (١٠) ، وهو يرى انه وسيلة من افضل الوسائل التعليمية ، فالامام عاشق للفن .. متذوق للجمال ، ومحب للعلم ، ولكـــل ما يعين على فهمه ودرسه .

**المراة ، والتعليـــم ، والتهذيب :**

وخليق بنا ان نعرج على راي الاستاذ الامام في تعليـــم المراة ، فنراه يوكد دور التعليـــم في تهذيب ملكاتها ، والاخذ بيدها لتصعد الى افـــق الام الفاضلة والمربية الواعية ، كما يرى وجوب تعليـــم المراة لتقف مدافعة عن الاسلام ايضا في المؤتمرات ، ويحدثنا عن الفتاة الجاهلة ، وعجزها ، ومدى اسهام جهلها في اهدار القيـــم الخلقية لدى الابنـــاء فيقول « وانها حين تقول لابنها خذ هذا الشيء واخفه عن الاعين تعلمه الانانية ، وقد تقول له اذا سالك اخوك فلا تخبره انك اخذت شيئا فتعلمه اخس خصال الرجال ، وهو الكذب » (١١) .

وبعد فهذا هو الاستاذ الامام ، وفكره التربوي ، حاولنا في هـذه العجالة السريعة أن نلم ببعض مكوناته ، موضحين كيف تطابق لديـه الفكر والعمل خلال رحلة حياته الاصلاحية ، لا سيما في هذا الجانب الذي يمثل كما قلنا لب دعوته ، فهل كون الرجل بهذه النظرات فكـرا رائدا بالنسبة لعصره ؟ لا شـك ان ذلك قد حدث مما جعل المفكرين ، والمؤرخين يعدونه لبنـة اساسية قام عليها بناء التجديد ، والتحديث في ذلك العصر ، كما انـه هدى بذلك الفكر ، وتلك الخطوات العملية مسيرة الفكر الحر ، والارتقاء البناء بعد عصره ، بل ربما كان من آرائه في هذا المجال — الذي ندرسـه في هذا البحث — ما يصلح كعـلاج لبعض مشكلاتنا التربوية ، وكل ذلك جدير بالبحث ، ويستأهل الجادة الجاهدة بحثا عن ذاتنا وتأصلا لافكار قمة نبتت في تربة الامة العربية على ايدي هذا الرعيـل السابق الشامخ امثال الاستاذ الامام محمد عبـده .

**خليل أحمد السعودي**

**— القاهرة —**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ — نفى الشيخ محمد عبده من مصر لاشتراكه في الثورة العرابية سنة ١٨٨٢ ، وعاد من المنفى اليها سنة ١٨٨٩ .
٢ — العقاد : محمد عبده .
٣ — د. عبدالله محمود شحاتة : منهج الامام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم ( رسالة ماجستـير ) .
٤ — تاريخ الاستاذ الامام : جزء ٣ الشيخ رشيد رضا .
٥ — د. سيد عثمان : التعلم وتطبيقاته .
٦ — عبدالله محمود شحاته : منهج الامام محمد عبده في تفسير القرآن ( رسالة ماجستير ).
٧ — اقلام نائرة : حسن الشيخة .
٨ — محمد عبده : العقاد .
٩ — اقلام نائرة : حسن الشيخة .
١٠ — عبدالله شحاتة : منهج الامام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم ( رسالة ماجستير ).
١١ — عبدالله شحاتة : منهج الامام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم ( ماجستير ) .
١٠ — عبد الله شحاته : منهج الامام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم (رسالة ماجستير)
١١ — عبد الله شحاته : منهج الامام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم ( ماجستير )



# قصور على رمال

بقلم: سعيد بكر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

( ١ )

على الشاطىء شمخت قصور واهنة .. بنتها يد خفية ورحلت .. على مرمى البصر رمال متماوجة السطح .. وريح خفيفة تحمل بين طياتها ذرات الرمال تلقيها في وجه القلاع .. عند السور الرملي الذي اندثرت بعض جوانبه جاروف صغير انثنت اطرافه المستنة .. ونوافذ صماء تبدو في جوف القصور ككهوف غامضة .. كانت الامواج تسحب

اقدامها الكليلة بين اليم لتعيد الكرة .. وتطايرت فقاقيع الزبد اثر كل موجة خافتة .. هناك عبر الافق اختفت الشمس .. لكنها لم تنس ان تطلي حواف الافق بلون ارجواني .. والنهار الغارب يجر رواسب الضياء .. وبدت خلف القصور المترامية هنا وهناك اشباح من رمل .. غرد طائر النورس وازاحت الهبات الحانية للهواء بقايا قلاع .. على امتداد ذراع قارب مقلوب ومجداف وحيد يتلمس اخشاب القارب .. يخفي احد طرفيه في الرمال . . وكانت اوراق ممزقة من مخلفات النهار الراحل تتناثر كطيور يصطدم بعضها ببعض .. عاد طائر النورس يعزف الحان النداء .. والموج ينسحب في خفية الى القصور الشامخة . . وبين وقت الآخر يقتحم الابواب في رفق ولين .. وعندما تتقهقر الامواج تندثر جوانب القلاع .. والجاروف الصغير قد اعطى ظهره للسماء ودفن اطرافه المسننة في الرمال .. وقد عكس سطح ظهره المندي بالماء بقايا لون ارجواني هبة الافق الدامي اليه .. على سطح الماء يتهادى قارب يطل من جوفه شبح معروق .. وضوء الكلوب المتأجج يرمي بفيض ضيائه على الاشياء .. الوجه المعروق للشبح برزت من الجبهة والانف الضخم وطرفا الشفتين .. تتلألأ القطرات المعلقة بالقارب . . ويتلألأ الماء بالضياء .. عندما ذاب اللون الارجواني في مياه البحر عم الظلام فضاعت نوافذ القصور وقمم القلاع .. ولكن زبد الامواج ظل عنيدا اذ راح يداعب القصور التي واجهت الظلام ..

وحين بزغت الشمس كان البحر قد هدم القلاع والقصور ..

● ● ●

( ٢ )

يا ابت لا تسلم قاربك لليم .. لا تدع هذا العالم الغريب يطحنك تحت ضروس قاسية .. اقذف بالمجداف .. شق الموج .. وادفع قاربك الى الشاطىء .. يا ابت لا تستسلم .. شد الساعد .. ولا تترك بسمة يأس تطرق باب شفتيك .. لا تقل اني انتهيت ..

يا ابت لا تسلم قاربك لليم ..

● ● ●

دارت عيناه في الحجرة .. بهر الضوء عينيه فأسبلهما في بطء . . يتحرك الجفنان وقد مزقت تجاعيد الزمن نسيجهما .. حلقت الخطوط الغائرة حولهما .. لم تترك لهما فرصة الانفلات .. ولكن عظام الوجنتين برزا يلحان على اثبات وجودهما فشدا الى الامام صفوف الثنيات اللحمية وكدساها تحت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العينين .. وبدا عنق الراس رفيعا ومشققا كأرض جدباء .. الراس لا يميل يمنة او يسرة .. دائمـا عالق العينين في السقف .. تدور المقلتان فقط في محجريهما .. وزفرات بطيئة تتردد من الانف الذي ضاعت معالمه .. وتلك الاسنان .. أو الاسنـان الباقية شقت الهواء خلال الفم المفتوح طوال الوقت .. لا ينغلق .. كانت الاسنان خضراء المنبت أما حوافهـا فصفراء اللون .. ولسان الفم قـد التصق في سقف الحلق .. يتذبذب اثر تبادل الزفرات .. ومن آن الآن يرتفع جلد مغضن الملامح عند قمتـه أصابع متخشبـة .. جاء صـوت واهن :

ـ اطفىء المصباح .. يضايقـه النور .

اهتز الجفنـان .. حاما فـوق المقلتين ..

يا أبت لا تسلم قاربك اليوم ..

أظلمت الحجرة.. فجاءت حشرجة انفاسه وخيمة الايقاع .. قالت :

ـ سوف يلفظ انفاسه .

انحدرت دمعة انسالت ساخنة.. عادت تقول بصوت باك :

ـ فلتأت بشيخ يقرأ على رأسه.

وحين اتى الشيخ امسك بساعده المغضن .. احضروا له مقعـدا .. جلس عند راسه وجعل يقرأ .. بكت العينـان الشائختـان .. انسابت دموعه وشقت طريقها عبر تجعيدات البشرة .. قال الشيخ فور انتهائه من قراءة احدى الآيات :

ـ رطبوا ريقه .. فهو يحتضر .

عصرت له برتقـالة .. ورطبت الفم واللسان الملتصق بالسقف .. تحركت تفاحة آدم الواضحة الملامح .. حاول أن يزدرد قطرات عصـير البرتقال .. تقلقلت عيناه ففتحتـا الابواب لدموع حبيسة ..

قال الشيخ :

ـ عزت عليه نفسه .

نشجت المراة .. قال الشيخ :

ـ لا تبكيه .. سوف يموت عنـد الفجـر .

وانتظر ثلاثتهم حلول الفجر .

● ● ●

( ٣ )

دق الناقوس .. صدحت الطيور التي عششت في زوايا البـرج .. انطلقت يلاحقها رنين الدقات .. لما لملم الفضاء ذيول الصدى الاخـيرة رجعت الطيور الى مكامنها الاولى.. واشرق وجـه الشمس مـع بشائر الصباح .. ايقظ الخادم وأمره بفتح الابواب.. كانت العربات قد عاودت نشاطها اليومي فراحت تمرق غـير مكترثة .. استقبلت الابواب جماعات البشر .. وهناك في الداخل كان بلبل قد ضل الطريق فراح يطوف فـوق المقاعد وتمثال العذراء .. وأصدر وراء كل خفقة من جناحيه ترنيما عذبا .. ضحك بعض النـاس وابتسـم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعضهم في سعادة .. من نافذة ضيقة عند السقف المقعر وجد البلبل طريقه .. قال احدهم :

ـ صباح الخير ..

رد آخـر :

ـ صباح الخير .

قبل أن ينطلق الشماس بكلمة دوت فرقعة .. ضاعت داخلها سمات المدينة .. طار البرج في الهواء مع الطيور .. تفحمت الاجساد .. هوى البلبل حينما نالت النار جناحيه .. تساقطت الجثث هنا وهناك .. واحترقت الاشجار .. مات الزرع .. لم يبك احد تلك المدينة سوى البلبل المحترق الجناحين .

● ● ●

( ٤ )

وراء التلال الرملية انغرزت خوذات الجند .. كحلت الصرامة الاوجه .. ضلت الابتسامة الطريق الى الشفتين .. تلبد الاحساس بهفهفات الهاموش حول العنق . . وذلك السيل المنهمر تحت الثياب .. العرق .. وجد ملاذا حميما .. النظرات الهائمة تتطلع في قلق .. في لحظة السكون قال جندي :

ـ اعتقد انهم سيبداون الهجوم .

قال آخر :

ـ لا أعتقد شيئا .. فسيان الامر .

قال الجندي الاول وهو مشرع سلاحه في وجه الخلاء :

ـ انا لا اريد ان اموت هنا بين تلال الرمل .

قال الثاني في عبث :

ـ هنا او هناك سيان .

قال الاول :

ـ ولكني اود ان اموت بين اهلي.

قال الثاني :

ـ هنا اهلك .

قال الاول :

ـ انت لا تفهمني .

قال الثاني :

ـ لماذا نريد ان نفهم كل شيء .

زام الاول معبرا عن ضيقه :

ـ اتعتقد اننا سنبدأ الهجوم ؟.

قال الثاني :

ـ انا لا أعتقد شيئا .

قال الاول :

ـ سوف نبدأ الهجوم حتما .

قال الثاني:

ـ فلنبدأ .

قال الاول :

ـ وربما يبداون هم .

قال الثاني :

ـ فليبداوا .

عندما تناثرت دمدمة القنابل عن بعد .. ذعرت قسمات الاوجه .. قال الجندي الاول :

ـ ها هم يبداون .

واذا ما انفجرت قنبلة بالقرب منهما صاح الجندي الاول في ذعر :

ـ لا ....

● ● ●

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

( ٥ )

لا .. لن انكص على عقبي .. لن اتراجع .. سوف اكون حاد الكلمة .. بتلك الارادة صعد سلالم البيت في صلف .. لم يستند الى درابزين السلم .. كانت نظراته مستقيمة .. واذا ما احتوته حجرته رقد في الفراش بلا حراك .. تصبب عرقا .. ثبت عينيه في الحائط .. وتاه عن كل شيء .. قام الى الدولاب .. فتح بابه .. تريث قليلا ثم اغلقه .. عاد الى الفراش بحث في أوراق مبعثرة .. قرأ ما فيها بصورة خاطفة .. مزقها .. ذرع ارض الحجرة وقد ارتعشت أوصاله .. رجع الى الدولاب وفتحه من جديد .. حدق داخله وصفقه في حنق .. نظر من النافذة .. حاول ان ينادي احدا .. لم يجد كلمة .. انزوى في ركن الحجرة وتقرفص كقط .. مسح عرقه وقد برزت عيناه وتغضن وجهه .. قام الى الدولاب .. فتحه .. تناول من داخله زجاجة كبيرة .. اغمض عينيه وحملها الى المنضدة .. لبث يتطلع اليها في سهوم .. في لحظة فتح سدادة الزجاجة .. ورفعها الى شفتيه .. توقفت الزجاجة .. ارتعشت اصابعه .. ثم فجأة طوح بها .. وانخرط في بكاء هستيري..

● ● ●

قال الصياد :

ـ لا لن ينطفىء الكلوب .

رفع شبكته اعلى راسه.. بحركة ماهرة طوحها في الهواء لتسكن الماء .. وعند اطرافها التي طواها حول ساعده .. همس لنفسه :

ـ لا سيكفي زيت الكلوب حتى الصباح .

رنا الى سطح الماء المتأرجح والذي يتناثر على وجهه ضياء الكلوب .

عاود يقول :

ـ حتى الصباح .. لن ينطفىء .. حتى الصباح .

**سعيد بكر**

ـ الاسكندرية ـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



# الدلالات الضمنية لموسيقى بتهوفن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« ليصبح العصر متميزا تاريخيا هناك شرطان يجب توفرهما : العقول الطيبة النظيفة والتراث العظيم »

« جوته »

بقلم الدكتور صباح غالي

لقد ورث الموسيقار شوبرت فجر العاطفة الشعرية الالمانية المتمثلة في الاعمال المتقنة لجوته وهايني وشيلر حيث شكلت البحور الجديدة للابيات مع قوة الافكار وحرارة المعاني العصرية نسيجا موحدا ، نسيجا هارمونيا مؤثرا ، حددت حلاوته السيكولوجية ورشاقته العقلية نكهة الانجازات الموسيقية الرومانتيكية لشوبرت بالضبط كما فعلت الثوارت الثقافية الرائعة في العصر العباسي ، الثورات الادبية والعلمية ، في تفجير عبقرية الكندي والفارابي والرازي وابن سينا وغيرهم وبرمجة انجازاتهم المتعددة الجوانب وتحويلها الى مادة حضارية مشعة ، او كما صاغ عصر النهضة المتمرد واقعية اساليب دافنشي ورفائيل وانجلو ووجه رؤاهم الفنية نحو الكمال الانساني .

يعتبر كل من شوبرت وبيتهوفن وجلوك من رواد الحركة الرومانتيكية في الموسيقى. فهم الاوائل الذين وضعوا على التوالي اسسا جديدة للاغنية وموسيقى الالات والاوبرا . فلقد انفرد شوبرت بحاسة نادرة ، حساسة التقويم الموسيقي للشعر ، ميزته عن اسلافه ومكنته من تأسيس فرع موسيقى جديد هوفن الليدر كشكل معين من الغناء ، شكل متطور فنيا .

أما بيتهوفن فلقد امتلك احساسا غريبا وفهما عجيبا للامكانات التعبيرية للالات الموسيقية مكنه من انتزاع الافكار والامزجة المختلفة من هذه الالات وتوظيفها في خدمة القوالب الموسيقية المتعددة مطورا بذلك السوناتا والكونشرتو وموسيقى الفرقة وخاصة السيمفونية موصدا الابواب أمام الرتابة والالحان الرخيصة المملة ليجعل من الاوركسترا جهازا يخاطب العقل ويسمو بالعاطفة .

أما جلوك فاصلاحاته الجذرية للاوبرا ساعدت على تطوير ذوق الجمهور بعد أن غير من اسلوب الاوبرا الذي كان سائدا في القرن الثامن

عشر حيث ترجم الاحاسيس العفوية الى الحان معبرة ومنسجمة مع المواقف الانسانية ، واحلها محل الانماط الغنائية المحدودة الجاهزة ذات الاصل الايطالي . لقد فتح هؤلاء الثلاثة الابواب أمام جميع القوالب الموسيقية وساهموا في خلق موسيقى مميزة لكل قومية موسيقى ذات طابع محلي واصول عالمية ، موسيقى تفهمها وتتذوقها كل الشعوب على اختلاف ثقافاتهم واجناسهم .

مع شوبرت دخلت اوروبا العصر الرومانتيكي حيث قلبها فيينا ، عاصمة الامبراطورية الرومانية المقدسة عجزت عن اخفاء فساد مجتمعها وعبثه لا بواسطة التستر المتكلف على بهرجة طبقتها الارستقراطية ولا بضاعتها المتطورة نسبيا ولا حتى بشفقة وعاطفة الطبقة الوسطى ، الطبقة التي كانت عائلة شوبرت تنتمي اليها . لقد علمته هذه العائلة البسيطة اصول الاوبرا الايطالية والموسيقى وهو صغير السن ثم اخذ بعد نضوجه يخالط الادباء والشعراء والرسامين ورجال الثقافة المتشربين بالحكمة وتجارب الحياة ، مكونا معهم ما يسمى بأصدقاء او حلقة شوبرت، تلك الحلقة التي كانت متأكدة من عجزها عن تغيير مصير وطنها ، فآثرت ان تعيش كقلة مثقفة بعيدة عن الاوتوقراطية في جو تسوده المحبة والتواضع والحس الانساني ، جو يوحي بالبوهيمية آنذاك ويذكرنا بالهيبية اليوم ، قلة تنتظر الحكم عليها ان لم نقل ببرود وهدوء لكن على الاقل بعيون مشدوهة واسعة الحدقات ، لذا يمكن القول أن موسيقى شوبرت كانت تعبر عن طموح اصدقاء هذه الحلقة تماما كما كانت موسيقى باخ تعكس تيولوجية الكنيسة وموسيقى هاندل ايديولوجية الدولة والحكم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان روح شوبرت السيمفونية تختلف عن اسلافه الكلاسيكيين فالمسالك المتعددة والمختلفة التي اتبعتها الموسيقى الاوروبية في نهاية القرن التاسع عشر يمكن ارجاع معظم اصولها الى شوبرت ، وخاصة الى اعماله السيمفونية الاولى حيث ظهرت فيها عبقريته بشكل غريب وغامض نسبيا. فخلف السطحية الظاهرية المتمثلة في اللغة الكلاسيكية التي كان يستعملها في محاكاته موتسارت وهايدن وبيتهوفن كان شوبرت يسير ببطء ولكن بكل تأكيد ليحدث انتفاضة في الموسيقى العالمية كتلك التي احدثها بيتهوفن ولكن انتفاضة تختلف كليا في نوعيتها عن انتفاضة بيتهوفن ، انتفاضة موسيقية من الداخل لونت اعمال شوبرت بصفات ومميزات ذات دلالات خاصة :

١ ــ ازدواجية الخطوات : هناك سرعتان مختلفتان تسيران معا وتخرق معظم سيمفونيات شوبرت . أن هذا التكنيك لم يظهر ثانية الا في نهاية القرن التاسع عشر وخاصة في اعمال فاجنر الذي عاش في فترة حرجة من تاريخ المانيا هي فترة الوحدة الالمانية . يظهر أن في هذا الاسلوب ثورة موسيقية ذات دلالة . فتعايش وتزامن الخطى المختلفة لم يكن فقط كينبوع جديد للتاليف الموسيقي او كمصدر لتكنيك متقدم ولكن كان يشكل موقفا معينا ، موقفا جديدا في التعامل مع الحياة !! فعندما يكون الوجود في مفترق الطرق وعندما يكون الصراع بين القديم والحديث في ازمة ، تلتقط اشارات هذه الازمة قلوب الناس الخيرة وعقول عباقرتهم النيرة وتبثها ثانية بشكل شفرة منظمة متبعة بقدر الامكان الاصول السائدة لفنون وعلوم عصرهم لتعكس اوتوماتيكيا طبيعة الجنس البشري اولا والفترة الزمنية المعاشة ثانيا وخصوصية جهاز البث المتمثل في عقلية ونفسية وتربية الفنان او العالم ثالثا . وشوبرت يمثل القلة من البشر الذين جمعوا بين الانسان الاعتيادي الطيب والعبقرية !! .

٢ ــ اذا كان بيتهوفن استاذا في التعبير عن التوتر الدراماتيكي فان سوناتاته لا يمكن أن تكون الا اعمالا عظيمة . فهي عظيمة لبراعة تكنيكها وافتراضاتها الموسيقية المتطورة . اما شوبرت بصفته استاذا في التعبير عن المؤثرات الشاعرية الرقيقة فان سوناتاته في الحقيقة لا يمكن أن تخرج من دائرة الالحان العاطفية القريبة من الاغاني .كما ان مع شوبرت وبيتهوفن اجتازت موسيقى الفرقة العصر الكلاسيكي ودخلت العصر الرومانتيكي وكانت خماسية شوبرت الوترية هي احدى القمم في هذا المجال .

٣ ــ لقد اتجهت مؤلفات الموسيقيين الرومانتيكيين الى دمج الاهداف اللحنية الصغيرة المسماة بالموتيف مع الموضوع الرئيسي الذي من اجله الفت القطعة الموسيقية برمتها ليبنوا في النهاية ما يسمى اللايتموتيف اي اللحن الهادف . ونتيجة لهذا التركيب يجد السامع ان اللايتموتيف قد طغى على مجمل الموسيقى التي تصطحبه . اما شوبرت ففي اغانيه قلب الموازين نسبيا حين جعل من الموسيقى هدفا لحنيا ذا قيمة موازية ومكافئة للصوت البشري الذي ينسجم مع الموسقى ويتداخل مشدودا معها عن طريق الامانة العالية للهارموني والكنتربوان ليظهر فردية واستقلالية كل عنصر من جهة وارتباطهما في وحدة عضوية

متكاملة من جهة اخرى . ولقد استعمل فيما بعد كل من شومان و ولف نفس التكنيك في تأليف الاغاني .

يظهر أن لهذا التكنيك دلالة سيكولوجية ــ اجتماعية ذات طابع ثوري . فهو قد يشير الى ازدواجية المجتمع وروح انسان العصر وقد يشير ايضا الى ضرورة تكافؤ العناصر المكونة للمجتمع والانسان ، اي الطبقات في المجتمع والعقل والعاطفة في روح الانسان . حيث العصر السابق ( الكلاسيكي ) رجح العقل على العاطفة باعتبارها أهم العناصر في التكوين العضوي للانسان والطبقة الارستقراطية كأهم عنصر في تكوين المجتمع .

٤ ــ معظم القطع الموسيقية الكنسية التي ألفها شوبرت كانت نتيجة منطقية لموقفه تجاه الدولة والكنيسة والمجتمع ، فالروح التي تسودها ليست طقوسية بل بالاحرى شعبية مقصودة ، لذا كان مصيرها النسيان والاهمال . أما ( ايفا ماريا ) فشهرتها جاءت من بساطة تركيبها الموسيقي وعذوبة اللحن الذي أجاد شوبرت في اختياره . ففي اللحن حب والم وعتاب اكثر مما فيها من تقديس وتأليه . أما فشل قطعة الاوبرالية فهي أيضا نتيجة حتمية ومنطقية لموقفه . لان الاوبرا في الاصل تمجيد لابهة وعظمة وبطولة الدولة التي كان شوبرت لا يؤمن بها ولا يخفي كرهه لها ، وهنا يقفز للذهن سؤال : هل فشل بيتهوفن في كتابة الاوبرا يعود لنفس السبب ؟

٥ ــ اذا كان الطابع الرئيسي لموسيقى موتسارت هو الموازنة بين اللحن العذب والتوتر الدراماتيكي للنغمة فالارجح أن هذه الصورة الصوتية الاوركسترالية تعكس حقيقة مجتمعه الواقف متزنا على حافةالهاوية. ولكن الحس الرومانتيكي لشوبرت جزأ العناصر الموسيقية وميزته عن التوازن الموتسارتي التقليدي . فاللحن والنغمة في اعماله لا يملكان اعجوبة الوحدة الموتسارتية ، فمها ينشدان الوفاق قبل التوازن . وفي هذا دلالة سيكولوجية تنم عن تغلب عنصر الطيبة على العقل. لان فيالاول حبا وتسامحا وفي الثاني اقتحاما وتنافسا.

٦ ــ ان الانتصار السرمدي الذي يتوج اعمال بيتهوفن لا نجده في اعمال شوبرت ، فالبراءة البيتهوفينية ما هي الا ثمرة التجربة الحياتية والفنية المعاشة ، بينما في موسيقى شوبرت هناك بحث مستمر عن البراءة والوداعة . والسبب هو أن شوبرت كان يعي مسبقا طبيعته الطفولية ، مما جعله يتردد بين آلام الفكر الواعي الرافض لواقعه وبين الحنين لتقبل الطبيعة الطفولية البريئة لذاته .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٧ ــ لقد وهبت الطبيعة الطفل شوبرت ملكة معينة هي العاطفة الجياشة التي تحولت الى عبقرية لوداعتها وعمق بساطتها فوجدت في الموسيقى وسيلة ، وكان تلحينه للاشعار وتاليفه الاغنية الفنية المسماة بالليدر هي نتيجة حتمية للتعبير عن هذا النوع من الموهبة. فهناك ضرورة اجتماعية ــ بيولوجية جعلت من شوبرت خلاقا ومبدعا في ربط الشعر باللحن وتاليف الاغاني التي جسدت عبقريته بكل وضوح . فلا عجب اذا كانت عناصر الابداع قليلة نسبيا في القوالب الموسيقية الاخرى التي الفها شوبرت كالسوناتا والسيمفونية والاوبرا .

٨ ــ خلافا للموسيقيين العباقرة لم يبدأ شوبرت بدراسة الهارموني والكونتربوان الا بعد سن الخامسة عشرة بينما نبوغه الموسيقي كان مبكرا . وفي هذا دلالة خاصة ، لان عبقرية شوبرت كانت من نوع فريد : عبقرية العاطفة ، فطبيعتها لا تقبل العقلانية بسرعة فهي دائما متعجلة وفي سباق مع الزمن لتعبر عن وجودها الكوني المهم . وتميزت عواطفه بأحاسيس حدسية رقيقة في تفهم القوالب الموسيقية والتوفيق بينها وبين المادة الموسيقية لذا كانت حركات معظم سيمفونياته مليئة بمعان قد تكون احيانا ارتجالية وساذجة ولكنها خالية من الصراع المسرحي ، فهدف أسلوبه هو تطوير الافكار الموسيقية الجوهرية لتصل الى قمتها الجمالية الشكلية المثلى . كان شوبرت يبحث عن نظام جديد للحياة ، فكان حسه للقوالب الموسيقية الجديدة هو التعبير عن رغبته الدفينة للتطور والتغير . والظاهر أن معنى التطور عنده هو تغير الشكل دون الجوهر . وهذا المفهوم للتطور ما هو الا مفهوم هندسي رياضي وليس دراماتيكيا بالمعنى الجدلي الضيق .

٩ ــ كان شوبرت يتوخى في اعماله اقتصادا في النوته وهذا الاسلوب يعكس مقته للزخرفة الفائضة والتكلف المربك . لقد كان شوبرت بسيطا متفتحا لتقبل وداعة الكون واحتضان مجال العالم والوجود. لا يعرف عنف الكراهية ولا خبث المؤامرات ، كارها للانتصارات المدوية والشهرة البراقة والاضواء الساطعة . اما داخليا فكان غنيا في حرارة مشاعره ورقة عواطفه والارجح أن هاتين الصفتين الظاهرية والباطنية هما اللتان عملتا في تشكيل حياته وموسيقاه . لذا نجد الجمل الموسيقية في غالبية اغانيه تتبادل الحان الحب والالم وتتحاور فيما بينها كأنه في هذا الاسلوب اراد ان يبرز ازدواجية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحياة والمجتمع الذي يعيش فيه ورغبته في تفهم هذا الواقـــع وتجاوزه .

١٠ ــ في معظم سيمفونيات شوبرت الاخيرة تبدأ الات النفخ الهوائيـــة بعزف نواة اللحن الاساسي ثم تسلمه تدريجـيا الـى بقيـة الات الاوركسترا لتطوره وتعلنه صريحا متكاملا ، فهل لاستهلال البـوق مغزى ؟

هل يريد شوبرت ان ينبه السامع الى شيء قادم او بامر سيحدث عما قريب ؟ لا شك أن شوبرت في المراحل الاولى من تكوينه كـان يستعير مفرداته وجمله الموسيقية من هايدن وموتسارت وبيتهوفن ولكنه استطاع أن يتخلى تدريجيا عن تلك التراكيب الموسيقية ويبني له نسقا خاصا والحانا مستقلة ، الحـانا شوبرتية مميزة باكتفائها الذاتي الى درجة لن يجد شوبرت مانعا من تكرارها ، ولا حرجا من اعادتها في مؤلفات مختلفة لاحقة . واغلب الظن ان النغم بالنسبة له كان أبعد من تكوين هندسي أو بناء رياضي لفيزياء الصوت وابعد من انعكاس اعتيادي للمشاعر او تعبير غنائي للعاطفة. انه وسيلـــة ايضاح لشرح مفاهيم بسيطة مشحونة بقوة البراءة والجمال اقتحمت عقله وارغمته على التفكير موسيقيا فبعثت من جديد فكانت الحانـا شوبرتية مميزة . والسامع يجد مرارا في موسيقى شوبرت مزيجا من القوة والمالانكوليا ، وقد يعبر هذا المزيج عن حلم البشر في بناء المدينة الفاضلة وعن العجز الحياتي من تحقيق هذا الامـــل الرائع .

وفي الواقع فان مجمل موسيقى شوبرت تعكس حقيقة الحضارة في طور من اطوار صيرورتها المستمر وتشير الى احدى الوسائل التجريديـة الانسانية القادرة على موضعة العالم وذلك لانها داخلية ، موسيقـــى العبقرية التلقائية التي يكمن سرها في تجنب التسطح الخطابي كرههـــا للتبسيط الاستجدائي .

واخيرا فان اعمال شوبرت استطاعت تجسيد اهداف الشعر والموسيقى معا : تحرير الفكر والجمال بالاعتقال المتبادل لبعضهما والدخول في عالم النظام والحرية من خلال بناء المفاهيم الفلسفية ــ الاخلاقية بعيدا عن اللغة المباشرة وبعيدا عن الرمزية المقصودة والنرجسية المرضية لتتجلى حكمتها وبلاغتها في مضامينها البحتة وتراكيبها الفنية الجذابة ليصبح الجمال والفكر وجهين متلازمين للوجود المنظم الحر .